لطائف المنن

في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي

وشيخه الشاذلي أبي الحسن

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

(يونس: ٦٢)

تأليف

العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه

المتوفى سنة ٧٠٩ هـ

الطبعة الثالثة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

مكتبة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلى عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد:

إن التصوف الإسلامى السنى الخالص إيجابى لا سلبى فيأخذ طالبه والسالك فيه بأسباب الدنيا وأسباب الآخرة ويجعل ممارسته بالعلم والعمل والحال عاملاً نافعاً بجسده فى الدنيا وبنيته مستقبلاً للآخرة، وأما قلبه فيكون دائماً مع الله إبتغاء لمرضاته، وطلباً لرضوانه ؛ وبهذا وذاك يكون التصوف الحق زاد لقلوب الصديقين وشعاراً لعباد الله الصالحين .

وذلك لأن الصوفى الحق إذا رأيته أو عاشرته أو عاملته أو جاورته أو صاحبته علمت أنه رجل دائب الفكر كثير الذكر دائم العبرة غزير الحكمة محب للعلم، كاره للجدل، وهو قليل المنازعة فى الأمور سهل المراجعة للصواب، وهمته دائماً محصورة فى البحث عن الحق ولو ظهر على لسان غيره من الخلق، وأنه وراء ذلك أوسع الناس صدراً أو أقبلهم له عذراً وألينهم للحق قياداً وأصعبهم على الباطل مراساً، وأعزهم نفساً، وأعفهم شخصاً، وأكثرهم وداً، وأعمقهم حباً، وأدومهم مثابرة وصبراً وأوفاهم عهداً وأكثرهم أدباً، إن ضحك تبسم، وإذا غضب لا يتجهم، وإن تجهم فهو رؤوف بمن يعاديه ووصول لمن يواليه، لا يخوض فى أمر لا يعنيه، ولا يدعى أبداً ما ليس فيه، وهو ورع عن الشبهات، ومبغض للمحرمات، وصائن للحرمات، وحافظ للأوقات، ولا سيما مواقيت العبادات وأخصها الصلوات .

وتلك الأخلاق كلها فى حقيقتها اقتباس من أخلاق رسول الله ﷺ الذى وصفه الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وبعد الرسول ﷺ كانت أخلاق الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

وإلى هنا نكون قد عرضنا على القارئ الكريم صفات التصوف والصوفى بما لا يخرج عن حدود الشريعة الإسلامية فى كمالها مبنى ومعنى ولكن ... مع الأسف الشديد أنه ابتلى التصوف الإسلامى وهو فرع عن الإسلام بما ابتلى به الإسلام نفسه من أصدقاء جهلاء أو أعداء ألداء .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا ـ الآن ـ فهو شريف القدر، عظيم القيمة وذلك لما يحوى بين دفينه من علم نافع وأدب جم، وفكر صوفى متفرد، نسأل الله الكريم أن ينفع به كل من يقرأه أو يدرسه .

عملنا فى هذا الكتاب:

١ ـ عزونا الآيات القرآنية إلى سورها .

٢ ـ خرجنا الأحاديث النبوية .

٣ ـ ترجمنا ترجمة حقيقية لما ورد من الأعلام .

٤ ـ شرحنا الكلمات الصعبة .

والله نسأل أن يجعله فى ميزان حسناتنا إنه مجيب الدعاء

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى فتح لأوليائه باب محبته، وأنشط نفوسهم من عقال القطيعة، فقاموا له بوجود خدمته، وأمد عقولهم بنوره، فعاينت عجائب قدرته، وحرس قلوبهم من الأغيار، ومحا منها صور الآثار حتى ظفرت بمعرفته، كشف لأرواحهم عن قدس كماله ونعوت وجود جلاله، فهم سبايا حضرته، متع أسرارهم بقربه بخطفات جذبه، فتحققوا بشهود أحديته، أخذهم منهم وأفناهم عنهم، غرقوا فى بحور هويته، فرق جيوش التفرقة بكتائب الجمع لأهل خصوصيته، وحمى حمى الأسرار بمدد الأنوار أن يكون مظهرا لغير فرديته. أطلع كواكب العلوم فى سماء الفهوم تهدى السائرين لحضرة ربوبيته، وأضاء قمر التوحيد فى قيد التفريد فانطوت الكائنات فى وجود أزليته، وما كانت معه فى أزله حتى تكون معه فى أبديته، بل هو الأول الآخر، لا بالإضافة لبريته، والظاهر الباطن كذلك، وما الكون حتى يقاس بقدوسيته.

أحمده والحمد واجب لصفات جلاله وعظمته، وأشكره والشكر مستحق له لسبوغ نعمته، وأرجوه .. وكيف لا أرجوه وهو الذى وسع كل شىء برحمته، وغمر العباد فى الغيب والشهادة بطول منته، وأعترف له بالتقصير عن القيام بحقوق أحديته، وأعلم أنه لا يحاط بذاته وصفته، ليس للعبد منه إلا ما مَنَّ به عليه، ولا يضاف له من المحاسن إلا ما أضافه إليه، ولا ينتصر فى المصادر والموارد إلا بالتوكل عليه، العزيز، القادر، الحكيم، القاهر، الرقيب على فعل كل فاعل، ونظر كل ناظر، لا يخفى عليه ما فى الضمائر، ولا يغاب عن علمه مستكنات السرائر، أظهر فى ملكه حكمته وفى ملكوته قدرته، وتعرف لكل شىء، ولا شىء يجحد ربوبيته ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكل شىء يشهد بأحديته فى ألوهيته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المصطفى من خليقته، المشهود له فى الغيب، والشهادة بكمال خصوصيته القائم لمولاه بكمال الوفاء فى عبوديته صلى الله عليه وعلى آله وصحابته صلاة تدوم بدوام أبديته وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد: فإنى قصدت فى هذا الكتاب أن أذكر فيه جملاً من فضائل سيدنا ومولانا الإمام قطب العارفين، علم المهتدين، حجة الصوفية، مرشد السالكين، منقذ الهالكين،

---

(١) (الأعراف : ٥٤)

الجامع من علم الأسماء والحروف والدوائر، المتكلم بنور بصيرته الكامل فى السرائر، كهف الموقنين، ونخبة الواصلين، مظهر شموس المعارف بعد غروبها، ومبدى أسرار اللطائف بعد غروبها. الواصل إلى الله والموصل إليه(أبى العباس المرسى) أسكنه الله تعالى حضيرة قدسه، ومتعه على ممر الساعات بموارد أنسه .

وأذكر شيخه الذى أخذ عنه ومنازلاته التى نقلت عنه وسمعتها منه، وكراماته، وعلومه، وأسراره، ومعاملاته مع الله ﷻ، وما قاله فى تفسير آية من كلام الله ﷻ، وإظهار لمعنى خبر نقل عن رسول الله ﷺ، وكلام على حقيقة نقلت عن أحد من أهل الطريق، وأشكل معناها ولم يفهم مغزاها وما نقله عن شيخه الشيخ:

(أبى الحسن الشاذلى) رضى الله تعالى عنه، وما قاله هو من الشعر أو قيل بحضرته، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر الطريق وأهلها، وأنقل ما يمكن إثباته من أخباره كثيرها وقليلها .

وكان أصحاب الشيخ الإمام القطب (أبى الحسن) قدس الله روحه قد أثبتوا جملا من كلامه، وإن كان هو رضي الله عنه لم يضع كتاب . وقد بلغنى عنه أنه قيل له: يا سيدى لم لا تضع الكتب فى الدلالة على الله تعالى، وعلوم القوم؟ فقال رضي الله عنه: كتبى أصحابى وكذلك شيخنا (أبو العباس) رضي الله عنه لم يضع فى هذا الشأن شيئاً، والسبب فى ذلك أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق وهى لا يحتملها عقول عموم الخلق .

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: جميع ما فى كتب القوم . عبرات من سواحل بحر التحقيق، ولا أعلم أن أحداً من أصحاب شيخنا (أبى العباس) رضي الله عنه تصدى إلى جميع كلامه، وذكر ما فيه، وأسرار علومه، وغرائبه، فجذبنى ذلك إلى وضع هذا الكتاب، بعد أن استخرت الله تعالى، وطلبت منه المعونة. وهو خير معين، وسألته أن يهدينى إلى الطريق المستبين .

وقسمته إلى مقدمة، وعشرة أبواب، وخاتمة:

أما المقدمة فتشمل: إقامة الدليل على أن نبينا محمدا ﷺ أفضل بنى، آدم بل أفضل البشر وأفضل الخلق كافة. وأفردت كل مقام بإقامة الدلالة عليه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ. وبينت أن عدد الأولياء من الحقيقة المحمدية، وأن الأولياء إنما هم مظاهر أنوار النبوة، ومطالع شوارقها. وأعلمت أن أنوار الولاية قائمة الثبوت، للزوم دوام أنوار النبوة

وذكرت الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية، وبينت من هو أولى بالميراث فى قوله ﷺ { العلماء ورثة الأنبياء }[1] وبينت ما هو العلم الذى أثنى الله تعالى عليه، ومن هم العلماء الذين هم أولى بالزلفى لديه، وبينت أن الأولياء الظاهرين فى أوقات الظلمة أولى بأن يكثر الله أنوارهم، ويجزل لهم من وجوه اليقين ما يوجب انتصارهم، ليدافعوا ظلمة الأوقات، وليهزموا بعساكر أنوارهم جيوش الغفلات .

وذكرت أقسام الولاية،وغزارة قدر الوالى، وفخامة رتبته وتفوق منزلته مما تضمنه الكتاب العزيز والأحاديث النبوية، ليكون ذلك توطئه لك بتصديق ما يرد عليك من أخبار أوليائه وكرامات أصفيائه .

وأما الأبواب:

فالباب الأول: فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشأن، وشهادة من عاصره من العلماء الأعيان أنه قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل الأعيان .

الباب الثانى: فى شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام، والحائز قصب السبق بالتمام، وإخباره هو عن نفسه بما منّ به عليه من النعم الجسام، وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول إلى الله لأفضل مرام .

الباب الثالث: فى مجرباته ومنازلاته، وما اتفق لأصحابه معه، ومكاشفاته .

الباب الرابع: فى علمه، وزهده، وورعه، ورفع همته، وحلمه، وصبره، وسداد طريقته .

الباب الخامس: فى آيات من كتاب الله نتكلم على تبيين معناها وإظهار فحواها .

الباب السادس: فيما فسره من الأحاديث النبوية، وإبداء أسرار فيها على مذاهب أهل الخصوصية .

الباب السابع: فى تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق، وحمله لذلك على أجمل الطرائق .

---

[1] أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١/٢٩٠) والقرطبى فى تفسيره (١٣/١٦٤) والترمذى فى سننه (٥/٤٨) والهيثمى فى مجمع الزوائد (١/١٢٦) وأبو داود (٣/٣١٧) وابن ماجه (١/٨١) ومسند الشاميين (٢/٢٢٤) ومسند الشهاب (٢/١٠٣) وأمالى المحاملى(١/٣٣٠) وشعب الإيمان (٢/٢٦٢) والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى (١/٥١) وفتح البارى (١/٢١٧)

الباب الثامن: في كلامه في الحقائق، والمقامات، و كشف فيها الأمور المعضلات

الباب التاسع: فيما قاله من الشعر أو قيل بحضرته، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته .

الباب العاشر: في ذكره ودعائه عقب كلامه، وحزبه الذى رتبه للآخذين من علومه، وأفهامه، ولوازم ذلك من ذكر شيخه أبى الحسن وحزبيه، ليتم العقد بنظامه .

أما الخاتمة: ففى اتصال نسبتنا إليه ووصايا نثرا ونظما تنهض إلى الله، وتجمع عليه، وهى آخر الكتاب ؛ وليس كل شيء سمعته من الشيخ ﷺ استحضرته وقت وضعى لهذا الكتاب. ولا كل شيء استحضرته يمكن إثباته . وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه الطائفه خصوصا، وغيرهم عموما، ليؤمن بأحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيبا من المنة، وجعل في قلبه نورا من الهدي، وليرجع المكذب إلى الاعتراف، والمكابر إلى وجود الإنصاف، وليستبين لمن أراد الله تعالى به الهدى المحجة، وتقوم على من لم تنصره عناية الله تعالى المحجة فيكون للمصدق بتصديقه بهذه الطائفه نصيب من الولاية وذنوب من العناية .

وقد قال الجنيد ﷺ: التصديق بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتك المنة فى نفسك، فلا يفتك أن تصدق بها فى غيرك، قال تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[1]

وقد قال بعض العارفين: (التصديق بفتح لا يكون إلا بفتح) ومصداق ما قال هذا العارف قول الله ﷻ ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[2] وقال ﷻ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] وقال ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[4] وقال ﷻ ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[5] .

وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدقين لأولياء الله تعالى، فيما جاءوا به وإن قصر عقله عن إدراك ذلك فمن أين . يجب أن لا يهيب لله تعالى لأوليائه ما تسعه عقول العباد؟ وقد قالوا: يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة .

وقد قال أبو تراب النخشبي: من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر . أى غطى

---

(١) (البقرة: ٢٦٥) (٢) (النور: ٤٠)
(٣) (الذاريات: ٥٥) (٤) (ق: ٣٧)
(٥) (الرعد: ١٩. الزمر: ٩)

عليه الأمر وستر عنه . شهود قدرة الله تعالى، جعلنا الله وإياك من المعترفين بفضله فى عباده . ومن المصدقين بآثار عنايته فى أهل وداده . إنه ولى ذلك، والقادر عليه ؛ ولم أحل الكتاب من الكلام على الشيء المشكل، وحل الأمر المعضل، والتنبيه على أمور جليلة، وإظهار أسرار أبصار من لم يؤمن بهذه الطائفة عنها كليلة ، فالله سبحانه وتعالى يجعل ذلك لوجهه خالصا، ومن أوحال القطيعه مخلصاً، وأن يمن علينا بالصدق فى الأقوال والأفعال والأحوال، وأن يجعلنا من العارفين به فى الحال، والمآل، وأن يتفضل علينا بالفهم عنه وحسن الاستماع منه ، إنه الإله القدير وبالإجابة جدير .

وسميته (لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس وشيخه أبى الحسن)

وهذا أوان ابتدائى بما قصدت، وإظهار ما أردت، وبالله استعين، وعليه أتوكل وبجاه سيد المرسلين أتوسل، وهو حسبى ونعم الوكيل .

* * * * * *

مقدمة

اعلم أن الله تعالى لما أراد إتمام عموم نعمته، وإفاضة فيض رحمته ؛ واقتضى فضله العظيم أن يمن على العباد بوجود معرفته، وعلم ﷻ عجز عقول عموم العباد عن التلقى من ربوبيته، جعل الأنبياء والرسل لهم الاستعداد العام لقبول ما يرد من ألهيته، يتلقون منه بما أودع فيهم من سر خصوصيته ويلقون عنه جمعاً للعباد على أحديته، فهم برازخ الأنوار ومعادن الأسرار رحمة مهداه، ونسة مصفاة، حرر أسرارهم فى أزله من رق الأغيار، وصانهم بوجود عنايته من الركون إلى الآثار، لا يحبون إلا إياه، ولا يعبدون رباً سواه ؛ يلقى الروح من أمره عليهم، ويواصل الإمداد بالتأييد إليهم، وما زال فلك النبوة والرسالة دائرا إلى أن عاد الأمر من حيث الابتداء، وختم بمن له كمال الاصطفاء، وهو نبينا محمد ﷺ هو السيد الكامل، القائم الفاتح، الخاتم نور الأنوار وسر الأسرار، والمبجل فى هذه الدار، وفى تلك الدار على المخلوقات. أعلى المخلوقات منارا ؛ وأتمهم فخاراً، دل على ذلك الكتاب المبين قال الله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1] ومن رحم به غيره فهو أفضل من غيره، والعالم كل موجود سوى الله تعالى .

وأما تفضيله على بنى آدم خصوصاً فمن قوله ﷺ { إنى سيد بنى آدم ولا فخر }[2]

وأما تفضيله على آدم عليه السلام فمن قوله ﷺ { كنت نبيا وآدم بين الماء والطين }[3]

ومن قوله : { آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائى }[4] .

وقوله : { إنى أول شافع وإنى أول مشفع وأنا أول من تنشق الأرض عنه }[5]

---

(١) (الأنبياء: ١٠٧)

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٢٥٤٦، ٢٦٩٢) من حديث ابن عباس فى حديث الشفاعة، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. ولفظه { أنا سيد ولد آدم ولا فخر }

(٣) أخرجه السيوطى فى الدرر المنتثرة (١٢٦) والعجلونى فى كشف الخفاء (٢/١٩١)، وابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢/٣٤١)

(٤) عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، بيدى لواء الحمد ولا فخر. ما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر } أخرجه أحمد فى المسند (١/٤٨٦). والترمذى فى السنن (٥/٢٨٨) وحسنه، والإحسان ى تقريب صحيح ابن حبان (١٤/٦٤٧٨) وروى الدارمى والترمذى وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا. وأنا خطيبهم إذا انصتوا ،انا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الكرم بيدى، ومفاتيح الجنة بيدى. ولواء الحمد بيدى. وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر، يطوف علىّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون } رواه أبو يعلى (٧/٣٩٧٣، ٣٩٦٧) والإحسان فلا تقريب صحيح ابن حبان (١٤/٦٤٧٥) و (١٥/٦٨٩٩) والخصائص (٣/٢٢) .

(٥) أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (١٢/٣٠٥) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة. وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع } .

وحديث الشفاعة المشهور الذى أخبرنا به الشيخ الإمام الحافظ: بقية المحدثين (شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى) بقراءتى عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا الشيخان الإمام فخر الدين، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن عبد العزيز الجباب التميمى، أبو التقى صالح بن شجاع بن سيدهم المدلجى الكنائى، قالا: أخبرنا الشريف أبو المفاخر سعيد بن الحسين بن محمد بن سعيد العباس المأمونى قال: أخبرنا أبو عبد الله الفراوى قال: أخبرنا عبد الغافر الفارسى قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمروية الجلودى، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بل محمد بن سفيان الفقيه. قال حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى، قال: حدثنا أبو الربيع العتكى، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال حدثنا معبد بن هلال الغنوى. قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلى الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره . فقال له: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة؟

قال: حدثنا محمد ﷺ قال { إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم عليه السلام فيقولون اشفع لذريتك .. فيقول: لست لها ؛ ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول: لست لها ؛ ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها ؛ ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وحكمته، فيأتون عيسى عليه السلام فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتونى فأقول: أنا لها فانطلق فاستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله ﷻ ثم أخر له ساجداً فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه. واشفع تُشفَّع، فأقول أمتى . أمتى .. فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بُرة أو شِعيْرة من إيمان فأخرجه منها .. فأنطلق فأفعل، ثم أرجعُ إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه، واشفع تُشفع، فأقول: أمتى . أمتى، فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها .. فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه. واشفع تُشفع، فأقول يا رب: أمتى . أمتى، فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من

الإيمان فأخرجه من النار .. فأنطلق فأفعل }[١]

هذا حديث أنس الذى أنبانا به فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبانة قلنا: لو دخلنا إلى الحسن نسلم عليه وهو مستخف فى دار أبى خليفة، فدخلنا وسلمنا عليه وقلنا له: يا أبا سعيد خرجنا من عند أخيك أبى حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثنا به فى الشفاعة، قال: هيه ؛ فحدثناه الحديث، فقال: هيه ؛ قلنا: ما زادنا، قال: قد حدثنا به من منذ عشرين سنة وهو يومئذ جمع، ولقد ترك شيئاً ما أدرى أنس الشيخ أم كره أن يحدثكم به؟ قلنا له: حدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه، ثم قال: قال ﷺ { أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجداً فيقول لى مثل ما قال فى الأول، فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله، قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله}[٢] فاشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك قرأه قبل عشرين سنة وهو يؤمئذ جمع .. فانظر رحمك الله ما تضمنه هذا الحديث من فخامة قدره ﷺ وجلالة أمره، وأن أكابر الرسل والأنبياء لم ينازعوه فى هذه الرتبة التى هى الشفاعة العامة فى كل من تضمنه المحشر .

فإن قلت: فما بال آدم أحال على نوح فى حديث، وعلى إبراهيم فى هذا، ودل نوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وموسى على عيسى، وعيسى على محمد ﷺ ولم تكن الدلالة على محمد ﷺ من الأول .

فاعلم: أنه لو وقعت الدلالة على رسول الله ﷺ من الأول لم يتبين من هذا الحديث أن غيره لا يكون له هذه الرتبة فأراد الله ﷻ أن يدل كل واحد على من بعده، كل واحد يقول: لست لها، مسلماً للرتبة غير مدع لها حتى أتوا عيسى عليه السلام فدل على رسول الله ﷺ فقال: أنا لها .

وفى الحديث من الفوائد: أن الإيمان يزيد وينقص ؛ وفيه من الفوائد: أن المعارف لا

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (١٧٩/٩)، ومسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده (٢/٣) وابن شيبة فى الإيمان (٣٢٦) والترمذى (٣٦١٨) وحسنه وأخرج أبو يعلى فى الشفاعة حديث آخر (٣٩٦٧،٣٩٧٣/٧) والإحسان فى تقريب صحيح بن حيان (٦٤٧٥/١٤) و (٦٨٩٩/١٥) والخصائص (٢٢/٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١ / ١٨٠) رقم (١٩٣)، الجامع الصغير المختصر (٤ / ١٦٢٤) رقم (٤٢٠٦) من حديث انس رضي الله عنه، والحاكم فى المستدرك (١ / ١٣٥) رقم (٢٢٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد غير أن الشيخين لم يحتجا بمحمد بن ثابت البنانى وهو قليل الحديث يجمع حديثه والحديث غريب فى أخبار الشفاع ولم يخرجاه. وانظر حديث الشفاعة فى حسن الظن بالله ص ٧٠ رقم (٦١)، ومسند ابن يعلى (٥ / ١٧٢) رقم (٢٧٨٦) بتمام لفظه)

تتناهى لقوله ﷺ { لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله ﷻ }[١] ويشهد له قوله ﷺ { لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك }[٢] ويشهد له قوله ﷻ ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[٣] إلى غير ذلك من الفوائد التى لو تكلمنا عنها خرجنا عن غرض الكتاب .

ولقد سمعت شيخنا العباس ﷺ يقول: جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا ﷺ هو عين الرحمة، قال الله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٤] فدعا ﷺ إلى الله تعالى بالبصيرة الواضحة، والبينة الفائقة، وقرب المدارك، وبين المسالك، وحث على سلوك سبيل الهدى، واجتناب سبيل الردى، فما ترك شيئاً يقرب إلى الله تعالى إلا ودعى إليه، ولا أدباً يصلح أن يكون العبد به مع الله تعالى إلا حث عليه، ولا شيئاً يشغل عن الله تعالى إلا وحذر العباد منه، ولا عملاً يقطعهم عن الله تعالى إلا وأخرجهم عنه، لا يألو نصحاً فى تخليص العباد من أوحال القطيعة ومواطن المهالك إلى أن ترحل ليل الشرك وانفضت أغياره وأضاء نهار الإيمان وأشرقت أنواره فرفع ﷺ من الدين لواءه وتمم نظامه وقرر فرائضه، وأحكامه وبين حلاله وحرامه، وكما بين للعباد الأحكام كذلك فتح لهم باب الإفهام، حتى قال الراوى: لقد تركنا رسول الله ﷺ وأن الطير ليتحرك فى السماء فنستفيد منه علماً بحق، قال الله تعالى ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[٥] وقال ﷻ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾[٦]

وقال ﷺ { تركتها بيضاء نقية }[٧] فجزاه الله خير ما يجزى نبياً عن أمته. ولما أكمل ﷺ البيان لسبيل الرشاد وأظهر المسالك الموصلة إلى الله تعالى للعباد، توفاه الله تعالى إلى الدار التى هى خير له وأولى بعد أن خير فاختار الرفيق الأعلى، ثم جعل الله تعالى الدعاة فى أمته أبداً ودائماً سرمداً بما ورثوا منه وأخذوا عنه وقد شهد لهم الحق بذلك وجعلهم أهلاً لما هنالك قال الله ﷻ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]

قال الشيخ أبو العباس ﷺ: أى معاينة تعين سبيل كل واحد من الأتباع فتحمله

---

(١) أخرجه الدارقطنى فى كتاب السنن (٢/٢١٠)

(٢) أخرجه أحمد فى سنده (٦/٥٨)، والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٢/٧١)

(٣) (طه: ١١٠) (٤) (الأنبياء: ١٠٧)

(٥) (البقرة: ٢٥٦) (٦) (المائدة ٣)

(٧) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه (١/٤٢٨) رقم (٦١٣) والديباج على صحيح مسلم (٢/٢٧٢) رقم (٦٢١) وتهذيب الكمال (٣٢/١٨٨) رقم (٧٠٢١) وانظر العلل الواردة فى الأحاديث النبوية (٢/٩٨) رقم (١٤٠) والنهاية فى غريب الأثر (٥/٢٨٢) وضعفاء العقيلى (٢/٢١) رقم (٤٣٧) من حديث مبشر بن موسى. ولسان الميزان (٢/٤٠٨) رقم (١٦٧٧)

عليها ودليل ما قال الشيخ ﷺ اختلاف وصاياه ﷺ لأصحابه علي حسب اختلاف سبيلهم فقال ﷺ لبلال ﷺ { انفق بلالا ولا تخشى من ذى العرش إقلالاً }[١] وقال لآخر أراد أن ينخلع عن ماله كله { أمسك عليك مالك فأنك إن تدع ورثتك أغنياء خيراً لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس }[٢] وقال رجل: أوصنى؟ فقال ﷺ { استح من الله كما تستحى من رجل صالح من قومك }[٣] وقال له آخر: أوصنى؟ فقال له ﷺ { لا تغضب }[٤]

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: فتح الحق ﷻ بقوله ومن اتبعنى باب البصائر للأتباع. يريد الشيخ أن قول الله ﷻ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[٥] أى: ومن اتبعنى يدعوا إلى الله على بصيرة على ما تقتضيه اللسان لأنك إذا قلت: زيد يدعوا إلى السلطان على نصيحة هو وأتباعه، أى: وأتباعه يدعون إلى نصيحة، إذا ثبت هذا فالرسول ﷺ يدعوا على بصيرة الرسالة الكاملة والأولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية، وقد قال ﷺ { العلماء ورثة الأنبياء }[٦] .

وقال ﷺ { فإن الأنبياء لا يورثون ديناراً ولا درهماً وإنما يورثون العلم } وقال ﷺ { علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل }[٧] وها هنا نكتة وهو أنه ﷺ لم يقل: علماء أمتى كرسل بنى إسرائيل، فمن الناس من ظن أن النبى ﷺ هو الذى نبئ فى نفسه والرسول هو الذى أرسل لغيره ؛ وليس الأمر كما ظن هذا القائل وإن كان كذلك فلم خص الأنبياء دون الرسل بالذكر فى قوله { علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل } ومما يدلك على بطلان هذا المذهب، قوله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ ﴾[٨] فدل على أن حكم الإرسال يعممهما وإنما الفرق ما قال بعض أهل العلم أن النبى لا يأتى بشريعة جديدة وإنما يجىء مقرراً لشريعة من كان قبله، كيوشع بن نون فإنه أتى مقرر لشريعة موسى ﷺ وآمراً

---

(١) أخرجه: السيوطى فى جمع الجوامع (٤٥٨٤)، والطبرانى فى المعجم الكبير (١٩٢/١٠)، وابن كثير فى تفسيره (٤٣٩/٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٢٨٠/٢) (٢٧٤/٦)

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٤٥٤/٣)

(٣) انظر: تاريخ واسط (١ / ٢٠٩) من حديث سعيد بن زيد عن ابن عم له .

(٤) صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٥/٨)، واحمد فى مسنده (١٧٥/٢، ٣٦٢)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٦١٥) وابن عبد البر فى التمهيد (٤٠٣)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٦٩/٨)، والطبرانى فى المعجم الكبير (٢/ ٢٩٣)، والزبيدى فى اتحاف السادة (٤/٨)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى (٣٨/٧) .

(٥) (سورة يوسف: ١٠٨) .

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٢٣) والزبيدى فى اتحاف السادة المتقين (٧١/١) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٢٨٦٧٩) والقرطبى فى تفسيره (٤١/٤) والبخارى فى تاريخه الكبير (٣٣٧/٨) والعجلوانى فى كشف الخفاء (٢٢/٢) .

(٧) أخرجه العجلوانى فى كشف الخفاء (٤١/٢) والشوكانى فى الفوائد المجموعة (٨٨٦) والسيوطى فى الدرر المنتثرة فى *الأحاديث المشتهرة* (١١٣) وعلى القارئى فى الأسرار المرفوعة (٢٤٧) والألبانى فى الضعيفة (٦٦) .

(٨) (الحج: ٥٠) .

بالعمل بما فى التوراة ولم يأت بشرع جديد، والرسول كموسى عليه السلام إنما أتى بشرع جديد وهو ما تضمنته التوراة ؛ فقال ﷺ { علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل } أى: يؤتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد .

أعلام وبيان: اعلم أن قوله ﷺ { العلماء ورثة الأنبياء، علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم إلا أن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم } وقوله تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ [1] وقال الذين أوتوا العلم ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[2] وحيثما وقع العلم فى كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإنما المراد به العلم النافع المحمد للهوى القامع الذى تكتنفه الخشية، وتكون معه الإنابة،قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[3] فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علماً، وقال داود عليه السلام (يا رب ما علم من لم يخشك ما خشيك من لم يطع أمرك) فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية لله، وشاهد الخشية موافقة الأمر، ما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملك لأربابها وصرف الهمة إلى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء، وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه . ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهى تحرق نفسها . جعل الله العلم علمه من هذا وصفة حجة عليه وسبباً فى تكثير العقوبة لديه، لا يغرنك أن يكون به انتفاع البادى والحاضر، فقد قال ﷺ { إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر }[4] ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل إليه، ومثل من قطع الأوقات فى طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة. إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة، ولقد سأل رجل الحسن البصرى عن مسألة فأفتاه فيها، فقال الرجل للحسن: قد خالفك الفقهاء، فزجره

---

(1) (آل عمران: ١٨) (2) (العنكبوت: ٤٩)

(3) (فاطر: ٢٨)

(4) صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٩/د) والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/ ١٩٧) والعجلونى فى كشف الخفاء (٦٥/٢) .

الحسن وقال: ويحك وهل رأيت فقيهاً؟ إنما الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه .

وسمعت شيخنا العباس ﷺ يقول: الفقيه من انفقأ الحجاب عن عينى قلبه، وإذا عرفت أن الدعاء إلى الله لا يزال أبداً فاعلم أن الأنوار الظاهرة فى أولياء الله إنما هى من إشراق أنوار النبوة عليهم، فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس وأنوار قلوب الأولياء كالأقمار، وإنما أضاء القمر لظهور نور الشمس فيه ومقابلته إياها فإذا الشمس منيرة نهاراً ومضيئة ليلاً لظهور نورها فى القمر المدود منها، فإذا هى لا غروب لها فقد فهمت من هذا أنه يجب دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور نور رسول الله ﷺ فيهم .

فالأولياء آيات الله يتلوها على عباده بإظهار إياهم واحداً بعد واحد ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾[١]

وقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: فى قوله ﷻ ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾[٢] أى: ما من ولى الله إلا وتأتى بخير منه أو مثله .

وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله أينقصون فى زمن، فقال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص إمدادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان الله ﷻ وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم. فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجح فيهم الموعظة ولا تمليهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم، ولذا قالوا: أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس المجرمون، وقد قال ﷺ { لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم }[٣] .

فإذا كان الله ﷻ وصانا على لسان نبيه ﷺ لا تؤتى الحكمة غير أهلها، فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا وقد قال ﷺ { إذا رأيت هوى متبعاً وشحا مطاعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك }[٤] فسمعوا وصية رسول الله ﷺ فآثروا الخلفاء بل آثر الله لهم ذلك، مع أنه لابد أن يكون منهم فى ا لوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحجة سالكون للمحجة لقول رسول الله ﷺ { لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق

---

(١) (الجاثية : ٦) (٢) (البقرة ١٠٦)

(٣) أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح (٥ / ٥١) رقم (٢٦٨٧) من حديث أبى هريرة –، وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدنى المخزومى يضعف فى الحديث من قبل حفظه، انظر تهذيب *التهذيب* (١ / ١٣١) رقم (٢٧٠) .

(٤) انظر: خلق أفعال العباد (٦٣/١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ بزيادة فى لفظه { وذر عنك أمر الحاجة } .

لا يضرهم من ناوأهم إلى يوم قيام الساعة }[١]

وقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجه من مخاطبته لحميد بن زياد (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجتك، أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا، قلوبهم معلقة بالمحل، الأعلى أولئك خلفاء الله فى عباده وبلاده واشوقاه إلى رؤيتهم) .

وروى الإمام الربانى محمد بن على الترمذى ﷺ فى كتاب الختم[٢] له يرفعه إلى ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره }[٣] .

وروى أيضا يرفعه إلى أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ { خير أمتى أولها وآخرها وفى أوسطها الكدر } .

وروى أيضا يرفعه إلى عبد الرحمن بن سبرة قال: جئت مبشراً من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر. وزيد وابن رواحة ومن معهم، بكى أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام { ما يبكيكم } فقالوا: وما لنا لا نبكى وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا . فقال ﷺ { لا تبكوا إنما أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب رواكيها وهيأ مسالكها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخاً والذى بعثنى بالحق ليتخذن ابن مريم من أمتى حنفاء من حواريه }[٤] .

وروى أيضا يرفعه إلى سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ { إن فى أصلاب أصلاب رجال من أصحابى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٥]} .

وروى أيضا يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال { فى كل قرن من أمتى سابقون } .

واعلم: جعلك الله من خاصة عباده وعرفك لطائف وداده أنه سواء منهم الظاهر

---

(١) عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال: أتيت ابن مسعود ﷺ فذكر هذا أو اعتبر بقول النبى ﷺ { اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون. وإذا رأيت هوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك وذر عنك أمر العامة } انظر خلق أفعال العباد ص ٦٣ .

(٢) (ختم الأولياء) من أهم كتب الترمذى وهو مخطوط ولم يطبع

(٣) وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن النبى ﷺ قال { خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم } وأخرج الإمام أحمد فى مسنده والترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال { أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يحلفوا حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد }

(٤) أخرجه المتقى الهندى فى كنز العمال .

(٥) سورة الجمعه (٣)

والخفى والصديق والولى، فساد الوقت لا يكدر أنوارهم، ولا يحط مقدارهم، لأنهم مع المؤقت لا مع الأوقات، فمن كان مع المؤقت لا يتغير بتغيير الوقت شيئا، ومن كان مع الوقت تغير بتغييره وتكدر بتكدره .

وقد قال الإمام أبو عبد الله الترمذى ﷺ (الناس صنفان: صنف منهم عمال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى فهم يحتاجون إلى خير الزمان وإقبال دولة الحق لأن تأيدهم من ذلك، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ولا يضرهم إدباره) وهو قول رسول الله ﷺ { إن لله عباداً يغزوهم برحمته يحييهم فى عافيته ثم تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم }[١].

وقوله ﷺ { يكون فى أمتى فتنة لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم }[٢] قال الترمذى: يعنى بالعلم بالله فيما يرى .

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: رجال الليل هم الرجال وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشىء من الغنى واليقين، فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس . واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك .

وقال بعض العارفين: إن لله عباد كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم، فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوى إشراقها، وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه، أنوار الكواكب تنكدر، وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها، وأنوار الكواكب تهدى إلى الدنيا، وأنوار قلوب أوليائه تهدى إلى الله . ولنا فى هذا المعنى شعر:

أمرتقب النجوم من السماء نجوم الأرض أبهى فى الضياء
فتلك تبين وقتا ثم يهذى وهذى لا تكدر بالخفاء
هداية تلك فى ظلم الليالى هداية هذه كشف الغطاء

وقال صوفى يوما بحضرة فقيه: إن لله عباداً هم فى أوقات المحن والمحن لا تضرهم فقال ذلك الفقيه: هذا ما لا أفهمه . فقال الصوفى: أنا أريك مثال ذلك، الملائكة الموكلون بالنار هم فى النار . والنار لا تضرهم .

---

(١) أخرجه ابن حجر فى لسان الميزن (١١١/٦)
(٢) أخرج ابن ماجة (٢ / ١٣٠٥) رقم (٢٩٥٤) من حديث أبى إمامة قال: قال رسول الله ﷺ { وستكون فتنة يصبح فيها الرجل مؤمناً ويمسى كافراً إلا من أحياه الله بالعلم } والدارمى فى السنن (١ / ١٠٩) رقم (٣٣٨) .

وسمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول:\الدنيا كالنار وهي قائلة للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نور قناعتك لهبي . وأعلم أن شأن الولاية والولى عظيم، والخطب فيهما جسيم ويكفيك في ذلك ما حدثنا به الشيخ السيد الجليل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن اسحق ابن محمد بن المؤيد الأبرقوهي رحمه الله تعالى قال: أنبأنا أبو بكر عبد الله بن سابور القلانس الشيرازى بها سنة تسعة عشر وستمائة، قال: أخبرنا الإمام أبو المبارك عبد العزيز ابن محمد بن منصور الشيرازى الآدمى قراءة عليه، وأنا أسمع في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، قال: حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز ابن الحارث بن التميمي الحنبلي، أملاه في يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بأصبهان قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهدى الفارسي قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن المخلد بن حفص العطار الخطيب الدوري . حدثنا: محمد بن عثمان بن كرامة بن خالد بن مخلد، عن سليما بن بلال عن شريك بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { إن الله ﷻ قال: من عاد لى وليا فقد آذنني بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضتُ عليه وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه }[١] .

وهذا الحديث أخرجه البخارى في صحيحه. وقد روى هذا الحديث من طريق آخر { فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا } فأصغ رحمك الله تعالى إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولى وفخامة رتبته حتى ينزله الخالق ﷻ هذه المنزلة ويحله هذه الرتبة، فقوله ﷺ عن الله ﴿ من عادى لى وليا فقد آذنني بالحرب ﴾ لأن الولى قد خرج عن تدبيره إلى تدبير الله ﷻ وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله ﷻ وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى . وقد قال الله ﷻ ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٢] وقال ﷻ ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] وكان ذلك لهم لأنهم

(١) صحيح: أخرجه البخارى في صحيحه (٢٣٨٤/٥) وابن حبان في صحيحه (٥٨/٢) والبيهقى في الكبرى (٣٤٦/٣) والقرطبى في تفسيره (١٣٥/٦) وابن كثير في تفسيره (٥٨٠/٢) ونوادر الأصول (٢٦٥/١) وفتح البارى (٣٤٤/١١) و (٣٤٧/١١) وابن رجب في جامع العلوم والحكمة (٣٥٧/١) .

(٢) (سورة الطلاق: ٣) (٣) (سورة الروم: ٤٧)

جعلوه مكان همومهم فدفع عنهم الأغيار وقام لهم بوجود الانتصار .

وأخبرنى الشيخ شهاب الدين الأبرقوهى قال: دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ فسمعته يقول: يقول الله ﷻ ﴿ عبدى اجعلنى مكان همك أكفيك همك . عبدى ما كنت بك فأنت فى محل البعد . وما كنت بى فأنت فى محل القرب ﴾ .

وقد جاء فى الحديث ﴿ من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ﴾ [٣] فإذا كان الحق ﷻ قد رضى لهم أن يشغلهم ذكره عن مسئلته، فكيف لا يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم، ومن عرف الله تعالى أفسد عليه باب الانتصار لنفسه إذ العارف قد اقتضت له معرفته أن لا يشهد فعلاً لغير معروفه، فكيف ينتصر من الخلق من يرى الله تعالى فعلاً فيهم، فكيف يدع أولياءه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه سلماً واستسلموا لما يرد عنه حكماً، فهم فى معاقل عزه تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شىء، إلا من ذكره ويقطعهم عن كل شىء إلا عن حبه، ويختارهم من كل شىء إلا من وجود قربه، ألسنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بأنواره بهجة، وطن لهم وطناً بين يديه فقلوبهم حائمة فى حضرته وأسرارهم محققة لشهود أحديته .

ولقد سمعت شيخنا العباس ﷺ يقول: ولى الله تعالى مع الله كولد اللبوة فى حجرها أتراها تاركة ولدها لم أراد اغتياله .

وقد جاء فى الحديث أنه ﷺ كان فى بعض غزواته امرأة تطوف على ولدها رضيع فلما وجدته جثت عليه وألقمته الثدى فنظر الصحابة إليها متعجبين، فقال ﷺ { الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها }[٤] ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربته لأعدائهم إذ هم حمال أسراره ومعادن أنواره، وقد قال ﷻ ﴿ اللهُ وَلِىُّ الذِينَ آمَنُوا ﴾[٥] وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[٦] .

غير أن مقابلة الحق ﷻ لمن آذى ولياً ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله تعالى، ولأن الله ﷻ لم يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه، كما لم يرضها أهلاً لإثابة أحبابه، وإن كانت معجلة فقد تكون قساوة فى القلب أو جمود فى العين أو تتويقاً عن

---

[٣] أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (١/١٢١) والنووى فى شرحه على صحيح مسلم (١٧/٤٨) .
[٤] متفق عليه : أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/٢٢٣٥) ومسلم (٤/٢١٠٩) وابن كثير ف تفسيره (١/١٩٣) والهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢١٣) ومسند عبد بن حميد (١/١٨٧) والبيان والتعريف (١/١٣٥) وكشف الخفاء (٢/٥٤٩) .
[٥] (البقرة: ٢٥٧)
[٦] (الحج ٣٨)

طاعة أو وقوعاً فى ذنب أو فترة فى الهمة لو سلب لذاذة خدمته .

وقد كان رجلاً من بنى إسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه، فقال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبنى، فأوحى الله تعالى إلى نبى ذلك الزمان : أن قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر، ألم أسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة مناجاتى . وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى ولياً من أولياء الله تعالى بالسلامة إذا لم ترى عليه محنة فى نفسه وماله وولده فقد تكون محنة أكبر من أن يطلع العباد عليها، وقوله ﷺ حاكياً عن الله ﷻ ﴿ **وما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم** ﴾[1] فاعلم أن الفرائض التى اقتضاها الحق ﷻ من عباده على قسمين: ظاهرة .. وباطنة:

فالظاهرة: الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبر الوالدين، وإلى غير ذلك .

والباطنة: العلم بالله والحب له والتوكل عليه والثقة بوعده والخوف منه والرجاء منه، إلى غير ذلك ، وهى أيضاً تنقسم على قسمين: فعل وترك، شىء اقتضى الحق منك أن تفعله، وشىء اقتضى الحق منك أن لا تفعله، وقد جمع ذلك فى آية واحدة فقال الله تعالى ﴿ **إِنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدل والإحسان وإيتاءِ ذى القُربىٰ** ﴾[2] فهذا أمر طلب منك أن تفعله ثم قال الله تعالى ﴿ **ويَنْهَيٰ عن الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والبَغْى** ﴾[3] فهذا أمر اقتضى منك أن تتركه

ثم اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن الله تعالى لم أمر العباد بشىء وجوباً أو يقتضيه منهم ندباً إلا والمصلحة لهم فى فعل ذلك الأمر ولم يقتضى منهم ترك شىء تحريماً أو كراهة إلا والمصلحة لهم فى تركه، أمرهم بتركه وجوباً أو ندباً ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى أنه يجب عليه رعاية مصالح عباده، بل إنما تقول ذلك عادة الحق وشريعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل، فليت شعرى إذا قالوا: يجب على الله رعاية مصالح عباده، فمن هو الموجب عليه؟ ثم إذا نظرنا فرأينا كل مأمورية أو مندوب إليه يستلزم الجمع على الله وكل منهى عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه، فإذا مطلوب الله تعالى من عباده وجود الجمع عليه .

ولكن الطاعات هى أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها، والمعصية هى أسباب

---

[1] أخرجه الزبيدى فى الاتحاف (٤٧٧/٨)
[2] (النحل: ٩٠)
[3] (الإسراء: ٧٩)

التفرقة ووسائلها، فلذلك نهى عنها، وأما الفرائض الظاهرة فلا تنفك عن فروض باطنة وفرائض الباطنة شروطها وعمدة لها، وبين الفروض الظاهرة والباطنة ما بين الظاهر والباطن وافهم هاهنا قوله ﷺ {نية المؤمن خير من عمله}[١] وكذلك الذنوب الباطنة كبائرها وصغائرها أشد من الذنوب الظاهرة كبيرها وصغيرها، ولما كانت الفرائض اقتضاها الحق من عبده اقتضاها إلزام حتمه عليه لم يدخل العبد فيها إلا باختيار الله تعالى له، فاندفع هوى العبد فيها لأن الله ﷻ وقت إعدادها وإمدادها وأسبابها: فلما كان ذلك كان قيام العبد فيها منقطعاً عن اختياره لنفسه راجعاً إلى اختيار الله تعالى له، فأوجبت القرب من الله تعالى ما لم يوجبه غيرها، فلذلك قال ﴿ ما تقرب المتقربون ﴾ بمثل أداء ما افترضت عليهم، قال ﴿ وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ﴾ واعلم أن النوافل هى الزيادة، ولذلك يسمى النفل نفالاً وهو ما ينفله الإمام لمن يراه زائداً على نصيبه من الغنيمة، قال الله ﷻ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾[٢] أى: زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرائض لك.

واعلم أنه ﷻ لم يوجب شيئاً من الواجبات غالباً إلا وجعل من جنسه نافلة حتى إذا قام العبد بذلك الواجب وفيه خلل جبر بالنافلة التى هى من جنسه، ولذلك جاء فى الحديث { أنه ينظر فى صلاة العبد فإن قام بها كما أمره الله تعالى جوزى عليها وأثبتت له، وإن كان بها خلل كملت من نافلته }[٢] حتى قال بعض أهل العلم إنما تثبت لكم نافلة إذا سلمت لك الفريضة، ويعلم الله تعالى أن فى عباده المؤمنين أقوياء وضعفاء كما جاء فى الحديث { المؤمن القوى خيراً وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف }[٣] وفى كل خير، ففسح على الضعفاء بالاكتفاء بالواجبات وفتح للأقوياء باب النوافل الخيرات، فعباد أنهضهم إلى القيام بالواجبات، خوف عقوبته فقاموا لها تخليصاً لأنفسهم من وجود الهلكة وملاقاة العقوبة، فما قاموا لله شوقاً وطلباً للوفاء مع ربوبيته، فلو قوبلوا بالمحاقفة لم يقبل منهم قيامهم هذا لأنهم لم ينهضوا إلا لأجل نفوسهم ولم يطلبوا إلا حظوظهم، فقاموا لواجبات

---

(١) عن سهل بن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ { نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملاً فار فى قلبه نور } انظر المعجم الكبير (٦/١٨٥) رقم (٥٩٤٢)، وتاريخ بغداد (٩/٢٣٧) رقم (١/٤٨) بلفظ { وعمل الكافر }، وانظر ابن حجر فى الفتح (١/١٨) فى شرحه للنية رقم (١)، وانظر مسند الشهاب (١/١١٩) رقم (١٤٨) من حديث النواس بن سمعان الكلابى قال: قال رسول الله ﷺ { نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله }

(٢) انظر: فيض القير (٣ / ٩٥) .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه (١/٣١) رقم (٧٩) بزيادة لفظه { ومن ل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شىء فلا تقل لو إنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان }

الله تعالى مجرورين بسلاسل الإيجاب كذلك جاء في الحديث { عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل }[١] .

وأما العباد الآخرون فعندهم من غليان الشغف وجود الحب ما ليس تكفيهم الواجبات بل قلوبهم منفلتة إلى الله تعالى من عوائق هذه الدار، فلو لم يحجز عليهم التنقل بالصلوات في أوقات النهي لسردوا الأوقات بها، ولحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون، ومما يدلك على أن الناس انقسموا على هذين القسمين، أن رسول الله ﷺ قال في حديث { بادروا بالأعمال سبعاً هل ينظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مقعداً، أو هرماً مقيداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر }[٢] فهذا الحديث يقتضي إنهاض الهمم إلى معاملة الله تعالى، والحث على المبادرة إلى طاعة الله تعالى، ومسابقة العوارض والقواطع قبل ورودها، فهذا خطاب للفريق الأول، فطالبهم الرسول ﷺ بالمبادرة بالأعمال وجاءت أحاديث أخرى آمرة العباد بالاقتصاد في الطاعة لئلا يطيعوا باعث الشغف فيحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون فيؤدى ذلك إلى عجزهم عن طاعة الله تعالى أو قيامهم فيها بوجوب التكلف .

وقال ﷺ { أكفلوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتي تملوا }[٣] وقال { القصد، القصد تبلغوا }[٤] وقوله { أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق }[٥] وقوله { ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى }[٦] ومثل القائم بالواجبات المكتفى بها والقائم بها وبالنوافل كمثل عبدين خارجهما المالك على أربعة دراهم كل يوم فأما إحداهما فقام بها ولم يزد، وأما الآخر فقام بها وعمد إلى ظروف الفواكه وغرائب التحف فاشتراها وأهداها إلى السيد، فهو لا شك أولى بود السيد من العبد الآخر .

وقوله تعالى ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ﴾ الحديث معناه وجود البقاء بعد الفناء فتمحى أوصافك .

وسمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: إن لله تعالى عبادا محق أفعالهم بأفعاله،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢٥١) .
(٢) أخرجه الترمذى (٢٢٦٠) والحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب (٤ / ٢٥٠) والسيوطي في الدرر المنثور (٦ / ١٣٧)، وابن عدى في الكامل في الضعفاء (٦ / ٢٤٣٤)، والمتقى الهندى في كنز العمال (٤٣٥٦٧) .
(٣) أخرجه أبو داود (١٣٦٨)، والنسائي (٢ / ٦٨) .
(٤) صحيح: أخرجه البخارى في صحيحه (٨ / ١٢٢) وأحمد في مسنده (٢ / ٥١٤) .
(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ١٨) وابن المبارك في الزهد، وابن عبد البر في التمهيد (١ / ١٩٥) .
(٦) أخرجه ابن ماجه (٢ / ٢٧) والزبيدى في اتحاف السادة (٥ / ١٦١) .

وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، و حملهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات، فهى إذن فئات ثلاث:

أن يفنك عن أفعالك بأفعاله، وعن أوصافك بأوصافه، وعن ذاتك بذاته، ولذلك قال قائلهم:

وقوم تاه فى أرض بقفز　　　وقوم تاه فــى ميدان حــبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا　　　وأبقوا بالبقاء من قرب قربه

فإذا أفناك عنك أبقاك به، فالفناء دهليز البقاء ومنه يدخل إليه . فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه . ومن كان عما سوى الله تعالى فناؤه كان بالله تعالى بقاؤه . ولذلك قالوا:

من كان فى الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه . فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم . الفناء يوجب غيبتهم عن كل شىء والبقاء يحضرهم مع الله فى كل شىء فلا يقطعون عنه فى شىء . الفناء يميتهم ، البقاء يحييهم، ومن دكت جبال وجوده استمع داعى شهوده، قال الله ﷻ ﴿ ويَسْألونَكَ عَنِ الجِبالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لاَ تَرَى فِيهَا عوَجًا وَلاَ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّعِىَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إلا هَمْسًا (١٠٨) ﴾[1] وصاحب البقاء يقوم عن الله تعالى، وصاحب الفناء يقوم الله تعالى عنه .

وقوله تعالى ﴿ وما ترددت فى شىء أنا فاعله تردد عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾

واعلم رحمك الله تعالى أن التردد يجب تأويله ولا يحمل على ظاهره وإنما التردد فى المخلوقين إما لتقابل الحوادث، وإما لأنها من العواقب، وذلك محال فى حق الحق ﷻ.

وإنما المراد بالتردد هاهنا أن سابق علم الله يقتضى وفاة العبد بالوقت الذى سبق العلم بتعيينه . وصفة الرأفة تقتضى دفع ذلك لولا ما سبق العلم، وقد أشار ﷻ إلى صفة الرأفة بقوله ﴿ يكره الموت وأكره مساءته ﴾ وأشار إلى صفة العلم بقوله ﴿ ولا بد له منه انعطاف ﴾ . اعلم رحمك الله تعالى بإقباله عليك وجعل أنواره وأصله إليك، أنهما ولايتان، ولى يتولى الله وولى يتولاه الله تعالى . قال الله ﷻ فى الولاية الأولى ﴿ وَمن يتَوَلَّ الله وَرَسُولهُ والذينَ آمنُوا فإنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغالبُونَ ﴾ .

---

[1] (طه : ١٠٥ إلى ١٠٨)

وقال في الولاية الثانية ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: من أجل مواهب الله تعالى الرضا بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله تعالى عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأربع من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة، ومتابعة السنة، والاقتداء بالأئمة، فقد صحت ولايته لله ولرسوله والمؤمنين . ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ الله ورَسولَهُ وَالذين آمَنُوا فإنَّ حَزْبَ الله هُمُ الغالبُونَ ﴾ [1]

ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة، فقد تمت ولاية الله تعالى له بقوله ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ ففرق بين الولايتين، فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه الله تعالى، فينا ولايتان صغرى وكبرى، فولايتك لله تعالى خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته، وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالأئمة، فافهم ذلك من قوله ﴿ ومن يتول الله ورسوله ﴾ الآية، واعلم رحمك الله تعالى بورود عواطفه وفهمك لطائف عوارفه إن الصلاح في قوله ﷻ ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ ليس مرادا به الصلاح الذى يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب، فيقولون صالح وشهيد، وولى، بل الصلاح هنا المراد به، الذين صلحوا لحضرته، بتحقق الفناء عن خليقته .

ألم تسمع قول الله ﷻ حاكيا عن يوسف ﷺ ﴿ توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾ أراد بالصالحين هذا المرسلين من آبائه لأن الله تعالى أهلهم لنبوته ورسالته، فكانوا لها أهلا. وإن شئت قلت: هما ولايتان ولاية الإيمان وولاية الإيقان، فولاية الإيمان قال الله ﷻ ﴿ الله ولى الذين آمنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُلُماتِ الى النُّورِ ﴾[2] وفى هذه الولاية فوائد:

الفائدة الأولى: اختصاص اسم الله تعالى بالذكر فى هذا الموطن دون ما سواه من الأسماء فقال الله ﷻ ﴿ اللهُ ولى الذينَ آمنُوا ﴾ ولم يقل الرحمن ولا القهار، ولا غير ذلك من الأسماء التى تتضمن الأوصاف؛ لأنه أراد أن يعرفك بشمول ولايته لسائر المؤمنين من الاسم الجامع لجميع الأسماء، فلو ذكر اسما من أسماء الأوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الاسم .

الفائدة الثانية: ربط الولاية بالإيمان ليعرفك غزارة قدر الإيمان وعلو منصبه، حيث كان سبباً لثبوت ولاية الله تعالى للعبد، ولا يفهم من هذه الآية اختصاص الولاية بمن وقِ

---

[1] المائدة: ٥٦) (٢) (البقرة: ٢٥٧)

منه الإيمان قبل نزول هذا الخطاب لإتيانه بصيغة الماضى، بل المراد من قام به الإيمان وجبت ولاية الله تعالى له، أى وقت كان ذلك الإيمان، وقد تساق الأفعال على صيغة خاصة وليس المراد خصوص تلك الصيغة كما تقول: قد أفلح من آمن وخاب من كفر .. ألا ترى أن المراد بالأول: قد أفلح من كان منه إيمان، وقد خاب من كان منه كفر، من غير تعرض لزمان معين .

الفائدة الثالثة: قال ﷻ ﴿ **يُخرجهُمْ مِنَ الظُلماتِ إلى النُّورِ** ﴾[1] على وسع رحمته وسبوغ نعمته إذ لما قال ﴿ **الله وَلِىٌّ الذين آمنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلمَاتِ إلى النُّورِ** ﴾[1] علم أنهم قد يدخلون فى الظلمات ولكن الله تعالى لولايته إياهم يتولى إخراجهم كما قال فى الآية الأخرى ﴿ **والذينَ إذاَ فعَلوا فاحِشَةً أو ظَلَمُوا أنْفُسهُمْ ذَكرَوا الله** ﴾[2] الآية تساق المدح للمؤمنين كما ساق قوله ﴿ **يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلمَاتِ إلى النُّورِ** ﴾ فساق البشارة لهم ولم يقل (والذين يفعلون الفاحشة) إذا لو قال ذلك لم يدخل فيها إلا أهل الاعتناء الأكبر، وكذلك قوله تعالى ﴿ **وَالكاظِمينَ الغَيظَ** ﴾[3] وكذلك قوله تعالى ﴿ **وإذا ما غَضبُوا هُم يَغْفِرُونْ** ﴾[4] فمدحهم بالمغفرة بعد الغضب ولم يقل (والذين لا يغضبون) فيصفهم بفقدان الغضب أصلاً، إذا الصفة التى هم متصفون بها لا تقتضى ذلك .

الفائدة الرابعة: إعلام الحق ﷻ فى هذه الآية للمؤمنين بشارة عظيمة تتضمنها ولايته لأنها تضمنت كل خير من خير الدنيا والآخرة من نور وعلم وفتح وشهود ومعرفة ويقين وتأييد ووجود ومزيد وحور وقصور وأنهار وثمار، ورؤية الله تعالى ورضاء عن الله تعالى، وما بين ذلك من الحشر مع المتقين وأخذ الكتاب باليمين وثقل الميزان بالحسنات والثبات على الصراط، وما سوى ذلك من المنح والمواهب تتضمنه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهى البشارة التى تضمنت كل بشارة .

واعلم أن ولاية الله تعالى تتضمن النفع والدفع، أما النفع فمن قوله ﴿ **فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنت فَنَفَعها إيمانُها** ﴾[5] ومن قوله ﴿ **فَلَم يَكُ يَنفَعُهُم إيمَانُهم لَمَّا رَأواْ بَأسَنَا** ﴾[6] وهذا فى صفة الكافرين. فمفهومه أن الإيمان ينفع المؤمنون ولو عند رؤية الناس، وكذلك قوله ﴿ **يَوْمَ يَأتِى بَعض آياتِ رَبكَ لا ينْفَعُ نفْساً إيمانُها لمْ تَكنْ آمَنَتْ مِنْ قبل أو كَسبت**

---

(١) (البقرة: ٢٥٧) (٢) (آل عمران: ١٣٥)
(٣) (آل عمران: ١٣٤) (٤) (الشورى: ٢٧)
(٥) (يونس: ١٠) (٦) (غافر: ٨٥)

فِي إيمانِها خَيراً ﴾[١] فمفهومه إذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها إيمانها. وأما الدفع فمن قوله ﴿ **إنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الذينَ آمنُوا** ﴾[٢] وتتضمن النصرة لقوله تعالى ﴿ **وَكَانَ حقّاً علَيْنَا نصْرُ المُؤمنينَ** ﴾ [٣] تتضمن النجاة لقوله تعالى ﴿ **كذلك حقاً علينا ننجى المؤمنين** ﴾

الفائدة الخامسة: قوله تعالى ﴿ **يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ** ﴾[٤] أى: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة، ومن ظلمات الحظوظ إلى نور الحقوق، ومن ظلمات طلب الدنيا إلى نور طلب الآخرة، ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الكثائف إلى نور اللطائف، ومن ظلمات الهوى إلى نور التقوى، ومن ظلمات الدعوى إلى إشراق نور التبرى من الحول والقوى، ومن ظلمات الكون إلى شهود المكون، ومن ظلمات التدبير إلى إشراق نور التفويض، إلى غير ذلك مما لا يحصره العدد مما يخرجهم عنه ويخرجهم إليه .

وأما الولاية الثانية: ولاية الإيقان، وهى تتضمن الإيمان والتوكل، وقد قال الله ﷻ ﴿ **ومَن يَتوكلُ عَلى اللهِ فهوَ حَسبهُ** ﴾ [٥] ولا يكون التوكل إلا مع اليقين، ولا يكون توكل ويقين إلا مع الإيمان لأن اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى فى القلب مأخوذ من يقن الماء فى الجبل إذا استقر وسكن فيه، فكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقيناً، والفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة، واليقين لا تجامعه الغفلة، وإن شئت قلت هما ولايتان: ولاية الصادقين، وولاية الصديقين .

فولاية الصادقين: بإخلاص العمل لله تعالى والقيام بالوفاء مع الله تعالى طلباً للجزاء من الله تعالى .

وولاية الصديقين: بالفناء عما سوى الله تعالى والبقاء فى كل شىء بالله تعالى .

وقد قال الشيخ أبو الحسن ﷺ فى بعض كتب الله تعالى المنزلة على بعض أنبيائه: { من أطاعنى فى كل شىء أطعته فى كل شىء }

فقال الشيخ أبو الحسن { من أطاعنى فى كل شىء بهجرانه لكل شىء أطعته فى كل شىء، بأن أتجلى له دون كل شىء حتى يرانى أقرب إليه من كل شىء } هذه طريقة أولى وهى طريقة السالكين .

---

(١) (الأنعام: ١٥٨)
(٢) (الحج: ٢٢)
(٣) (الروم ٤٧)
(٤) (البقرة: ٢٥٧)
(٥) (الطلاق: ٣)

وطريق كبرى .. من أطاعنى فى كل شىء بإقباله على كل شىء يحسن إرادة مولاه فى كل شىء أطعته فى كل شىء . بأن أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كأنى فى كل شىء . وإذا عرفت هذا فاعلم أنهما ولايتان: ولى يغنى عن كل شىء فلا يشهد مع الله تعالى شيئا . وولى يبقى فى كل شىء فيشهد الله تعالى فى كل شىء . وهذا أتم، لأن الله تعالى لم يظهر المملكة حتى يشهد فيها .

فالكائنات مرايا الصفات فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها، ولكن لترى فيها مولاها، فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها ولنا فى هذا المعنى شعر:

ما أبنيت لك العوالم إلا … لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى … حالة دون أن يراها مولاها

فالناظر للكائنات غير شاهد للحق فيها غافل، والفانى عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل، والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل، وإنما ترفع الهمة عن الكون من حيث كونيته . لا من حيث ظهور الحق فيه، فأعضاء الزهاد والعباد وأهل الإرادة عن الكون لأنه لم يسبق ظهور الحق فيه، وذلك لعدم نفوذهم إليه فى كل شىء . لا لعدم ظهوره فى كل شىء، فإنه ظاهر فى كل شىء حتى أنه ظاهر فيما به احتجب فلا حجاب، ولنا فى هذا المعنى شعر:

كل مُحْتاج وأنت لك الفتى … ومثلى من يُخْطِئ ومثلك من يعفو
وأنت الذى أبدى الوِدَاد تَكَرُّماً … ومثلك من يَرْعَى ومثلى من يجفو
وما طابَ عيش لم تكن فيه واصلاً … ولم يصف لا والله أنى له يصفو
عزمت على أن أترك الكونَ كلَّه … وأقْفُو سبل الحب والمجتبى يقفو
شهودكم يَجْلُو الحجاب لأنه … إذا حقق التحقيق صار هو الكشف
وما أحسن الأحبابَ فى كل حاله … فالله ما يبدو ولله ما يخفو
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد … قلوبهم عن نيل سر الهوى غُلْفُ
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى … جميع المبادئ مثل ما شهد العرفُ
ظهرت لكل الكون فالكون مظهر … ونى له أيضا كما جاءت الصحف
فأى فؤاد عن ودادك ينثنى … وأية عين بعد قربك لن تغفو

وأيــة نفــس لــم يملهــا هــواكـــم ... على حبكم طرا نفوس الـورى وقـف

وإن شئت قلت هما ولايتان . ولاية دليل وبرهان .. وولاية شهود وعيان: فولاية الدليل والبرهان: لأهل الاعتبار . وولاية الشهود والعيان: لأهل الاستبصار .

فلأهل الولاية الأولى قوله ﷻ ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَى يَتَبيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُ ﴾[1] .

ولأهل الولاية الثانية قوله ﷻ ﴿ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُم فِى خَوضِهِم يَلْعَبُونَ ﴾[2] .

وأرباب الدليل والبرهان عند أهل الشهود والعيان، لأن أهل الشهود والعيان قدسوا الحق فى ظهوره إن يحتاج دليل يدل عليه، وكيف يحتاج إلى دليل من نصيب الدليل؟ وكيف يكون معرفاً به؟ وهو المعرف له، قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أو كيف يعرف بشىء من سبق وجوده، وجود كل شىء؟

وقال مريد لشيخه: يا أستاذ أين الله تعالى؟ فقال له: أسحقك الله أتطلب من العين الأين، وأنشد بعض العارفين:

لقد ظهرت فلا تخفى على أَحَدْ ... إلا عـلى أكمه لا يعـرف الـقَمرْ
ثم استترت عـن الأبصار يا أَحَدْ ... فكيف يعرف من بالعزة استَتَرْ

فما احتجب الحق عن العباد إلا بعظم ظهوره، ولا منع الأبصار أن تشهده إلا قهارية نوره فعظم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب، قال الشيخ أبو الحسن: حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظم القرب لمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنوا منها كلما دنا تزايد ريحها فإذا دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه، وأنشد بعض العارفين:

كم ذاتموه بالشعبين والعلم ... والأمـر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن تهمامة هذا فعل منهم

ووجدت بخط شيخنا أبى العباس ﷺ شعراً:

أعــندك مــن ليــلى حديــث محــرر ... بإيـــراد يحـــيا الرمـــيم وينشـــر
فعهــدى بــالعهد بهــا القديــم وأنــنى ... عــلى كــل حــال فــى هواهـا مقصــر

---

[1] (فصلت: ٥٣)

(٢) (الأنعام: ٩١)

وقد كان عنها الطيف قدماً يزورن ... ولم يزر ما باله يتعذر
فهل يحلف حتى بطيف خيالها ... أم أعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعت الشمس تستغني ... وفي الشمس أبصار الورى تتحير
وما احتجت إلا برفع حجابها ... ومن عجب أن الظهور تستر

واعلم: أن الأوله إنما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده، فإن الشاهد غني بوضوح المشهود عن أن يحتاج إلى دليل، فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل إليها كسبية، ثم تعود فيها نهايتها ضرورية، وإذا كان من الكائنات ما هو غني بوصفه عن إقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها .

وقد قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: وإنا لننظر إلى الله ببصر والإيقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، وإنا لنرى أحداً من الخلق هل في الوجود أحداً سوى الملك الحق، وإن كان ولابد فقالبها في الهوى، إذا فتشته لم تجد شيئاً، ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إليه، فليت شعرى هل لها وجود معه حتى وصل إليه؟ أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له؟ وإن كانت الكائنات موصلة إليه فليس ذلك لها من حيث ذاتها، لكن هو الذى ولاهم رتبة التوصيل فوصلت، فما وصل إليه غير ألوهيته . ولكن الحكيم من وضع الأسباب وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ إلى قدرته عين الحجاب .

ولقد قال الراوي: أصبح رسول الله ﷺ في أثر ما كان في الليل، فقال { أتدرون ماذا قال ربكم؟ } قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال { قال ربكم: أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر بي }[١] { فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا أو نبوء كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب }[٢]

فلابد من الأسباب وجوداً ولابد من الغيبة عنها شهوداً، وكيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذى أظهرها، أو معرفة له وهو الذى عرفها .

فإن قامت فقد جاء في الحديث { من عرف نفسه فقد عرف ربه }[٣] فهذا دليل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٠٥) رقم (٢٩٥٤) بلفظ { ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً إلا من أحياه الله بالعلم ، والدارمى (١/١٠٩) رقم (٣٣٨) .

(٢) رواه مالك في الموطأ. ذكره القرطبي في تفسيره (١٧ / ٢٣٠)

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٠٨) وانظر: فيض القدير (٥/٥٠) .

على أن معرفة النفس موصولة إلى معرفة الله تعالى، وهى كون من الأكوان، ففيه إثبات توصيل الكائنات إليه .

فاعلم: أنى سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: فى هذا الحديث تأويلان:

إحداهما: من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزته وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أولاً ثم معرفة الله تعالى من بعد .

والثاني: من عرف نفسه عرف ربه، أى: من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل . فالأول حال السالكين والثانى حال المجذوبين .

واعلم: بسط الله لك بساط منته وجعلك من أهل حضرته أن الله سبحانه إذا تولى ولياً صان قلبه من الأغيار، وحرسه بدوام الأنوار، حتى لقد قال بعض العارفين: إذا كان الحق سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك، لقوله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله ﷺ ﴿ لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ﴾[٢] فانظر رحمك الله تعالى، هذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلاً .

ولقد قال الشيخ أبو الحسن: لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع، ولقد سمعت شيخنا أبا العباس يقول: لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لأن أوصافه من أوصافه. ونعوته من نعوته .

ولقد أخبرنى بعض المريدين قال: صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما أبهر عقلى، وذلك أنى شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى أنى لم أستطع النظر إليه فلو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوار قلوبهم، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب، ولذلك قال قائلهم:

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب
ونور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر

ولنا فى هذا المعنى شعراً:

هذه الشمس قابلتنا بنور وشمس اليقين أبهر نوراً

---

[٢] أخرجه الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين (٧ / ٢٤٣)، انظر أحاديث القصاص لابن تيمية (١ / ١)

فرأينا بهذا النور لكن بهاتيك قد رأينا المنيرا

لكن الحق ﷻ يوفى أعيان المكنات حقها ويعطيها قسطها فيقرر لكل كون رتبته ويوفيه دولته، فلذلك ستر من الخصوصية فى وجود البشرية، ولابد للشمس من سحاب وللحسن من نقاب، وهل يكون الكنز إلا مدفوناً والسر إلا مصوناً، وصنع ذلك سبحانه ليكون سر الولاية غيبياً فيكون المؤمن به مؤمناً بالغيب، وأيضاً أجل سر ولايته أن يظهره فى دار لا بقاء لها، فأرخى عليه ذيل الستر حتى إذا كانت الدار الآخرة التى رضيها أهلاً لظهوره واقترابه ووجوده كشف حجابه، كذلك يكشف الحجاب هنالك عن سر الولاية، ويجل مقداره ويرفع مناره .

واعلم: رحمك الله أن من أراد الله به أن يكون داعياً إليه من أوليائه فلابد من إظهاره إلى العباد إذ لا يكون الدعاء إلى الله إلا كذلك، ثم لابد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء، الجلالة: لتعظمه العباد ويقفوا على حدود الأدب معه، ويضع له فى قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون إذا أمر ونهى مسموعاً أمره ونهيه، وجعل هذه الهيبة فى قلوب العباد تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة، قال الله ﷻ ﴿ الذينَ إنْ مكنّاهمُ فى الأرض أقَامُوا الصلاةَ وآتوا الزَّكاة وأمرَوْا بالمَعروُف ونَهوا عَن المُنكرَ ولله عاَقبةُ الأمورُ ﴾ [1] وهى إظهار الحق لعباده المؤمنين، قال سبحانه ﴿ ولله العزَّةُ ولرَسوُله وللمُؤمنينَ ﴾[2] ولهذه الهيبة التى جعلها الحق فى قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم .

ألم تسمع قوله ﷺ { ونصرت بالرعب مسيرة شهر }[3] ألبسهم الحق ملابس هيبته، وأظهر عليهم إجلال عظمته، كلما نزلوا أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية، فهم الملوك إن لم تخفق عليهم البنود والأعزاء، وإن لم تسر أمامهم الجنود، ولله در القائل فى مالك بن أنس ؓ شعراً:

يأتى الجواب فما يراجع هيبته والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

---

(١) (الحج ٤١) (٢) (المنافقون ٨)

(٣) انظر المعجم الكبير (٨/٢٥٧) رقم (٨٠٠١) من أحاديث أبى إمامة قال: قال رسول الله ﷺ { إن الله ﷻ فضلنى على الأنبياء - أو قال أمتى على الأمم - بأربع أرسلنى إلى الناس كافة وجعل الأرض كلها لى ولأمتى طهوراً ومسجدا فأينما أدرك رجل من أمتى الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحل لى الغنائم } وانظر تهذيب الكمال (١٢/٣١٧) رقم (٢٦٧٢) وقال: حسن صحيح، وانظر فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦/١٢٨)

ومن ملكه الله أمر نفسه وهواه فقد أتاه الله الملك، قال تعالى ﴿ قُلَ اللهُمَّ مَالكَ الْمُلكُ تُؤتى المُلكُ مَن تشَاءُ ﴾[١] .

وسمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: قال ملك من الملوك لبعض العارفين: تمن عليّ، فقال له ذاك العارف: إلى تعول ولى عبدان قد ملكتهما وملكاك، وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص، فأنت عبد عبدى فكيف أتمنى على عبد عبدى .

الكسوة الثانية التى يكسوها الحق لأوليائه إذا أظهر لهم كسوة البهاء، وذلك ليحليهم فى قلوب عباده فينظرون إليهم بعين المنة والمحبة فيكون ذلك باعتزالهم على الانقياد إليهم، أفلا ترى كيف قال الله تعالى فى شأن موسى عليه السلام ﴿ وألقيت عليك محبة منى ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ إنَّ الذين آمنُوا وعَملوُا الصَّالحات سَيجْعلُ لهُم الرَّحْمن وُدًّا ﴾[٣] فحلاهم تحلية التبهية ليحبهم العباد فيجرهم حبهم إلى حب الله، والحب فى الله يوجب المحبة من الله، لقوله عليه السلام حاكياً عن الله { وجبت محبتى للمتحابين فىَّ }[٤] وهى أربع مراتب: الحب لله .. والحب فى الله .. والحب بالله .. والحب من الله، فالحب لله ابتداء، والحب من الله انتهاء، والحب فى الله وبالله واسطة بينهما الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه، سواه والحب فى الله أن تحب فيه من والاه، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه، وما أحبه مقتطعاً عن نفسه وهواه، والحب من الله هو أن يأخذ من كل شىء، فلا تحب إلا إياه، وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهور، وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستور .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذُلى: من أحب الله وأحب لله فقط تمت ولايته، والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته، فإذا من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت، ويعلم ذلك من قوله تعالى ﴿ قُلْ يا أيُّها الذينَ هادُوا إن زَعمتُم أنكَم أوْلياءُ لله مِن دُونِ النَّاس فَتَمنوا المَوتَ إن كنتُم صادِقِينَ ﴾[٥]

فإذا الولى على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئاً لهواه، وأحب لقاه من ذاق أنس مولاه، ويتمحض لك

---

(١) (آل عمران: ٢٦)
(٢) (مريم: ٩٦) (٣) (طه: ٣٩)
(٤) أخرجه الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين (٥ / ٢٤٥)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧ / ٢٨) .
(٥) (الجمعة: ٦)

الحب له فى عشرة فاعتبرها فيما وراءها، فى الرسول ﷺ، وفى الصديق والفاروق والصحابة التابعين والأولياء والعلماء الهداة إلى الله والشهداء والصالحين والمؤمنين، فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء إلى السنة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل .

وميزت وأحببت وأبغضت له وأبغض له ولست تبالى بأيهما كنت، وقد يجمع لك الوصفان فى شخص واحد، ويجب عليك القيام بحقهما جميعاً فإذا قد بان لك الحب فى العشرة الأولى فانظر هل ترى للهوى هناك أثراً، فكذلك فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهدين وسائر من أحضر ومن حضر بمن غاب عنك أو مات، فإن وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر كما لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله تعالى .

وإن وجدت شيئاً يتعلق به فيمن يحب أو فيما تحب فارجع إلى العلم واتقن النظر فى الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب إليه والمكروه والمحظور والمباح، واعلم أن قول الشيخ: من ثبتت ولايته لا يكره الموت، هذا ميزان أعطاه الله للمريدين ليزنوا به على نفوسهم إذا ادعى فيهم أو ادعوا ولاية الله، فإن من شأن النفوس وجود الدعوى والتوثب إلى المراتب العالية من غير أن يسلك السبيل الموصلة إليها، ولهذا قال سبحانه ﴿ قُلْ هَاتُوْا بُرهانكُم إن كُنتُم صادِقينَ ﴾[1] وقال الرسول ﷺ لحارثة { لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك }[2] لما قال له: كيف أصبحت فقال: أصبحت مؤمناً حقاً ولا يحب الموت من فيه البقايا ولا من هو مصر على شىء من الخطايا، وجعل الله تمنى الموت شاهد للولى بولايته وعدم تمنيه شاهداً اللغوى بغوايته .. قال الله ﷻ ﴿ وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ ﴾[3]

والموت ميزان على الأفعال والاحوال كما هو ميزان فى دائرة الرتب، أما الرتب فكما تقدم وأما الأفعال والأحوال، فإذا التبس عليك أمر، وأنت فيه لا تدرى رضى الله بتركه أو فعله أو حال أنت بها لا تدرى هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى، فأورد الموت على ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالى وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت حق والحق

---

(١) (البقرة ١١١)

(٢) أخرجه ابن أبى شيبه فى الإيمان (١١٥)، والعجلوانى فى كشف الخفاء (٢ / ٢٠٨)، وابن الأثير فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة (١ / ٤٢٥ - ٤٢٦) وقال رسول الله ﷺ لأمه يوم استشهاده { يا أم حارثة إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنات. وحارثة فى الفردوس الأعلى } وهذا الحديث يشرح الحديث الذى أورده ابن حجر فى فتح البارى بقوله: بقرة تتكلم آمنت بها وآمن بها أبو بكر وعمر .

(٣) (الرحمن: ٩)

يهزم الباطل، ويدمغه لقوله ﷻ ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ [١]

وقال ﷻ ﴿ قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ﴾[٢] وقال ﷻ ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾[٣]

وما كنت فيه قائما بحق لم يهزمه الموت، إذا هو حق والموت حق، والحق لا يهزم الحق . وقد تجاريت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به إلا لله، فقلت له: الذي يقرأ العلم لله هو الذي إذا قلت له: غداً تموت لم يضع الكتاب من يده، وربما غر الغافل من طلبه العلم قول من قال: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، وليس في قول القائل ما يستروح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة وإنما أخبر هذا القائل عن أمر من الله به عليه، وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره، ذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعا أعياه علاجه وضاق منه خلقه فأخذ خنجراً وضرب به مراق[٤] بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك في المعا، فقطعه فخر الداء منه، فهذا لا يستصوب العقلاء فعله، وإن نجحت عاقبته، وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم إلى التهلكة، ليس المغر بمحمود وإن سلما . وقول الشيخ: وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، فهو كلام يستدعي معرفة المحبة وما هي.

اعلم أن المحبة هي من أجل مقامات اليقين حتي اختلف أهل الله أيهما أتم، مقام المحبة[٥]، أم مقام الرضا. وإن كان الذي نقول به أن مقام الرضا أتم لأن المحبة ربما حكم سلطانها على الحب وقوى عليه وجود الشغف فأداه ذلك إلى طلب ما يليق بمقامه، إلا ليرى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب، والراضي عن الله راض عنه أشهده أم حجبه، بحب دوام الوصلة، والراضي عن الله راض عنه وصله أو قطعه، إذ ليس هو مع ما يريد لنفسه، بل إنما هو مع ما يريد الله له، والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب، والراضي لا

---

(١) الأنبياء: ١٨). (٢) (سبأ: ٤٨).

(٣) (الإسراء: ٨١)

(٤) مراق البطن بفتح الميم وتشديد القاف مارق منه ولان ولا واحد له، والرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى ﴿في رق منشور ﴾ والرقيق ضد الغليظ والثخين، وقد رق الشيء يرق بالكسر رقة، انظر مختار الصحاح ص١٠٦.

(٥) والمحبة عند أغلب الصوفية أعلى مقاما من غيرها وخاصة عند رابعة العدوية، المحبة عند رابعة تمثل مقامها الأصيل. وسراجها المنير، وتاج نهجها الروحي الجميل، قيل لها: ما تقولين في الجنة، قالت: الجار ثم الدار. وقالت رابعة أيضا: المحب لله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه .وقال أبو الحسن الوراق: السرور بالله مني شدة المحبة له، والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس، وسئل الجنيد البغدادى عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البدل، وهذا على معنى قوله تعالى في الحديث القدسي ﴿ فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ﴾ وذلك لأن المحبة إذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها. فإذا انتهى إلى غاية جهدها وقفت الرابطة متأصلة متأكدة ثابتة .

طلب له . ولنا فى هذا المعنى شعر:

وكنت قديماً أطلب الوصل منهم فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلب له فإن قربوا أفضل وإن بعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

قال الشيخ أبو الحسن: المحبة آخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه، فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل متحصنا بمعرفته، والروح مأخوذة في حضرته، والسر مغمورا في مشاهدته، والعبد يستزيد فيزاد، ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة، ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله عرائس . ولا يرى العرائس المجرمون . قال له قائل: قد علمت الحب فما شراب الحب؟ وما كأس الحب؟ ومن الساقى؟ وما الذوق؟ وما الشراب؟ وما الرى؟ وما السكر؟ وما الصحو؟ فقال: الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب ؛ والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب ؛ والساقى المتولى للمخصوص الأكبر والصالحين من عباده ؛ وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه، فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى منه بشيء نفساً أو نفسين، ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا، ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة، فذاك هو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول فذاك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات؛ فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم . قال ﷻ ﴿ ألا إنَّ حِزبُ الله هُمُ المُفلحُون ﴾[1]

قال الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى: الزم الطهارة من الشرك، كلما أحدثت تطهرت ؛ ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة، ما أفسدت بالهوى أو كدت، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقدت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك و صحوك به، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب .

والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله . ولعلى أحدث من

[1] (المجادلة: ٢٢)

لا يعرف المحبة ولا الشراب، ولا من الشراب ولا الكأس ولا السكر ولا الصحو قال له القائل: أجل وكم غريق فى الشىء لا يعرف بغرقه ! فعرفنى ونبهنى عما أجهل ! أو لما منّ به علىّ وأنا عنه غافل !

قلت لك: نعم المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له عن نور جماله، وقدس كمال جلاله . وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله، والشراب سقيا القلوب والأوصال، والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشراب بالتدريب بعد التذويب، والتهذيب، فيسقى كل على قدره، فمنهم من يسقى بغير واسطة الله سبحانه يتولى ذلك منه له، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين ومنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعده شيئا، فما ظنك بعد بالذوق، وبعد بالشرب، وبعد بالرى، وبعد بالسكر، بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن السكر أيضا كذلك، والكأس معرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور والمحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية .

فالصورة حظ الأبدان والأنفس، والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فياله من شراب، ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه ودوام لم يقطع عنه . نسأل الله من فضله . قال ﷺ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] .

وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كئوس كثيرة، وقد يسقى الواحد بكأس وبكئوس، وقد تختلف الأشربه حسب عدد الكئوس، وقد يختلف الشراب من كأس واحدة، وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة انعطاف، ثم اعلم فتح الله قلبك بشهود أنواره أو والى عليك ورود معارفه وأسراره، أن من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة .

سمعت شيخنا أبا العباس يقول: يكون الولى مشحونا بالعوم والمعارف والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله له فى الكلام ويجب أن يفهم أن من أذن له فى التعبير تهيأت فى مسامع الخلق عبارته، حليت لديهم إشارته .

---

(١) (المائدة: ٥٤)

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وتلاوة، وكلام الذى يؤذن لم له يخرج مكسوف الأنوار، حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر .

ثم اعلم أن مبنى أمر الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده . قال الله ﷻ ﴿ وَمَنْ يَتَوكَّل عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[١] وقال ﷻ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[٢] وقال ﷻ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾[٣] وقال ﷻ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٤] فمتى أمرهم فى بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق، وإخفاء الأعمال وكتم الأحوال، تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم، وحبا فى إخلاص أعمالهم لسيدهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين، ويحققوا بحقيقة الفنا وردوا إلى وجود البقاء، فهنالك إن شاء الحق أظهرهم، وإن شاء سترهم، وإن شاء أظهرهم هادين لعباده إليه، وإن شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شىء إليه، وظهور الولى ليس بإرادته لنفسه، لكن بإرادة الله له بل مطلبه إن كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه، فما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد سبحانه إظهارهم فأظهرهم، تولاهم فى ذلك بتأييده وإرادة مزيده، لقوله ﷺ { يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وأن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها }[٥] ومن تحقق منها بالعبودية لله لم يطلب ظهورا ولا خفا، بل إرادته وقف على اختيار سيده له .

وقال الشيخ أبو العباس: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفا فهو عبد الخفا . ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره وأخفاه .

ولنختم هذه المقدمة بذكر كرامات أولياء الله جوازا ووقوعا، وأقسام ذلك على سبيل الاختصار، وكون هذا قد سبق إلى الكلام عليه بالإيعاب من غيرنا، قد أقام لنا الأعذار لكنا ننبه على نكت مفيدة لأولى الألباب، ونكشف عن وجه حسنها ما أسدل عليه من نقاب، ليكون ذلك مهيأ لك لقبول ما نورده عن هذه الطائفة من الكرامات، وما نسنده إليهم من باهر الآيات إن شاء الله تعالى .

******

[١] (الطلاق: ٣)
[٢] (الزمر: ٣٦)
[٣] (العلق: ١٤)
[٤] (فصلت: ٥٣)
[٥] أخرجه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣ / ١٦٢)

الفصل الأول
فى الكلام على الكرامات

اعلم: أن الكلام فى الكرامات تنحصر فى طرفين: الأول: **الجواز**، والثانى: **والوقوع** .

الطرف الأول: الجواز .. فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء، من الممكنات لأنه إن لم يكن من الممكنات فإما أن يكون من الواجبات، وإما أن يكون من المستحيلات ـ باطل أن يكون من المستحيلات ـ فإن المستحيل هو الذى لو قدر وجوده لزم منه محال عقله ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقله وباطل أن يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوبا .

إذ الطائفة مجموعة على أنه قد يكون الوالى ـ وليا ـ وإن لم تخرق العادة له فتعين أن يكون من الجائزات، وكل شىء كان من الجائزات فلا يحيله العقل، وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله بالأولياء . ثم إن هذه الكرامة قد تكون طياً للأرض، ومشياً على الماء، وطيران فى الهواء، واطلاع على الكوائن كانت ـ وكوائن بعد لم تكن ـ من غير طريق العادة وتكثير الطعام أو الشراب، أو إتيانا بثمرة فى غير أوانها ـ أو إنباع ماء من غير احتفار، أو تسخير الحيوانات العادية، أو إيجاب الدعوة بإتيان مطر فى غير وقته، أو صبرا على الغذاء مدة تخرج عن طور العادة، أو إثمار الشجرة اليابسة ما ليس عادتها أن تكون مثمرة .

وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية، وكرامات هى عند أهل الله أفضل منها وأجل . وهى الكرامات المعنوية، كالمعرفة بالله والخشية، ودوام المراقبة، والمسارعة لامتثال أمره ونهيه، والرسوخ فاليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة، والاستماع من الله والفهم عنه، ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه، إلى غير ذلك .

وسمعت شيخنا أبو العباس يقول: الطى على قسمين: طى أصغر، وطى أكبر .

فالطى الأصغر: لعامة هذه الطائفة، أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد .

والطى الأكبر: طى أوصاف النفوس، وصدق الله، ورضى الله عنه .

فإن طى الأرض لو أعجزه الله عنك، أو أفقده إياك، ما نقص ذلك من رتبتك عنده إذا قمت له بالوفاء فى العبودية، وطى أوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنت من المغبونين، وحشرت فى زمرة الغافلين .

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: هما كرامتان ـ جامعتان محيطتان ـ كرامة الإيمان بما يزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما، فهو عبد مغتر كذاب، أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالثواب، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى، فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضى، وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ـ ومن الله ـ فصاحبها مستدرج مغرور، وناقص أو هالك مثبور .

واعلم .. أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب، لا يحيله العقل وقد ورد به النقل، قال أبو بكر الصديق ﷺ لابنته عائشة رضى الله عنها فى مرض موته وزوجته حامل: إنما هما أخواك وأختان دون بطن خارجة، أراها جارية) فأخبر أن فى بطن امرأته جارية، وكان كما قال .

وقول عمر ﷺ: (يا سارية الجبل الجبل)[1] وسارية بأقصى العراق فسمع سارية صوته، وكان قد أطلعه الله على سارية وقد أحاط به العدو فأمره بالانحياز إلى الجبل فانحاز هو والجيش الذى معه، فانتصروا وظفروا، وكان عمرﷺ قد قال ذلك فى أثناء خطبته على المنبر فترك الخطبة وقال: (يا سارية الجبل الجبل) ثم عاد إلى خطبته !! فجاء بعض الصحابة إلى على ﷺ فقالوا له: بينما عمر اليوم يخطب إذ ترك الخطبة وقال: (يا سارية الجبل الجبل) ثم عاد إلى خطبته، فقال على ﷺ (ويحكم دعوا عمر فإنه ما دخل فى شىء إلا كان له لمخرج منه) فبعد ذلك قدم سارية، وأخبر عن ذلك اليوم، فقال: إنه سمع نداء عمر فى الوقت الذى نادى فيه .

وقال عثمان ﷺ: لداخل دخل عليه ـ وكان هذا قد نظر إلى محاسن امرأة فى الطريق قبل دخوله ـ فقال عثمان ﷺ: يدخل وآثار الزنا بادية فى وجهه .

وأما على ﷺ جاء عنه فى هذا الباب العجب العجاب . حتى إنه ذكر الأخباريون

---

[1] انظر: كرامات الأولياء (١/١٢٢) و (١/١٢٠) وتأويل مختلف الحديث (١/١٦٢) والاعتقاد (١/٣١٤) وفيض القدير (٤/٥٠٧) ولسان الميزان (٥/٣٠٠) والاستيعاب (٤/٦٠٥) والإصابة (٣/٥) وتهذيب الأسماء (٢/٣٣٠) والإكمال لابن ماكولا (٣/٣٩٥) .

أنه أرجف بالكوفة أن معاوية قد مات، فقال علي ﷺ: إذا بلغه الله ما مات ولن يموت، حتى يملك تحت قدميه هاتان، وإنما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستتر على ما فيه. يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الأمر سائر إليه .

وحكايات الأولياء في كل زمن وقطر تضمن ثبوت ذلك كما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده، ثم أن أدلك ـ رحمك الله ـ على أمر يسهل عليك التصديق بذلك وهو: إطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجثمانيته ولا وجود صورته . إنما هو بنور الحق فيه، دليل ذلك قوله ﷺ { اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله }[1] فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله، بعد أن شهد له رسول الله ﷺ انه إنما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه، وكذلك قوله في الحديث الذى تقدم، [فإذا أحببته كنن سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به] .. إلخ، ومن كان الحق بصره، فليس الاطلاع على الغيب بمستغرب . وفي بعض طرق هذا الحديث [فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً، ولساناً، وقلباً، وعقلاً، ويداً، ومؤيداً] فإن قلت كيف يصنع؟ بقوله تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾[2] فلم يستثنى أحد إلا رسولٍ .

فاعلم: أني سمعت من شيخنا أبي العباس يقول: وفي معناها (أو صديق أو ولي)

فإن قلت هذه زيادة على ما تضمنه ـ كتابه العزيز ـ فاعلم أنه قيل ـ إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده، وربما دخل مماليك الوزير معه وكان الإذن لمتبوعهم إذنا لهم ـ كذلك الولي، إذا أطلعه الله على غيب من غيوبه فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوة، وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رآها بنور متبوعه .

وأيضا إن الآية تشير إلى نفي اطلاع العباد على غيب الله إلا من أطلعه الله، وبين سبحانه سبب اطلاعه على غيب من غيوبه، وإنما ذلك كان برضى الله ﷻ بقوله ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى ﴾ وقوله ﴿ مِنْ رَسُولٍ ﴾ خص الرسول بالذكر ولم يذكر ـ النبي، ولا الصديق، ولا الولي ـ وإن كان كل منهم ممن ارتضى، لأن الرسول أولى بذلك مما سواه .

---

(١) انظر شرح سنن بن ماجه (٢٩٣) رقم (٤٠٤٤)، والترمذى في الجامع الصحيح (٥/٢٩٨) رقم (٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روى عن بعض أهل العلم تفسير قوله تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوكلين ﴾ قال: المتفرسون، والتاريخ الكبير (٧/٣٥٤) رقم (١٥٢٩) بزيادة لفظه { ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوكلين } وابن حجر في الفتح (٥/١١٥٤)، والمعجم الكبير (١٠٢٨) رقم (٧٤٩٧) وتاريخ بغداد (٣/١٩١) رقم (١٢٣٤) ولبغوى في السنة (١٤/١٣١) وأبو نعيم في الحلية (٤/٩٤)، والكامل في ضعفاء الرجال (٤/٢٠٦) رقم (١٠١٥) .

(٢) (الجن: ٢٦، ٢٧)

أمور تسهل عليك الإيمان بكرامات أولياء الله، وأن لا تستكثرها عليهم

الأول: أن نعلم أن قدرة الله التى لا يكبر عليها شىء هى التى أظهرت الكرامة فى الولى، فلا تنظر إلى ضَعْف العبد، ولكن انظر إلى قدرة ـ السيد ـ فجحد الكرامة فى الولى جحد لقدرة العزيز القدير .

الثاني: أنه ربما كان سبب إنكار الكرامة، استكثارها على ذلك العبد الذى أضيفت إليه، وذلك العبد إنما أظهر الكرامة عليه شاهدة بصدق طريق نَتْبوعِه، فهى بالنسبة إلى من ظهرت عليه ـ، وهو ذلك الولى كرامة، وهى بالنسبة ببركات متابعه معجزه فلذلك قالوا: كل كرامة لولى . فهى معجزة لذلك النبى الذى يتبعه هذا الولى، فلا تنظر إلى التابع واليقين، ولكن انظر إلى عظيم قدرة المتبوع .

الثالث: أن نعلم أن الذى أعطاه الله سبحان لأوليائه من الإيمان واليقين، مما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استغربته وأنكرته، من اطلاع على غيب، أو طيران فى الهواء، أو مشى على الماء، فمثلك إذا استغرب ذلك على المؤمن، كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك، أعطاه الملك سفطاً مملوء ياقوتاً ثميناً علمت به أن كل ياقوتة تضمنه ذلك السفط تساوى عشرة آلاف دينار، ثم قال ذلك العبد الذى هو من خواص الملك أو قيل عنه إن الملك قد أعطاه مائة دينار، فاستغربت ذلك فهل يستصوب استغرابك، هذا ذو فهم ولب وما أكرم الله العباد فى الدنيا والآخرة .

كرامة بمثل الإيمان به والمعرفة بربوبيته، لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وأوردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة، وما تضمنه الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار وكان بها أهلها فيها من رضى عن الله رضى من الله ورؤية الله، فكل ذلك نتائج الإيمان ووجوه آثاره، وامتداد أنواره ـ جعلنا الله وإياك من المؤمنين بربوبيته وبالإيمان الذى رضيه لخاصة عباده، وبسطنا وإياك لتسليم مراده .

واعلم أن من الناس من واجهه الخذلان من الله فأنكر كرامات أولياء الله أصلاً فنعوذ بالله من هذا المذهب وهو حقيق أن لا يذكر، ولكن سبب ذكره ليعلم أن الله إذا أراد أن يضل عبداً لم ينصره عقل ولم ينفعه علم . وقد قال الله سبحانه ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ

تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾[١] وقال سبحانه ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِنْ بَعْدُ مَا جاءَتكُمُ البَينَاتُ فَاعلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[٣] كذلك كانت الأحوال والأقوال والأفعال ومراتب، الإنزال موقوفة على توفيقه لا توجب أنوار ولا تستحق قبولاً ولا يستوجب صاحبها إقبالاً حتى ينصره التوفيق، ولغذارة قدره عند الله لم يذكره فى كتابه العزيز إلا فى موضع واحد، فقال سبحانه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ باللَّهِ﴾ [٤]

والجانب للتوفيق وعلاماته صدق الرجعى إلى الله فى أول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة إليه والانغماس فى بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الفراغ ومن بعد ذلك أبداً، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَقد نَصركُمُ الله ببدرٍ وأنتُم أذِلةٌ ﴾[٥] وقال ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾[٦]

فلا يدخل جنة علمك وعملك، وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر عنه الله بقوله ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَه وَهُو ظَالِمٌ لِنَفْسهِ قالَ ما أظنُّ أنْ تَبيدَ هَذه أبَداً ﴾[٧] .

ولكن إدخالها كما بين لك، وقل كما رضى لك، قال سبحانه ﴿ وَلَولاَ إذ دَخَلتَ جَنَّتَكَ قلتَ مَا شَاءَ الله لا قُوة إلا بالله ﴾[٧] وافهم هاهنا قوله ﷺ { لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة }[٨] وفى رواية { كنز من كنوز تحت العرش } فالترجمة ظاهرة الكنز والكنوز فيها هو صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع إلى حول الله وقوته، ومن أنكر كرامات الأولياء فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه ويخشي على من هذا مذهبه سوء الخاتمة

ومن الناس فرقة أخرى صدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا فى زمانهم: كمعروف، والسرى، والجنيد، وأشباههم، وكذبوا بكرامات أولياء زمانهم، فهى كما قال الشيخ أبو الحسن: والله ما هى إلا إسرائيلية، صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام وكذبوا بمحمد

---

(١) (المائدة: ٤١) (٢) (البقرة: ٢٠٩)
(٣) (المؤمنين: ٨٨) (٤) (هود: ٨٨)
(٥) (آل عمران: ١٢٣) (٦) (التوبة: ٦٠)
(٧) (الكهف: ٢٥)
(٨) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده (١٥٦/٥)، والحافظ الهيثمى فى المجمع (٩٨/١٠) والطبرانى فى الكبير (٤٢١/١٩) والزبيدى فى اتحاف السادة المتقين (٤٦٦/٩).والأحاد والمثانى (٢٤٦/٢) رقم (١٠٠٠) والتاريخ الكبير (١٠٠/١) رقم (٢٨٠) من حديث أبى ذر ﷺ، والجامع الصحيح المختصر (١٥٤١/٤) رقم (١٩٦٨) من حديث أبى موسى الأشعرى. والترمذى فى الجامع الصحيح (٥٨٠/٥) رقم (٣٦٠١) من حديث أبى هريرة ﷺ، وقال الترمذى: ليس إسناده بمتصل مكحول لم يسمع من أبي هريرة. والديباج على صحيح مسلم (٦١/٦) رقم (٢٧٠٤) والسنن الكبرى (٧/٦) رقم (٩٨٤٢) والعلل الواردة فى الأحاديث النبوية (٢٥٥/٦) رقم (١١١٤) والكامل فى ضعفا الرجال (١٦٥/١) والمستدرك على الصحيحين (٦٩٨/١) رقم (١٩٠١) والمعجم الأوسط (٥١٣/١) رقم (٩٤٧) والمعجم الصغير (٢٨٧/٢) رقم (١١٧٧) والمنتخب من مسند عبد بن حميد (١١٠) رقم (٢٤٩) .

ﷺ لأنهم أدركوا زمنه .

وفرقة أخرى يصدقون بأن في مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لأحد من أهل زمن معيناً، فكل من ذكر لهم أنه ولى أو نسبت إليه كرامة، دافعوا إثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى، فلن يجدى عليهم هذا التصديق وجود الاقتداد، ولا إشراق نور الاهتداء، إذ الاقتداد لا يكون إلا بولى مجهول العين فى كون الله، بل إنما يكون الاقتداد بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد فسلك بك سبل الرشاد، يعرفك برعونات نفسك وكمائنها، ودفائنها، ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسارك فى طريقك، حتى تصل إلى الله، ويوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منك، وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك، الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على ممر الساعات بين يديه .

فإن قلت: فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقاء مغرب .

فاعلم: أنه لا يعوزك وجدان الدالين، وإنما يعوزك وجود الصدق فى طلبهم، جد صدقاً تجد مرشداً، وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾[2] فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء، والخائف للأمن، لوجدت ذلك أقرب إلي من وجود طلبك، ولو اضطررت إلى رحمة الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريباً ولك مجيباً، ولوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك إليك، فهذا الكلام فى طرفى الجواز، والوقوع جميعاً وذكر أعيان الكرامات التى اتفق السلف ﷺ لا يستطاع حصرها، وقد أشبع القول فيها الأستاذ أبو القاسم القشيرى[3] فى رسالته وأفرد لها باباً .

واعلم: أن الكرامة تارة تظهر للولى فى نفسه، وتارة تظهر فيه لغيره، فإن أظهرت للولى فى نفسه: فالمراد تعريفه بقدرة الله وفرديته وأحديته، وأن قدرته لا تتوقف على

---

(١) (النمل: ٦٢) (٢) (محمد ٢١)

(٣) هو: عبد الكريم بن هوازن القشيرى أستاذ الصوفية فى وقته، ومن تصنيفه (التفسير الكبير) و (الرسالة القشيرية) ولد رضي الله عنه فى ٢٧٧ هـ وتوفى فى ٤٦٥ هـ . أهـ . وكان إمام وقته وأستاذ عصره، حتى كان ابن تيمية عندما يتحدث عنه كان لا يقول إلا الأستاذ القشيرى أدباً واحتراماً لعلمه ومنزلته، واحتل القشيرى مكانة سامقة لدى الصوفية جميعاً

الأسباب، وأن العوائد هو حاكم عليها، ليست هي حاكمة عليه، وإنما جعل العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته، وسحب شمس أحديته، فوقف عندها مخذول ونافذ منها إليه هو بالعناية موصول .

قال الشيخ أبو الحسن: فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية، بجمع لا يفترق، وأمر لا يتعدد، كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد يستوى من تعرف الله إليه بنوره كمن تعرف إلى الله بعقله، ولأجل أنها تثبت لمن أظهرت له، وربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين، والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى تثبيت .

وهكذا كان السلف ﷺ، لم يحوجهم الحق سبحانه إلى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإشهادية، ولا يحتاج جبل إلى مرساة، فالكرامة دافعة لزلزلة الشك في المنة ومعرفة بفضل الله فيمن أظهرت عليه، وشاهدة له مع الله سبحانه والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام:

(١) قسم: يجعلونها غاية الأمر، فإن وجدوها عظموا من أظهرت عليه، وإن فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم إليه .

(٢) قسم: قالوا وما هي الكرامة، إنما هي خدع بها أهل الإرادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجوا مقاما ليس هو لهم، حتى قال: أبو تراب[1] النخشبي لأبي العباس الرقي ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده .

فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها .. فقال: ومن لا يؤمن بها فقد كفر إنما سألتك من طريق الأحوال .. فقلت: ما أعرف له قولا .. قال: بل قد زعم أصحابك أنها

---

(١) أبو تراب النخشبيُ، قدس الله سره، من الطبقة الأولى، واسمه: عسكر بن الحُصين، وقيل: عسكر بن محمد بن الحصين، كان من أجل مشايخ خرسان في علم الفتوى والزهد والتوسل ؛ وصحب أبا حاتم العطار البصرى، وحاتما الأصم البلخي، وكان أستاذ أبى عبد الله بن الجلاء، وأبى عبيد البسرى، قال أبو تراب (العارف الذى لا يكدره شيء، وكل الأشياء تتنور منه) الكواكب الدرية (١/ ١٤٧) وأيضاً عنه قال (لا يكون شيء من العبادات أنفع من إصلاح خواطر القلوب) (طبقات الصوفية ص ١٤٩) وعنه أيضاً قال (إذا تواترت على أحدكم النعم فليبك على نفسه فقد سلك به غير طريق الصالحين) (الكواكب الدرية ١ / ١٤٧) وكان يقول (بيني وبين الله عهد ألا أمد يدى إلى حرام إلا قصرت يدى عنه) (حلية الأولياء ١٠ / ٤٨) وكان يقول إذا أعرض الحق ﷻ عن عبد طوّل لسانه في حق أولياء الله بالطعن والإنكار) انظر ترجمته فى طبقات الصوفية (١٤٦)، وحلية الأولياء (١٠ / ٤٥)، وصفة الصفوة (٤ / ١٤٥) ولواقح الأنوار (١ / ٩٦)، والرسالة القشيرية ٢٢، وطبقات الشافعية (٢ / ٥)، وشذارات الذهب (١٠٧٢)، سير أعلام النبلاء (٨ / ٢ / ١)، واللمع ص ٢٠٥، وجامع كرامات الأولياء (٢ / ١٥٢)، وتذكرة الأولياء (١ / ٢٦٢)، والنجوم الزاهرة (٢ / ٢٢١)، والكواكب الدرية (١ / ٢٠٢) .

خدع من الحق وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها، فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانين

وكان هذا من (أبي تراب) بعد أن عطش أصحابه فضرب الأرض فنبع الماء، فقال فتى هناك: أريد أن أشرب من قدح فضرب بيده الأرض وناوله قدحا من زجاج أبيض، فشرب وسقانا ؛ قال أبو العباس الرقى: وما زال القدح معنا إلى مكة .

والقول الفصل في ذلك، أنه لا ينبغي أن تطلب أدبا مع الله، ومن أظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله

(٣) قسم: وهو أن تظهر الكرامة في الولى لغيره، فالمراد بذلك تعريف العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة، إما أن يكون جاحدا فيرجع إلى الاعتراف، أو كافرا فيعود إلى الإيمان، أو شاكا في خصوصية ذلك العبد، فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الإحسان .

وقد انبسط الكلام في هذه المقدمه، وما كان ذلك لنا باختيار، ولكن قد تضمنت علوما وأسرارا إذا طلعت على من له نصيب من المنة، مشرقات الأنوار وهذا أوان ابتدائنا بما قصدنا وأظهرنا، ما إليه عمدنا، والله هو القائم بالبيان وهو ولى الفضل والإحسان له الحمد كما يجب لجلاله، والشكر لتوالى نعمه وإفضاله، وهو حسبنا ونعم الوكيل . أما الكتاب فهو ينقسم كما تقدم إلى عشرة أبواب .

* * * * * * *

البـــــاب الأول

في التعريف بشيخه الذي أخذ عنه هذا الشأن
وشهادة من عاصره من أهل زمنه من العلماء الأعيان
أنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان

هو الشيخ الإمام حجة الصوفية، وعلم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، والمنفرد في زمنه بالمعارف السنية والمفاخر، والعالم بالله، والدال على الله، زمزم الأسرار ومعدن الأنوار، القطب الغوث الجامع: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد ابن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .. **عُرِفَ بالشاذلي**، ومنشأه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة: بلدة على القرب من تونس . وإليها نسب له السياحات الكثيرة، والمنازلات الجليلة، والعلوم الكثيرة، لم يدخل في طريق الله حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة .

ذو علوم جمة، ذكره الشيخ (صفي الدين بن أبي المنصور) في كتابه و أثني عليه الكثير ؛ وذكره الشيخ قطب الدين بن القسطلاني في جملة من لقيه من المشايخ وأثني عليه، وذكره الشيخ أبو عبد الله بن النعمان، وشهد له بالقطبانية، وذكره عبد الغفار بن نوح رضي الله عنه في (كتاب التوحيد) وأثني عليه، لا يختلف في قطبانيته ؛ ذو قلب مستنير، ولا عارف بسعير .

جاء في هذا الطريق بالعجب العجاب وشرع من علم الحقيقة الأطناب، ووسع السالكين الرحاب، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي المسلمين تقي الدين محمد بن القشيري يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي .

وأخبرني الشيخ العارف مكين الدين الأسمر . أنه قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام[1] . والشيخ مجد الدين علي ابن

---

(١) هو شيخ وقته ومفتي عصره شيخ الإسلام ومفتي الأنام وسلطان العلماء: عز الدين بن عبد السلام، ولد في دمشق عام ٥٧٨هـ. وجمع بين علوم الحقيقة والطريقة وسافر إلى بغداد من أجل استكمال العلم وتلك نصيحة أستاذه بن عساكر وكان جديرا بأن تسند إليه وظائف التدريس والافتاء والخطابة والقضاء، وبلغ رتبة الاجتهاد في عصره ولذلك تعينت فيه الفتوى، وقد كان في كل هذه الأعمال صوتاً رائعا من أصوات الحق، وظهرت كراماته في مواضع كثيرة ومنها بمعركة الصليبيين في دمياط فأمر الريح أن تكسر سفنهم. وقال تلميذه ابن أبي شامة: الحمد لله الذي جعل من أمة محمد من يأمر الريح فتستجيب له، انظر طبقات الشافعية الجزء الثالث .

وهب القشيري المدرس، والشيخ محي الدين بنى سراقة . والشيخ مجد الدين الأخميمي والشيخ أبو الحسن الشاذلي، ورسالة القشيرى تقرأ عليهم، وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت، إلى أن فرغ كلامهم فقالوا: يا سيدي نريد أن نسمع منك فقال: أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم . فقالوا: لا بد أن نسمع منك، قال: فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة، فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه، وقال اسمعوا: هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله .

وأخبرني الشيخ أبو عبد الله بن الحاج قال: أخبرنى الشيخ أبو زكريا يحي البلبيسي، قال: صحبت الشيخ أبا الحسن الشاذلي، ثم سافرت إلي الأندلس فقال: لي الشيخ أبو الحسن عند وداعي: موصيا إذا وصلت إلى الأندلس، فاجتمع بالشيخ أبي العباس بن مكنون، فإنه اطلع علي الوجود، وعرف حيث هو، ولم يطلع الناس علي أبي العباس فيعلموا حيث هو .

قال: فلما جئت إلى الأندلس ذهبت إلى الشيخ أبي العباس بن مكنون، فحين وقع بصره علي قال: (ولم يعرفني قبل ذلك) جئت يا يحى حييت، الحمد لله على اجتماعك بقطب الزمان يا يحيى، والذى أخبرك به الشيخ أبو الحسن لا تخبر به أحداً .

وأخبرنى رشيد الدين بن الرايس قال: تخاصمت أنا وبعض أصحاب الشيخ فأتيت إلى الشيخ أبى الحسن، فذكرت مقالتنا له، فقال الشيخ: كنت تقول له أنا ربانى القطب ومن رباه القطب رباه أربعون بدلا .

وأخبرنى والدى رحمه الله قال: دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ فسمعته يقول: والله قد تسألونى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب، فأرى الجواب مسطرا فى الدواة والحصير والحائط ...

وأخبرنى بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن يوما: والله إنه ليتنزل على المدد، فأرى سريانه فىَّ كالحوت فى الماء، والطائر فى الهواء .، وكان الشيخ أمين الدين جبريل حاضرا فقال للشيخ أبى الحسن: فأنت إذاً القطب، فأنت إذاً القطب، فقال الشيخ أبو الحسن: أنا عبد الله، أنا عبد الله .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن: والله ما ولى الله ولياً إلا وضع حبه فى قلبى قبل أن يوليه، ولا رفض عبداً إلا وألقى الله بغضه فى قلبه قبل أن يرفضه .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: لما رجع الشيخ أبو الحسن من الحج أتى إلى الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام قبل أن يأتى منزله، فقال له: إن الرسول ﷺ يسلم عليك، فاستصغر الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلاً لذلك .

قال: فدعى الشيخ عز الدين إلى خان الصوفية بالقاهرة وحضر معه الشيخ محيى الدين بن سراقة وأبو العلم يس أحد أصحاب ابن عرابى فقال الشيخ محى الدين سراقة للشيخ عز الدين: ليحظكم ما سمعنا يا سيدى والله إن هذا شىء يفرح أن يكون فى هذا الزمان من يسلم عليه رسول الله ﷺ، فقال الشيخ عز الدين: الله يسترنا، فقال أبو العلم يس: اللهم افضحنا حتى يتبين المحق من المبطل، ثم أشاروا للقول أن يقول وهو بالبعد بحيث لا يسمع ما دار بينهم فكان أول ما قال صدق المحدث والحديث كما جرى فقام الشيخ عز الدين، وطاب منه وقام الجميع لقيامه .

وأخبرنى الفقير مكين الدين الأسمر قال: سمعت مخاطبة الحق فقلت: يا سيدى كيف كان ذلك؟ فقال: كان فى الأسكندرية بعض الصالحين صحب الشيخ أبا الحسن، ثم كبر عليه ما سمعه منه من العلوم الجليلة والمخرفات فلم يسع ذلك عقله، فانقطع عن الشيخ أبى الحسن ﷺ، فبينما أنا فى ليلة من الليالى، وأنا أسمع أن فلان دعانا فى هذا الوقت بست دعوات، فإن أراد أن يستجاب له فليأت إلى الشيخ الشاذلى، دعانا بكذا . دعانا بكذا، حتى عينت لى الست دعوات، قال: ثم انفصل الخطاب عنى فنظرت إلى المتوسط فى ذلك الوقت فعرفت الوقت الذى كان ذلك الرجل دعا فيه ثم أصبحت فذهبت إلى ذلك الرجل فقلت له: دعوت الله البارحة بست دعوات وعدت له الست دعوات، فقال: نعم، فقلت: تريد أن يستجاب لك، قال: ومن لى بذلك؟ فقلت له: قيل لى إن أراد أن يستجاب له فليأت إلى الشيخ الشاذلى .

وسمعت شيخنا أبى العباس يقول: كان الشيخ قد قال لى: إن أردت أن تكون من أصحابى فلا تسأل من أحد شىء فمكثت على ذلك سنة، ثم قال لى: إن أردت أن تكون من أصحابى فلا تقبل من أحد شىء، فكان إذا اشتد على الوقت أخرج إلى ساحل بحر الأسكندرية ألتقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب، فأنا يوماً على ذلك وإذا عبد القادر النقاد وكان من أولياء الله تعالى يفعل كفعلى، فقال لى: اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبى الحسن، فقلت: وأين مقام الشيخ؟ فقال: عند العرش، فقلت له: ذلك مقامك ينزل لك الشيخ حتى رأيته، ثم دخلت أنا وهو على الشيخ فلما استقر بنا المجلس

قال الشيخ: رأيت البارحة عبد القادر فى المنام فقال لى: أعرشى أنت أم كرسى، فقلت له: دع عنك هذا .. ذى الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشى، والروح كرسى، والسر مع الله بلا أين، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه .

وقدم بعض الدالين على الله إلى الأسكندرية، فقال الشيخ مكين الدين الأسمر: هذا الرجل يدعوا الناس إلى باب الله، وكان الشيخ أبو الحسن يرشدهم إلى طريق الله، وقال الشيخ أبو العباس ﷺ كنت مع الشيخ أبى الحسن بالقيروان وكان شهر رمضان وكانت ليلة جمعة وكانت الليلة سبعة وعشرون، فذهب الشيخ إلى الجامع وذهبت معه، فلما دخل الجامع وأحرم رأيت الأولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع فقال الشيخ: ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول ﷺ وهو يقول: يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس، قلت: يا رسول الله وما ثيابى؟ قال: اعلم أن الله تعالى قد خلع عليك خمس خلع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام فمن أحب الله هان عليه كل شىء ومن عرف الله صغر لديه كل شىء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله آمن من كل شىء، ومن أسلم لله قلماً يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه عذره، ففهمت حينئذ معنى قوله ﷻ ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ .

وقال الشيخ أبو العباس: جلت فى ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين فقلت له: ما علومك وما مقامك؟ فقال: أما علومى فواحد وسبعون علماً، وأما مقامى فرابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال، فقلت: ما تقول فى شيخى أبى الحسن الشاذلى؟ فقال: زاد على بأربعين علماً وهو البحر الذى لا يحاط به .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: قيل للشيخ أبى الحسن من هو شيخك يا سيدى، فقال: كنت انتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا انتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر خمسة من الآدميين النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعلى وعثمان، وخمسة من الروحانيين: جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح .

وأخبرنى ولد سيدنا ومولانا العارف شهاب الدين قال: قال الشيخ عند موته: والله لقد جئت فى هذا الطريق بما لم يأت به أحد، ومن الأمر المشهور أنه لما دفن (بحميثرا) وغسل بمائها تكثر الماء بعد ذلك وعذب حتى صار يكفى الركب إذا نزل عليه ولم يكن قبل ذلك كذلك .

وكتب إلى الشيخ أبو عبد الله بن النعمان أبياتاً يوصينى فيها الشيخ أبى العباس منها

عطا إله العرش فى الثغر أحمد   سررت بها فى الصحب فالله أحمد

ثم يقول فى الشيخ أبى العباس:

ووارث علم الشاذلى حقيقة   وذلك قطب فاعلموه وواحد
رأيت له بعد الممات عجائباً   تدل على من كان للفتح يجحد

فالذى عنى الشيخ أبو عبد الله يقول: رأيت له بعد الممات عجائباً، أى: أن حلى الماء فوق ما كان وتكثر لما غسل منه .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: قال الشيخ: قيل لى ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز بن عبد السلام، وما على الأرض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم، وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك .

وقال الشيخ أبو العباس: لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسية، وأنا إذا ذاك شاب، فسمعت بذكر الشيخ أبى الحسن الشاذلى، فقال لى رجل: تمضى بنا إليه، قلت: حتى أستخير الله فنمت تلك الليلة فرأيت كأنى أصعد إلى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلاً عليه برنس أخضر وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل، فنظرت إليه فقال: عثرت على خليفة الزمان، قال: فانتبهت، فلما كان بعد صلاة الصبح أتانى الرجل الذى دعانى إلى زيارة الشيخ فسرت معه، فلما دخلنا على الشيخ رأيته بالصفة التى رأيته فوق الجبل، قال: فدهشت، فقال لى: عثرت على خليفة الزمان، ما اسمك؟ فذكرت له اسمى ونسبى، فقال: رفعت لى منذ عشر سنين .

وقال الشيخ أبو العباس: لما قدمنا من المغرب إلى الأسكندرية نزلنا عند عمود السوارى من ظاهرها، وكان وصولنا عند اصفرار الشمس وكانت بنا فاقة وجوع شديد فبعث لنا رجل من عدول الأسكندرية طعاماً، فلما قيل للشيخ عنه قال: لا يأكل أحد منه شيئاً فبتنا على ما نحن عليه من الجوع، فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ، وقال: مدوا السماط وأحضروا هذا الطعام ففعلوا، وتقدمنا فأكلنا، فقال الشيخ: رأيت فى المنام قائلاً يقول: أحل الحلال ما لم يخطر لك ببال؟ ولا سألت فيه أحداً من الليالى نائماً بالأسكندرية، وإذا قائلاً يقول: مكة والمدينة، فلما أصبحت عزمت على السفر، وكان الشيخ

بالمقياس بالقاهرة، فسافرت إليه، فلما مثلت بين يديه قال لى: مكة والمدينة، فقلت: لأجل ذلك جئت يا سيدى عزمت على الحج وما معى شيء من الدنيا، فقال لى الشيخ: أى شيء معك؟ قلت: عشرة دنانير، قال أدفعها لهذا الرجل، فدفعتها له فقال لى الشيخ: إذا كان غداً فاخرج إلى الساحل واشتر لى عشرين أردباً قمحاً، فأصبحت ونزلت إلى الساحل واشتريت عشرين أردبا، وحملت القمح إلى المخزن وأتيت الشيخ، فقال: لى هذا القمح، قالوا لى: إنه مسوس لا تأخذ منه شيئاً، فبقيت متحيراً لا أدرى كيف أصنع؟ فبقيت ثلاثة أيام لا يطالبنى صاحب القمح بالثمن، فلما كان اليوم الرابع وإذا برجل يطوف على فلما رآنى قال: أنت صاحب القمح؟ قلت: نعم، قال: تأخذ فيه فائدة ألف درهم، قلت: نعم، فوزن لى ألف درهم، فوضع الله لى البركة فيها، فلو قلت: إننى أنفق منها إلى اليوم لصدقت

وقال الشيخ أبو العباس سافرنا مع الشيخ ﷺ فى السنة التى توفى فيها فلما كنا عند أخميم قال لى الشيخ: رأيت البارحة كأنى فى جلبة وأنا فى البحر والرياح قد اختلفت، والأمواج قد تلاطمت، والمراكب قد انفتحت، وأشرفنا على الغرق فأتيت إلى جانب المركب وقلت: أيها البحر إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لى فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم، فسمعت البحر يقول: الطاعة الطاعة، فلما سفرنا وتوفى الشيخ ﷺ دفناه بحميثرا من صحراء عيداب، وركبنا فى جلبة فلما صرنا فى وسط البحر تلاطمت الأمواج واختلفت الرياح، وانفتحت الجلبة، وأشرفنا على الغرق، وأنسيت كلام الشيخ فلما اشتد الأمر، ذكرت ذلك فأتيت إلى جانب المركب، وقلت أيها البحر إن كنت قد أمرت بالسمع والطاعة لأولياء الله فالمنة لله السميع العليم، ما قلت كما قال الشيخ بالسمع والطاعة لى، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم، فسمعت البحر يقول: الطاعة . الطاعة، وسكن البحر، وطاب السفر .

وقال الشيخ أبو العباس كنت مع الشيخ فى بحر عيداب وكنا فى شدة من الريح الأريب، وكان المركب قد انفتح فقال الشيخ ﷺ: رأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان إحداهما يقول: موسى أعلم من الخضر، والآخر يقول: الخضر أعلم من موسى، ونزل ملك آخر وهو يقول: والله ما علم الخضر فى علم موسى إلا كعلم الهدهد فى علم سليمان حين قال: ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾ ففهمنا أن الله سلمنا فى سفرنا، فإن موسى سخر له البحر .

وقال أبو العباس: قال رجل للشيخ ما تقول فى الخضر أحى هو أم ميت؟ فقال

الشيخ: اذهب إلى الفقيه ناصر الدين بن الأنبارى، فإنه يفتى أنه حى وأنه نبى، والشيخ عبد المعطى لقيه، وسكت ساعة وقال: أنا لقيته وسبابته ووسطاه سواء .

واعلم: أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه، والأخذ عنه واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذى لا يمكن جحده، والحكايات فى ذلك كثيرة .

قال الشيخ أبو الحسن: لقيت الخضر فى صحراء عيداب، فقال لى: يا أبا الحسن أصحبك اللطف الجميل، وكان لك صاحباً فى المقام وفى الرحيل .

وذكر ابن عربى أن أبا السعود بن الشبلى، كان فى مدرسة الشيخ: عبد القادر الجيلانى، يكنس فيها فوقف الخضر على رأسه فقال: السلام عليكم، فرفع أبو السعود رأسه فقال: وعليك السلام، ثم عاد إلى شغله بما هو فيه .. فقال له الخضر: ما بالك لا تنتبه لى، كأنك لم تعرفنى؟ فقال أبو السعود: بل عرفتك أنت الخضر، فقال له الخضر: فما بالك لم تنتبه لى فقال له أبو السعود: مشغول بخدمتى، ثم التفت إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى ﷺ وقال: لم يترك فى هذا الشيخ فضله لغيره .

وقال ابن عربى مخبراً عن نفسه: كنت أنا وصاحب لى بالمغرب الأقصى بساحل البحر المحيط، وهناك مسجد يأوى إليه الأبدال فرأيت أنا وصاحبى رجلاً قد وضع حصيراً فى الهواء على مقدار أربعة أذرع من الأرض وصلى عليها، فجئت أنا وصاحبى ووقفت تحته وقلت شعراً:

شغل المحب عن الحبيب بسره ... فـى حب مـن خلق الهواء وسخره
العارفـون عقـولهـم معقـولة ... عـن كل كـون ترتضيه مطهرة
فهمـوا لـديه مكرمـون وعنـده ... أسـرارهم محفـوظة ومحـررة

قال: فأوجز فى صلاته وقال: إنما فعلت هذا لهذا المنكر الذى معك وأنا أبو العباس. الخضر، ولم أكن أعلم أن صاحبى ينكر كرامات الأولياء، فالتفت إلى صاحبى وقلت: يا فلان أكنت تنكر كرامات الأولياء؟ قال: نعم، قلت: فما تقول الآن؟ قال: ما بعد العيان ما يقال .

وقال الشيخ عبد المعطى الإسكندرانى لتلميذه عند موته: خذ هذه الجبة فطالما عانقت فيها الخضر، وقالت زوجة القرش ﷺ: خرجت من عند الشيخ ولم أترك عنده

أحد، فسمعت عنده رجلاً يكلمه، فوقفت حتى انقطع كلامه ثم دخلت فقلت يا سيدى خرجت من عندك وما كان عندك أحد والآن سمعت كلاماً عندك ! فقال الشيخ: الخضر أتانى بزيتونة من أرض نجد، فقال كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك، فقلت: اذهب أنت وزيتونتك لا حاجة لى بها، وكان الشيخ به داء الجذام، وقد جاء أنه لما توفى الرسول ﷺ سمعوا قائلاً يقول: من جوف البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه، إن فى الله خلفاء من كل مالك وعوضاً عن كل فائت، وأن المصاب من حرم الثواب، قال الراوى: كانوا يرون أنه الخضر .

واعلم ـ رحمك الله ـ: أن من أنكر وجود الخضر، فقط غلط، أو من قال: إنه غير خضر موسى، أو من قال: إن لكل زمان خضراً، وإن الخضرية رتبة يقوم بها رجل بعد رجل فى كل زمن، والمنكر لوجود الخضر معترف على نفسه بأن منة الله عليه بلقاء الخضر لم تواجهه، وليته إذ فاته الوصول إليها لا يفوته الإيمان بها، ولا تفتر بما عساك أن تقف عليه من كلام أبى الفرج بن الجوزى فى كتاب سماه (عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر) أنكر فيه وجود الخضر، وقال: من قال إنه موجود فإنما قال ذلك لهواجس ووساوس وهوس قائم به ويستدل على عدم وجوده بقوله سبحانه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الخُلْدَ ﴾[1] فعجب لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية، ولا دليل فيها لأن الخلد هو بقاء لا موت معه، وليس هو المدعى فى الخضر، إنما المدعى طول إقامة يكون الموت بعدها، فاعجبوا رحمكم الله لرجل يصدق ببقاء إبليس، وينكر طول بقاء الخضر، وما يروونه عن رسول الله ﷺ { لو كان الخضر حيا لزارنى } فلم يثبته أهل الحديث، فإن قالوا: لو كان ذلك لنقل، فاعلم أنه ليس كل شيء أطلع الله عليه رسول الله ﷺ يلزمه الإعلام به، كيف وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال { علمنى ربى ثلاثة علوم، علم أمرنى بإفشائه، علم نهانى عن إفشائه، وعلم خيرنى فى إفشائه } .

وقال بعض العارفين إن الله ﷻ أطلع الخضر على أرواح الأولياء فسأل ربه أن يبقيه فى دائرة الشهادة، حتى يراهم شهادة كما رآهم غيبا .

قال الشيخ أبو العباس: كنت مع الشيخ فى السفر، ونحن قاصدون الأسكندرية، حين مجيئنا من المغرب، فأخذنى ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله، فأتيت الشيخ أبا الحسن ﷺ، فلما أحس بى قال: أحمد .. قلت: نعم سيدى .. قال: آدم خلقه الله بيده

---

[1] (الأنبياء ٣٤)

وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته نصف يوم (خمسمائة عام) ثم نزل به إلى الأرض، والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه، ولكن نزل به إلى الأرض ليكمله، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله سبحانه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] ما قال ﷻ في السماء، ولا في الجنة . فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة . فإنه كان يعبد الله فى الجنة بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف، فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة .

وأخبرنى بعض أصحاب الشيخ أبو الحسن قال: قال الشيخ ليلة اجتمع بى الشرف البونى وشرف الدين بن المحلى ، وأخبرانى أنهما دخلا على امرأة بغربى الأسكندرية فقالت لنا: أرونى أيداكما فشمت أيدينا وقالت: اخوان صالحون، ثم قالت: انتهيت فى المعرفة إلى مقام الحيرة، فقلت: إلهى بم يخرج العارفون من الحيرة؟ فقالت لى: بالتوحيد، فهل فيكم من يعرف هذا التوحيد الذى يخرج العارفون به من الحيرة؟ قالا فقلنا لها: إنما جئنا نلتمس بركتك، ثم قال الشيخ أبو الحسن: ألا دلوها على من ضيق عليه، ألا دلوها على من ضيق عليه، ثم توجه إلى جهتها وقال: التوحيد الذى يخرج العارفون به من الحيرة لا إله إلا هو، يخرج العارفون من الحيرة بلا إله إلا هو، فأصبح بعض أصحاب الشيخ فذهب إليها فوجدها وهى تقول: استغنيت . استغنيت، فعلمنا أن الشيخ أمدها فى تلك الساعة .

وقال الشيخ أبو الحسن: كنت فى بعض سياحاتى وقد آويت إلى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت فيها ثلاثة أيام لم أذق فيها طعاماً، فبعد الثلاثة أيام دخل على أناس من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك، فلما رأونى قالوا: قسيس من المسلمين فوضعوا عندى طعاماً، وأداما كثيراً فعجبت كيف رزقت على أيدى الروم، ومنعت ذلك من المسلمين؟ وإذا قائل يقول لى: ليس الرجل من نصر بأحبابه، وإنما الرجل من نصر بأعدائه.

وقال الشيخ أبو الحسن: نمت ليلة فى ساحتى على رابية من الأرض فجاءت السباع فطافت بى. فأقمت إلى الصباح، فما وجدت أنساً كأنس وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لى أنه حصل لى من قام الأنس بالله بشىء فهبطت وادياً وكان هناك طيور حجل لم أراها فلما أحست بى طارت بمرة فخنق قلبى رعباً، فإذا على يقول لى: يامن كان البارحة يأنس بالسباع مالك توجل من خفقان الحجل، ولكن البارحة كنت بنا، والآن أنت بنفسك.

---

[1] (البقرة: ٣٠)

وقال ﷺ قلت يوماً وأنا في مغارة في ساحتي: إلهي متى أكون لك عبداً شاكراً؟ فإذا علي يقول لي: إذا لم تر منعماً عليه غيرك، فقلت: إلهي كيف لا أرى منعماً عليه غيري؟ وقد أنعمت على الأنبياء وأنعمت على العلماء وأنعمت على الملوك، فإذا علي يقول لي: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما آمنت، فالكل نعمه مني عليك .

وقال ﷺ: جعت مرة ثمانين يوماً فخطر لي أن قد حصل لي من هذا الأمر شيء، وإذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسناً وهي تقول منحوس . منحوس جاع ثمانين يوماً يدل على الله بعمله، وهو ذا لي ستة أشهر لم أذق طعاماً

وقال ـ رحمه الله ـ: كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد هل ألازم البراري والقفار للتفرغ للطاعة والأذكار، أو أرجع إلى المدائر والديار، لصحبة العلماء والأخيار، فوصف لي ولَياً هناك وكان برأسي جبل، فصعدت إليه فما وصلت إليه إلا ليلاً، فقلت في نفسي لا أدخل عليه في هذا الوقت، فسمعته وهو يقول من داخل المغارة: اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الناس على حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك، قال: فالتفت إلى نفسي وقلت: يا نفس انظري من أى بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت عليه، فأرعبت من هيبته فقلت له: يا سيدى كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم، كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار، فقلت له: يا سيدى أما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضى والتسليم، فلماذا قول أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله، فقلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قوما سألوك،أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم فإني أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئي إلا إليك، فتبسم ثم قال: يابني عوض ما تقول سخرلي خلقك، قل يارب كن لي أترى إذا كان لك أيفوتك شيء فما هذه الجناية .

وقال ﷺ: كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله، فكنا نقول غداً يفتح لنا، بعد غد يفتح لنا، فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا: من أنت؟ فقال: عبد الملك، فعلمنا أنه من أولياء الله، فقلنا له كيف حالك؟ فقال: كيف حال من يقول غداً يفتح لي بعد غد يفتح لي، فلا ولاية ولا فلاح، يا نفس لم لا تعبدين الله . قال: فانتفضنا، وقلنا من أين دخل علينا، فتبنا واستغفرنا، ففتح لنا .

وقال ﷺ: كنت يوما بين يدى الأستاذ فقلت فى نفسي: ليت شعرى هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال: ولد الشيخ وهو فى آخر المكان الذى أنا فيه: يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم ؛ الشأن من يكون هو عين الاسم، فقال الشيخ: من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدى .

وقيل للشيخ أبي حسن: يا سيدى لم تسمع لسماع فقال: السماع من الخلق جفاء .

وأخبرنى بعض أصدقائنا قال: استشفع طالب بالشيخ أبى حسن إلي القاضى تاج الدين بن بنت الأعز أن يزاد على مرتبه، فذهب الشيخ إليه فأكبر القاضى تاج الدين مجيء الشيخ وقال له: سيدى فيم جئت؟ قال: من أجل فلان، الطالب لنزيده في مرتبه عشرة دراهم، فقال له القاضى تاج الدين: يا سيدى هذا له فى المكان الفلانى كذ، وفى المكان الأخر كذا، وفى موضع كذا . كذا، فقال له الشيخ أبو الحسن: يا تاج لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده إياها فإن الله تعالي لم يقنع بالجنة للمؤمن من جزاء حتى زاده النظر إلى وجهه الكريم فيها .

وقال الشيخ أبو الحسن: سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ { إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة }[1] فأشكل على معناه، فرأيت الرسول ﷺ وهو يقول لي يا مبارك، ذاك غين الأنوار، لا غين الظلم والأكدار، وقال: سمعت الحديث المروى عن رسول الله ﷺ من سكن خوف الفقر قلبه، فلما يرفع له عمل فمكثت سنة أظن أنه لا يرفع عملي، أقول ومن يسلم من هذا فرأيت الرسول ﷺ فى المنام وهو يقول لى: يا مبارك أهلكت نفسك، فرق بين خطر وسكن .

وقال ﷺ: رأيت الصديق فى المنام، فقال لى: أتدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قلت لا أدرى قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم ف صحيحه، وأبو دارد (٢/٨٤) (١٥١٥) وأحمد فى مسنده (٤/٢١١)، والطبرانى فى الكبير (١/٢٨) والتبريذى فى مشكاة المصابيح (٢٣٢٤) والبيهقى فى الكبرى (٧/٩٢) الآحاد والمثانى (٢/٣٤٦) رقم (١١٢٧) والتاريخ الكبير (٢/٤٣) رقم (١٦٢٩) من حديث ابن عمر وروايته { مائة مرة } والديباج على صحيح مسلم (٦/٥٨) رقم (٢٧٠٢) والسنن الكبرى (٦/١١٦) رقم (١٠٢٧٦) والحاكم فى المستدرك (١/٦٩١) رقم (١٨٨٢) من حديث حذيفة ﷺ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه هكذا إنما أخرج مسلم حديث أبى بردة عن الأغر المزنى عن النبى ﷺ، انظر المعجم الكبير (١/٣٠٢) رقم (٨٨٧) والمنتخب من مسند عبد بن حميد (١٤٢) رقم (٣٦٤)، والنهاية فى غريب الأثر (٢/٣٣٥) وتاريخ بغداد (٨/٢٣) رقم (٤٠٦٨) وتقريب التهذيب (١/٧٣٩) تهذيب التهذيب (١/٣١٨) رقم (٦٦٣) وتهذيب الكمال (٣/٣١٥) رقم (٥٤٢) وابن ماجه (٢٧٠) رقم (٣٨١٥) .

وقال ﷺ: استنار قلبى يوما فكنت أشهد ملوكيته السموات والأراضين السبع فوقعت منى هفوة فحجبت عن شهود ذلك، فتعجبت كيف حجبنى عن هذا الأمر الكبير فإذا علي يقول لي: البصيرة كالبصر أدنى شيء يحل فيها يعطل النظر، ولنقبض عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب، وإلا فكلام الشيخ أشهر من أن ينبه عليه وأكثر ما ذكرته هنا لا يوجد في الكلام المنسوب إليه. وقد مضى من كلامه فى المقدمة، وسيأتى فى أثناء الكتاب إن شاء الله .

وحسبكم من كلامه ما ذكره من كرامات القطب وما ذكره من طريق الخصوص والعموم والعلوم والحقائق والأسرار وحلاوة اللفظ، وأجزته مع الاشتمال على المعانى الكثيرة والهيبة التى تجدها عند ذكرك لكلامه أو سماعك إياه قل أن تجد ذلك في شيء من كلام أهل الطريق إماماً .

قال فى كرامات القطب: فقال ﷺ: للقطب خمسة عشر كرامة، فمن ادعاها أو شيئاً منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجوديين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه، وحكم ما قبل وما بعد، وحكم ما لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم، بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه، فهذا معيار أعطاه الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الأسرار والمحيطة بمدد الأنوار .

وهذا نحو ما ذكره العارف بالله أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى كتاب الأولياء له أن من ادعى الولاية فيقال له: صف لنا منزل الأولياء فذكر مسائل معياراً على من ادعى الولاية

ولقد أخبرنى الشيخ مكين الدين الأسمر قال: مكثت أربعين سنة يشكل على الأمر فى طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عنى اشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فأزال عنى كل شيء أشكل على، ولما قدم الشيخ صدر الدين القولي إلى ديار مصر رسولاً اجتمع بالشيخ أبى الحسن وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة، والشيخ مطرق إلى أن استوفى الشيخ صدر الدين كلامه، فرفع الشيخ أبو الحسن رأسه وقال:

أخبرنى .. أين قطب الزمان اليوم؟ ومن هو صديقه؟ وما علومه؟ قال: فسكت الشيخ صدر الدين ولم يرد جواباً، وطريقه ﷺ طريق الغنى الأكبر، والتوصل العظيم حتى إنه كان

يقول ليس الشيخ من دلك على تعبك، إنما الشيخ من دلك على راحتك، ونشأ ﷺ على يديه رجال منهم من أقام بالمغرب كأبى الحسن الصقلى، وكان من أكابر الصديقين، وعبد الله الحبيبى وكان من أكابر أولياء الله تعالى. ومنهم من أتى معه وهاجر إلى ديار مصر منهم سيدنا ومولانا حجة الصوفية علم أهل الخصوص شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصارى المرسى ﷺ. ومنهم الحاج محمد القرطبى، وأبو الحسن البجائى، وأبو عبد الله البجائى، والوجهانى والخراز، ومنهم من صحبه بديار مصر منهم الشيخ مكين الدين الأسمر، والشيخ عبد الحليم، والشيخ الشرف البونى، والشيخ عبد الله اللقانى، والشيخ عثمان التوريجى، والشيخ أمين الدين جبريل. ولكل هؤلاء علوم وأسرار وأصحاب أخذوا عنهم، تركنا تتبع كراماتهم وخصوصياتهم لئلا نخرج عن غرض الكتاب .

وطريقه ﷺ تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدنى، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ .

وسمعت شيخنا أبى العباس ﷺ يقول: طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا المغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن على بن أبى طالب، وهو أول الأقطاب، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الأنساب من كانت طريقه بلبس الخرقة، فإنها رواية الرواية، تتعين بتعين رجال سندها . وهذه هداية، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ . وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذاً عنه وكفى بهذا منة.

ولقد قال لى الشيخ مكين الدين الأسمر ﷺ: أنا ما ربانى إلا رسول الله ﷺ . وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القناوى ﷺ أنه كان يقول: أنا لا منة لأحد على إلا رسول الله ﷺ وإذا أراد الله أن يتفضل على عبده ويغنيه عن الأستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل . وقال مالك لبعض جلسائه: إنى أريد أن أجعلك وزيرا . قال: ليس لى فى هذا سلف . قال: إنى أريد أن أجعلك سلفا لمن بعدك، ولنقتصر على هذا القدر فإنه كاف فى التعريف بقدر الشيخ أبى الحسن ﷺ، وما الأمر إلا كما قال القائل:

وقد وجدت مكان القول ذا سعة   فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

وبدأنا بذكر الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه، وإن كان قصدنا فى وضع الكتاب ذكر مناقب شيخنا أبى العباس ﷺ، ولكن فعلنا ذلك لأمرين:

أحداهما: إن ذلك تعريف بقدر الشيخ أبى العباس، لأن شرف التابع بشرف المتبوع

والثاني: لأن الشيخ كان هذا شأنه ذكر الشيخ والدلالة عليه والإعراض عن ذكر خصائصه هو نفسه، حتى قال له إنسان: يا سيدى نراك تقول: قال الشيخ . قال الشيخ وقل أن تسند لنفسك شيئاً، فقال الشيخ: لو أردت على عدد الأنفاس أن أقول: قال الله ولو أردت على عدد الأنفاس أن أقول: قال رسول الله ﷺ ولو شئت على عدد الأنفاس أن أقول قلت أنا . قلت أنا، ولكن أقول قال الشيخ وأترك ذكر نفسى أدباً .

وقد تم الكلام فى الباب الأول والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * * * * * *

الباب الثانى

فى شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام والحائز قصب السبق بالتمام وإخباره هو عن نفسه بما مَنَّ الله به عليه من النعم الجسام، وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول إلى الله تعالى لأفضل مرام .

ولنقدم أمام ذلك مقدمة، اعلم أن الوارث للرجل هو الظاهر بعلمه وحاله، وهو الذى يظهر طريق الموروث على يديه يفسر مجملها ويبسط مختصرها ويرفع منارها ويبث نورها يعرف الناس بما كان ذلك الرجل الكبير عليه من العلم بالله تعالى والمعرفة والنفوذ إليه والاحتظاء من نوره حتى إذا فرط الناس فى محبة ذلك الرجل الكبير، وتعظيمه فى حال حياته استدركوا ذلك بعد وفاته، لأن كل مقدور عليه مزهود فيه، وكل معجوز عنه متطلع إليه بالشغف .

حتى لقد سمعت الشيخ أبا العباس يقول: يكون الرجل بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالاً حتى إذا مات قالوا كان فلان وربما دخل فى طريق الرجل بعد وفاته أكثر مما دخل فيها فى حياته، والذى ظهر بهذه الأوصاف هو الشيخ أبو العباس الذى بث علوم الشيخ أبى الحسن، ونشر أنوارها وأبدى أسرارها، وسار الناس إليه من أقاص البلاد وأقبلوا مسرعين إليه من كل ناد فنشأت على يديه الرجال بصرها، وأظهرها بالمقال، والفعال حتى انتشرت فى الأفاق الأصحاب، وأصحاب الأصحاب، وظهرت علوم الشيخ فى مظهرى لسان وكتاب .

وأخبرنى الشيخ الصالح الأمين العدل زكى الدين الأسوانى قال: قال لى الشيخ أبو الحسن ﷺ: يا زكى عليك بأبى العباس فو الله إنه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمس عليه الماء، إلا وقد وصله إلى الله، يا زكى عليك بأبى العباس، فوالله ما من ولى لله كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه، يا زكى أبو العباس هو الرجل الكامل .

وسمعت الشيخ أبا العباس ﷺ يقول عن نفسه: والله ما سار الأولياء والأبدال من (ق) إلى (ق) حتى يلقوا واحد مثلنا فإذا لقوه كان بغيتهم، ثم قال: والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى .

وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه كان يقول: أبا العباس شمس، وعبد الحكيم قمر ـ وعبد الحكيم هذا ولى كبير من أصحاب الشيخ أبى الحسن ـ وقد تقدم ذكره، وسمعت الشيخ أبى العباس يقول: قال الشيخ أبو الحسن: سمعت يقال لى لن تهلك أمة فيها أربعة: إمام، وولى، وصديق، وسخى، وقال الشيخ أبو الحسن: الإمام هو أبو العباس.

وسمعت الشيخ أبا العباس يقول: ليس الشأن من ملك، الشأن من ملك وملك أن يملك، وأنا والله ملكت وملكت أن أملك من سنة وثلاثين سنة . وسمعته يقول: الولى إذا أراد أغنى، وسمعته يقول: والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته . وسمعته يقول: قال الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس: ما صحبتك إلا لتكون (أنت أنا ـ وأنا أنت) . وسمعته يقول: قال لى الشيخ: يا أبا العباس فيك ما فى الأولياء، وليس فى الأولياء ما فيك .

وأخبرنى فى بعض أهل البهنسا قال: قدم علينا الشيخ أبو العباس فقال: لى خمس وعشرون سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة عين، قال: ثم غاب عنا خمسة عشرة سنة، ثم قدم علينا فقال: لى الآن أربعون سنة ما حجبت عن الله طرفة عين، وقال يوماً والله لو حجب عنى رسول الله ﷺ ما عددت نفسى مع المسلمين، وأخبرنى بعض أصحابه قال: دخل عليه بدمنهور إنسان، فلما أراد أن يخرج قال: يا سيدى صافحنى فإنك قد لقيت عباداً وبلاداً، فلما خرج قيل: ما الذى يعنى ببلاد وعباد؟ فقال: إنسان يريد أنك صافحت عباداً أو سافرت بلاداً اكتسبت بركاتها فإذا صافحك حصل له منك بركة، فضحك الشيخ ثم قال: والله ما صافحت بهذه اليد إلا رسول الله ﷺ .

وكان ببشتيل القناطر رجل يقال له خليل، وهو الآن مدفون بها وكان من أولياء الله تعالى، قال: دخل على الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ فتوضأ عندى، ثم أخذ قوساً لى فجرها ثلاثاً فقلت له: يا سيدى من هو الخليفة بعدك؟ فقال: من يأتيك إلى هاهنا ويتوضأ نحو وضوئى هذا ويجر هذا القوس ثلاثة فهو الخليفة بعدى، قال: فدخل على أصحاب الشيخ أجمهم وأنا أترصد هل يفعل ذلك أحد؟ فلم يتفق حتى دخل الشيخ أبو العباس ﷺ على فى ذلك الوقت وتوضأ نحو وضوء الشيخ ورفع بصره فوجد القوس معلقاً، فقال: ناولنى تلك القوس فناولته إياه فجرها ثلاث مرات، ثم قال: يا خليل جاءك وعد الشيخ، وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه قال: هذا أبو العباس منذ نفذ إلى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم يجده .

وقال الشيخ أبو العباس: كنت ليلة من الليالى جالساً بالأسكندرية أكتب كتاباً لبعض أصحابنا، وإذا بالشيخ خليل هذا فى الهواء فقلت له: إلى أين انتهيت فى سياحتك فى هذه الليلة؟ فقال: خرجت من بشتيل وانتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب الأقصى، وأنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس وأعود إلى بلدتى ولو بسطت لى أكثر من ذلك لانبسطت، قال الشيخ: فقلت له: ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ولكن أنا الساعة لو أردت أن آخذ بيدك وأضعك على (ق) وأنا هنا لفعلت .

وخبرنى أبو عبد الله بن سلطان وكان من أولياء الله قال: أردت أن أرسل إلى الشيخ أبى العباس عسلاً فقلت إلى بعض أصحابى فقال: لى عندى نصفيتان عسل فراخ (أى: جرتان صغيرتان) فأتى إلى بهما فسددتهما وكتبت عليهما وديعة الشيخ أبى العباس المرسى وأتيت بهما إلى بحر تونس فدليتهما، فجاءنى الخبر من عنده أنهما وصلاً إليه، وأخبرنى بعض أصحابه قال: كان الشيخ جالساً يوماً فقال لبعض أصحابه: قم بنا فأتى إلى بحر السلسلة وأدلى يده فأخرج الجرتين .

وأخبرنى عبد العليم بن الشيخ ماضى ـ وماضى هذا أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن وهو أخو عبد الله بن سلطان ـ قال: صليت ليلة عند الشيخ أبى العباس قيام شهر رمضان، فلما فرغ من الصلاة قال لولده: خذ ابن عمك واصعد به إلى فوق، قال: فطلعنا عند الشيخ فوضع لنا قطائف وعسلاً، وقال: هذا العسل من عند عمك، فلما ذهبت إلى والدى قال لى: أبطأت الليلة لقد شغلت قلبى، قلت: كنت عند الشيخ أبى العباس وأطعمنى قطائف وعسلاً وقال هذا العسل من عند عمك، قال: فقال أبى عجب هذا لى فى الديار مصر عشرون سنة ما أرسل لى أخى شيئاً قط حتى بلغه أن وصول العسل كان على الوجه الذى تقدم .

وكان يقول: والله لو حجبت عنى جنة الفردوس طرفة عين ما عددت نفسى مع المسلمين، وكان يقول: لو فاتنى الوقوف بعرفة فى سنة ما عددت نفسى مع المسلمين .

وسمعته ﷺ يقول: إذا أوذيت من بعض أصحابه أصبر فوالله ما هى إلا لك أى ما الوراثة إلا لك .

ووجدت بخط الشيخ ابن ناشى أخبرنا الشيخ جلال الدين عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ أنه قال: ألبس اليوم أبو العباس ثياب البدلة حين مجيئهم من الحجاز بالمراس بالجدير، قال ابن ناشى: فكتبت إلى شيخى أبى العباس ﷺ فى ذلك الشعر:

على ذلك الوجه الجميل تحيتى فيارب بلغنى إلى باب قدوتى
أقبل أقداماً سعت نحو خلوة بها خلوة اشيخ أعظم خلوة
فأخرج من ضيق الضلال إلى الهدى وصحح لى عقدى وعهدى ونيتى
وأشْرَقَتْ الأنْوَارُ من كل وجهة بتلقينه الأوراد فى كل زروة
وأبصرت ما أبصرت من ذاك الذى فلا تسألوا يا قوم عن تلكموا التى
أَنُوحُ عَلَيْهَا لا أَبُوح ببعضها ولكننى إن بحت بحت بعبرة
فسبحان من أعمى القلوب عن الذى تصرف بسر القلوب بهمة
ومن ذا الذى ربى بحضرة شيخه فاكرم بها من حضرة بعد حضرة
وكان جديراً فى الجدير بحلة غدت جلة الأبدال أو بسفرة
كذلك قال الشيخ وهو مسافراً بلا وقفة للركب فى مقام وقفة
أفى الوقت ربان كأحمد الذى أتانى فربانى على حين فترة
ومدحى له مدح لأحمد الذى على فى العلا أعلى مقام المحبة
فصلى عليه ما سار سائر إلى قبره بعد القيام بحجة

وأخبرنا الشيخ الإمام العارف نجم الدين عبد الله الأصفهانى نزيل مكة قال: قال لى الشيخ: صحبته وأنا ببلاد العجم أنك ستلقى القطب بديار مصر، فخرجت من بلادى قاصداً ذلك ثم وأنا فى بعض الطريق وإذ بجماعة من التتار فأمسكونى، وقالوا: هذا جاسوس فكتفونى ثم تشاوروا فى أمرى، فقال بعضهم: نقتله، وقال آخرون: لا نقتله، فبت مكتوفا ففكرت فى أمرى وقلت لنفسى: خرجت من بلادى أريد لقاء من يعرفنى بالله، والله ما جزعى من الموت، ولكن كيف أموت قبل أن أنال ما قصدت، فنظمت أبياتا ضمنت فيها شعرا من امرئ القيس منها:

وقد أوطأت نعلى كل أرض وقد أتعبت نفسى باغترابى
وقد طفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

فما استتممت الإنشاد إلا وأنا أرى رجلا كث اللحية ظاهر الهيبة أتى إلى كالبازى إذا انقض على الفريسة فحل وثاقى، وقال: قم يا عبد الله فأنا مطلوبك، ثم إنى قدمت ديار مصر، فقيل لى هاهنا رجل يقال له أبو العباس المرسى، فذهبت إليه فإذا هو ذلك الرجل الذى حل وثاقى، وقال لى: لقد أعجبنى ما نظمته ليلة أسرت وقولك .. وذكر الأبيات إلى آخرها !!

وأخبرني الشيخ نجم الدين أيضا قال: قال لى شيخى: إذا لقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك، فجئت يوما إلى أبى العباس وهو بالأسكندرية عند صلاة العصر، فلما دخلت عليه قال: أصليت العصر؟ قلت: لا، قال: قم فصل، وفى المكان الذى هو فيه إيوانان قبلى وبحرى، وكان الشيخ جالسا فى البحرى، فلما قمت لأصلى تذكرت ما قاله شيخى إذا لقيت القطب (فلا تصلين وهو وراءك) وعلمت أنى إذا صليت كان الشيخ وراء ظهرى، فأقام الله بقلبى حالة وقلت: حيثما كان الشيخ هناك القبلة، فتوجهت لناحية الشيخ وأردت أن أكبر، فقال الشيخ: لا هو لا يرضيه خلاف السنة .

وقال ﷺ: ماذا أصنع بالكيمياء؟ والله لقد صحبت أقواما ما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة، فيشير إليها فتثمر فى إبانا للوقت، فمن صحب هؤلاء الرجال، ماذا يصنع بالكيمياء؟

وأخبرنى بعض أصحابنا، قال: كنت أصحب بمدينة قوص الشيخ أبا عبد الله البجائى أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى، فكان يقع لى الأمر فأسأل عنه الشيخ أبا عبد الله فيقول: ليس هذا الأمر لى، ولكن إن جمع الله بينك وبين أبى العباس المرسى تجد عنده ما تريد .

وقال: رأيت فى المنام كأن معى طبقا فيه بسر وحوارى يأكل منه فعبرته، فقيل: هذا رجل كبير، لك على يديه علوم بعد ما أتى وقتها، فلما ورد الشيخ أبو العباس إلى مدينة قوص، دخلت عليه، فسألته عما كان يقع لى فأجابنى عن ذلك، وقال: تذكر رؤياك البسر والحوارى يأكل منه، أنا ذلك الحوارى .

وتجاريت الكلام يوما مع الشيخ مكين الأسمر ﷺ فقلت له عن الشيخ أبى العباس قال الشيخ: كذا ... وقال: كذا ...، وتمادى بنا الكلام والفقيه مكين يستغرب تلك الحقائق التى أقولها عن الشيخ إلى أن قال: نقول لك الحق ما عرفنا الشيخ أبا العباس، فهذا اعتراف من الشيخ مكين الدين بعظم شأن الشيخ أبى العباس، وأنه لم يعرفه مع أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى، وشهد للشيخ مكين الدين الأسمر، أنه من السبعة الأبدال.

وكنت يوما عند الشيخ أبى العباس الدمنهورى، وعنده إنسان من أصحاب أبى العباس. فقال له أحد الحاضرين: هذا من أصحاب أبى العباس المرسى، فقال الشيخ أبو العباس الدمنهورى: إن سيدى أبو العباس المرسى ملك من ملوك الآخرة .

وأخبرني سليمان الباخس قال: دخلت على الشيخ أبى العباس الدمنهورى فسمعته يقول: يا رب هذا أبو العباس، وأنا أبو العباس، ويكرر ذلك . فقلت: ياسيدى من أبو العباس؟ قال: المرسى يا بنى ما من أحد من أسوان إلى الأسكندرية رجل مثله، ثم قال: ما من أسوان إلى دمياط إلى الأسكندرية رجل مثله .

وأخبرني سليمان هذا قال: لقيت يوما الشيخ أبا العباس المرسى، وقد خرج من الحمام، فعزمت عليه بدارى، فصعد عندى فقدمت له من البطيخ (الصالحى)، وفى أثناء أكله سألته: عن رجل كان كثير الشهرة يرحل بالخلق الكثيرين والرايات، ولا يحضر صلاة الجمعة، حين ذكرت ذلك تغير لون الشيخ، وقال: والله لو علمت أنك تذكره لى ما طلعت عندك، تذكرون بين يدى الأبدال والأولياء أهل البدع .

وسمعته يقول: والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم فى زمن واحد قط، إلا واحد عن واحد إلى الحسن، وأخبرني جماعة من أهل أشموم، قالوا: قدم علينا الشيخ أبو الحسن الشاذلى، فكان يتكلم علينا فيعجبنا كلامه، فإذا رأى إعجابنا بذلك قال: كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسى، لو أطلق أبو العباس لسانى؟ لتكلمت بالعلم الغريب .

وسمعته يقول: كان يتكلم فى هذا العلم ثلاثة: الشيخ أبو الحسن، وصاحبه أبو الحسن الصقلى، وأنا، توفى الشيخ ﷺ، وتوفى الصقلى، ولا أعلم على وجه الأرض أحدا يتكلم فى هذا العلم غيرى، وكنت أنا حين توفى الشيخ أبو العباس بالقاهرة، فدخلت يوما زاوية الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فجلست فيها، فقال واحد من الفقراء يخاطب آخر: يا أخى لقد مات رجل كبير ! فقال له الآخر: من هو؟ قال: الشيخ أبو العباس المرسى، وهما لا يعلمان أنى من أصحاب الشيخ، فقال أحدهما: أتدرى ما اتفق الشيخ مع شيخنا صفى الدين؟ قال: لا، قال: سمع الشيخ ليلة هنا ذكر ألا يعهده، فقال لى: اذهب فانظر من هذا؟ فذهبت فإذا هو أبو العباس وأصحابه، فرجعت إلى الشيخ صفى الدين فأخبرته بما رأيت، فقال: يأتى هذا الرجل هنا ولا يزورنا؟ ما هذا إلا أمر عجيب؟! ثم أصبح الشيخ صفى الدين فقال لأصحابه: رأيت البارحة . كأنى فى فلاة من الأرض، وأبو [illegible] فى موضع مرتفع وهو يقول لى: يا أخى يأبى الله أن نجتمع إلا هكذا .

وقال الشيخ أبو عبد الله النعمان: الشيخ أبو العباس المرسى وارث علم الشاذلى حقيقة. وقال لى الشيخ أمين الدين جبري: تريد أن أريك وليا من أولياء الله تعالى، قلت: نعم، قال: امض بنا، فأتى بى إلى الشيخ أبى العباس وقال: هو هذا ! !

وأخبرني بعض أصحابه: عزم إنسان على الشيخ فقدم إليه الطعام يختبره، فأعرض عنه الشيخ ولم يأكله، ثم التفت إلى صاحب الطعام، وقال: إن كان الحارث بن أسد المحاسبى فى إصبعه عرق، إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه، فأنا فى يدى ستون عرقا تتحرك على إذا كان مثل ذلك، فاستغفر صاحب الطعام واعتذر للشيخ .

ومن المشهور بين أصحاب الشيخ أبى الحسن وغيرهم أن الشيخ كان يوماً بالقاهرة فى دار الزكى السراج وكتاب المواقف للنفرى يقرأ عليه، فقال: أين أبو العباس؟ فلما جاء قال: تكلم يا بنى بارك الله فيك تكلم ولن تسكت بعدها أبداً، فقال الشيخ أبو العباس: فأعطيت فى ذلك الوقت لسان الشيخ، ولقد كان علماء الزمن يسلمون له هذا الشأن حتى كان شيخنا الإمام العلامة سيف المناظر حجة المتكلمين شمس الدين الأصفهانى، والشيخ العلامة شمس الدين الأيكى، يجلسان بين يديه جلوس المستفيد، آخذين عنه ومتعلقين ما بيديه، حتى سأله أحدهما عن بعض المشايخ الظاهرين فى الوقت، يا سيدى: أتعرفه؟ فقال الشيخ أعرفه هنا وأشار إلى الأرض، ولا أعرفه هنا وأشار إلى السماء .

وسأله أحدهما عن إنسان كان بدمشق الغالب عليه السكر والغيبة، فقال الشيخ ﷺ كل من لا يكون له فى هذه الطريقة شيخ لا يفرح به .

وكان من مذهبه ﷺ أنه لا يلزم أن يكون القطب شريفاً حسينياً، بل يكون من غير هذا القبيل، وتكلم يوماً فى القطب وأوصافه، ثم قال: وما القطبانية بعيدة من بعض الأولياء، وأشار إلى نفسه .

وأخبرني بعض أصحابه قال: استلقى الشيخ يوماً على ظهره ومسك بلحيته وقال: لو علم علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوها، ولو سعياً على وجوههم .

وكان يقول والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله علينا، وقال فى الإمام أبى حامد الغزالى ﷺ: لنشهد له بالصديقية العظمى .

وكان الشيخ أبو الحسن يقول: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بإيمان أبى حامد الغزالى .

وكان يقول عن شيخه أبى الحسن: كتاب الإحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور . وكان يقول عن الشيخ أبى الحسن: عليكم بالقوت فإنه قوت، وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الإمام الربانى محمد بن على الترمذى، وكان كلامه

عندهما الحظوة التامة، وكان يقول عنه إنه أحد أربعة أوتاد .

ودخلت عليه يوماً فوجدته مغموساً فى وارد ورد عليه فقال: سمعت البارحة يقال لى السلام عليكم يا عبادى، ثم قال وهذا قد سمعته فى السنة مرة أو مرتين، وهذا الحديث الذى قال فيه أبو العباس بن العريف شعراً:

بدا لك طال عنك اكتمامه	ولا صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبة	ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطنبت	على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه	شهى إليه نشره ونظامه

* * * * * * * *

الباب الثالث

فى مجرباته، ومنازلاته، وما اتفق لأصحابه معه، ومكاشفاته

سمعت الشيخ أبا العباس ﷺ يقول: كنت وأنا صبى عند المؤدب جاء رجل فوجدنى أكتب فى لوح، فقال: للصوفى لا يسود بياضاً، قال: فقلت: ليس الأمر كما زعمت، ولكن يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب .

وسمعته يقول: عمل إلى جانب دارنا خيال الستارة، وأنا إذ ذاك صبى فحضرته، فلما أصبحت أتيت إلى المؤدب وكان من أولياء الله تعالى فأنشد حين رآنى:

يا ناظراً صور الخيال تعجبا   وهو الخيال بعينه لو أبصرا

وقال ﷺ: رأيت ليلة كأنى فى سماء الدنيا، وإذا برجل أسمر اللون قصير الطول كبير اللحية، فقال: قل اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد، وهذا دعاء الخضر من قاله كل يوم كتب من الأبدال، فقيل هذا الشيخ ابن أبى شامة، فلما انتهيت وأتيت إلى الشيخ أبى الحسن جلست ولم أخبره شيئاً، فقال: اللهم اغفر لأمة محمد ـ الدعاء ـ من قاله كل يوم كتب من الأبدال .

وقال ﷺ: كنت أخرج كل يوم من باب البحر نحو المنار فخرجت يوماً إلى المنار، فنمت عند الجانب الشرقى، وكان قد خطر فى نفسى ما سبب قلة رواية أبى بكر الصديق ﷺ عن الرسول ﷺ مع كثرة ملازمته له، فإذا على يقول لى: أعلم الناس بعد رسول الله أبو بكر الصديق، وإنما قلت روايته عنه لتحققه به .

وقال ﷺ طالعت مقام الرحمة فإذا على يقول لى: والله ليكونن من رحمة يوم القيامة ما ينال منها ابن أبى الطواجن، وكان هذا ابن أبى الطواجن قد قبل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ .

وقال ﷺ كنت مع الشيخ فى مدينة الرسول ﷺ فأردت أن أزور حمزة ﷺ فخرجت من المدينة فتبعنى رجل فأتينا إلى التربة فإذا الباب مغلق فانفتح الباب ببركة رسول الله ﷺ فدخلنا فوجدنا هنالك رجل من الأبدال، فقلت للرجل الذى تبعنى ادع فى هذا الوقت بما تريد فإنه مستجاب لك إن شاء الله تعالى، فدعا ذلك الرجل أن يعطيه الله ديناراً، فلما رجعنا إلى المدينة لقيه رجل فأعطاه ديناراً، فلما دخل علي الشيخ أبى الحسن قال له: يا

بطال صادفت وقت إجابة فسألت الله ديناراً، أهلا سألت الله كما سأله أبو العباس سأله أن يكفيه هم الدنيا وعذاب الآخرة، وقد استجاب الله تعالى له ذلك .

وقال ﷺ كنت جالساً بين يدى الأستاذ فدخل عليه جماعة من الصالحين، فلما خرجوا من عنده قال: هؤلاء الأبدال، فنظرت ببصيرتى فلم أجدهم أبدالا، فتحيرت بين ما أخبر به الشيخ وبين ما شهدته بصيرتى، فبعد ذلك بأيام قال الشيخ: من بدلت سيئاته حسنات فهو بدل، فعلمت أن الشيخ أراد أول مراتب البدلية .

وأخبرنى الشيخ العارف نجم الدين الأصفهانى قال: قال لى الشيخ أبو العباس يوماً ما اسم كذا وكذا بالعجمية؟ فخطر لى أن الشيخ يجب أن يقف على اللغة العجمية، فأتيت له بكتاب الترجمان . فقال الشيخ ﷺ ما هذا الكتاب؟ قلت: سل ما شئت بالعجمية أجيبك بالعربية، أو سل ما شئت بالعربية أجيبك بالعجمية، فسألته بالعجمية فأجبنى بالعربية، وسألته بالعربية فأجابنى بالعجمية، وقال يا عبد الله ما أردت بقول ما اسم كذا؟ إلا مباسطتك، وإلا فلا يكون صاحب هذا الشأن ويخفى عليه شيء من الألسنة.

وأخبرنى أيضاً قال: قال لى الشيخ أبو العباس يوماً: كم بين بلدة كذا وبلدة كذا من نهر لبلدتين من بلاد العجم؟ فقلت أربعة أنهار، فقال: والنهر الذى غرفت فيه، فذكرت إنى نسيت نهراً أتيت لأخوضه فكدت أن أغرق فيه .

وأخبرنى العارف ياقوت قال: عزم على إنسان فقدم لى طعاماً فرأيت عليه ظلمة كالمكب، فقلت فى نفسى: هذا حرام فامتنعت من أكله، ثم دخلت على الشيخ أبى العباس فقال لى أول ما جلست: ومن جهل بعض المريدين أن يقدم له طعام فيرى عليه ظلمة فيقول هذا حرام، يا مسكين ما يساوى ورعك بسوء ظنك، هل قلت: هذا طعام لم يردن الله به .

ودخلت أنا عليه وفى نفسى ترك الأسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلاً: إن الوصول إلى الله لا يكون على هذه الحالة، فقال لى من غير أن أبدى له شيئاً: صحبنى بقوص إنسان يقال له ابن ناشي، وكان مدرساً بها ونائب الحكم، فذاق من هذا الطريق شيئاً على يدينا، فقال: يا سيدى أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك؟ فقلت له: ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أقامك الله، وما قسم لك على أيدينا هو إليك واصل، ثم قال: هكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذى يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى وكأنها كانت ثوباً نزعته، ورضيت

عن الله فيما أقامنى فيه .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: رأيت وأنا بالمغرب دائرة من الرجال ورجل فى وسطها. وكل من فى تلك الدائرة متوجه إليه، فقلت فى نفسى هو القطب، وعرفت ذلك الرجل بصفته، وبقيت كلما ذكر لى عن رجل آتى إليه وأقول عسى أن يكون ذلك الرجل، حتى قيل لى عن الشيخ أبى العباس المرسى، فأتيته وإذا هو ذلك الرجل الذى رأيته فى وسط تلك الدائرة، فأخبرته فقال: نعم أنا القطب، أما الذين يقابلون بطنى لهم المدد من باطن حقيقتى، والذين يقابلون ظهرى لهم المدد من ظاهر علمى، والذين يقابلون جنبى لهم المدد من العلوم التى بين جنبى .

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: رأى إنسان من أهل العلم والخير كأنه بالفرقة الصغرى والناس مجتمعون يتطلعون إلى السماء، وقائل يقول: الشيخ أبو الحسن الشاذلى ينزل من السماء والشيخ أبو العباس مترقب لنزوله متأهب له، فرأيت الشيخ أبا الحسن قد نزل من السماء وعليه ثياب أبيض، فلما رآه الشيخ أبو العباس ثبت رجليه فى الأرض وتهيأ لنزوله عليه، فنزل الشيخ أبو الحسن عليه ودخل من رأسه حتى غاب فيه واستيقظت .

وأخبرنى الشيخ محمد السراج قال: كنت ليلة من الليالى نائماً وأنا أرى فى المنام قائلاً يقول لى: اذهب إلى خارج الأسكندرية من باب السدرة فأول بستان تلقاه من الجانب الأيسر، فادخل فيه فإنك تجد هناك جماعة من الناس، الجالس منهم تحت أطول نخلة هناك رجل من الرجال، ثم قيل لى إن فى الجامع حلقة من دخل فيها فهو آمن، فلما أصبحت خرجت إلى ظاهر الأسكندرية فدخلت أول بستان من الجانب الأيسر فوجدت حلقة هناك فرفعت بصرى لأنظر إلى أطول نخلة، فإذا قائل يقول: كلها طوال، فإذا هو الشيخ أبو العباس المرسى، فسلمت وجلست وقلت يا سيدى: رأيت البارحة كذا وكذا وقصصت عليه الرؤيا، فقال: أنا الجامع والحلقة هم أصحابى ومن دخل فيها فهو آمن، أى. من دخل فى شروطنا فهو آمن، ثم قال: أنا الليلة آتيك، فقلت يا سيدى انتظرك على الباب أو أترك لك الباب مفتوحاً، قال: لا ولكن أغلق الباب وأنا آتيك، قال: فلما كان الليل أخذنى شبه الوهم وصرت أقول: من أين يأتى من هنا يأتى؟ لا بل من هنا يأتى؟ فلم أطق المكث فخرجت إلى رباط الواسطى فصعدت المآذنة، ووقفت لأصلى، فأنا فى الصلاة، وإذا الشيخ أبو العباس قد أتى فى الهواء، وقال: يا محمد أتظن أنك إذا جئت إلى هنا

يخفى علىّ مكانك؟ فقلت: يا سيدى إنما جئت هنا لأنى لم أطق، وهالنى الأمر، وكان المخاطب له منى لسان آخر غير الذى كنت أقرأ به .

وأخبرنى بعض أصحابه قال: كنا مع الشيخ بمدينة قوص، وكان من أصحاب الشيخ أبى العباس المرسى، وأبو الحسن المرسى، وكان فى خلقه حدة فنزل يوماً ولد الشيخ يلعب كما تلعب الصبيان، فقال له الشيخ أبو الحسن المرسى: اطلع لا أطلعك الله، فسمعه الشيخ أبو العباس فنزل وقال: يا أبا الحسن حسن خلقك مع الناس بقى لك عام وتموت، فمات تمام العام .

وأخبرنى أبو عبد الله الحكيم المرسى قال: قدم علينا الشيخ آشمون فلما جن الليل دعانى الشيخ وقال: ادن منى يا حكيم فدنوت فوضع يده خلف ظهرى وفعلت أنا كذلك وضمنى إليه، وبكى وبكيت لبكائه ولا أدرى مما بكاؤه، فقال: يا حكيم ما جئتكم إلا مودعاً يا حكيم اذهب إلى المقر فأودع أخى، ثم أعود إلى الأسكندرية، فأبيت بها ليلة وأدخل فى اليوم الثانى قبرى، فسافر فأقام عند أخيه مدة يسيرة، ثم انحدر إلى الأسكندرية فأقام ليلة، ودخل اليوم الثانى قبره كما قال .

وأخبرنى سيدنا جمال ولد الشيخ ﷺ قال: ورد رسول الإفرنج إلى الأسكندرية فذهبت لأنظره ولم أعلم الشيخ، فلما جئت قال: أين كنت؟ قلت: هاهنا، قال: لا بل ذهبت تنظر رسول الإفرنج، أتظن أن شيئاً من أحوالك يخفى على . كان الرسول لابساً كذا، وراكباً عن يمينه فلان وعن يساره فلان، فوصف الحال على ما كان عليه .

وأخبرنى عبد العزيز المديونى قال: قال لى الشيخ: يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ وما كنت سقيتها، فقلت نعم خوفاً من الشيخ، فقال يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ قلت: نعم، فكرر على ذلك مراراً وأنا أقول نعم، وفى المرة الأخيرة قال والله وطار فى الهواء حتى غاب عن بصرى، فلما كان اليوم الثانى قال: يا عبد العزيز ما الذى يحوج الإنسان منكم أن يقول غير الحق، كنت تقول ما سقيتها وماذا كنت أصنع بك؟ إذا كنت لم تسقها، وكنت أنا سمعت الطلبة يقولون من صحب المشايخ لا يجىء منه فى العلم الظاهر شىء، فشق على أن يفوتنى العلم وشق على أن يفوتنى صحبة الشيخ، فأتيت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحماً بخل، فقلت فى نفسى ليت الشيخ يطعمنى لقمة من يده، فما استتممت الخاطر إلا وقد دفع فى فمى لقمة من يده، ثم قال: نحن إذا صحبنا تاجراً ما نقول له اترك تجارتك وتعال أو صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال، أو طالب علم لا نقول له اترك طلبكم

للعلم وتعال، ولكن نقر كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه وما قسم لـه على أيدينا هو واصل إلـيه، وقد صحب الصحابة رسول الله ﷺ فما قال لتاجر اترك تجارتك، أو لذى صنعة اترك صنعتك، بل أقرهم على أسبابها وأمرهم بتقوى الله فيها .

وسمعته يقول: سافرت إلى قوص ومعى خمسة أنفس الحاج سليمان وأحمد بن الزين وأبو الربيع وأبو الحسن المرسى وفلان، فقال لى إنسان ما الذى تقصد بسفرك يا سيدى؟ فقلت له ادفن هؤلاء الخمسة وأجىء، فدفنت الخمسة بها أما الحاج سليمان فما مات حتى شرب من حوض الكوثر .

وأخبرنى بعض أصحابه قال: نزلت عند بعض الأعيان فقلت فى نفسى أشتهى من ينبهنى قبل الفجر بمنزلة ويأتينى بإبريق ماء ساخن ويأتينى بسراج ويرينى محل الطهارة، وإذ أنا قبل الفجر إلا وطارق يطرق الباب فخرجت وإذا هو الشيخ، فقال: الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا إبريق فيه ماء ساخن وهذه شمعة وتعالى حتى أريك محل الطهارة، وكنت قد قلت لبعض أصحاب الشيخ أريد لو نظر إلى الشيخ بعنايته وجعلنى فى خاطره، فقال ذلك للشيخ، فلما دخلت على الشيخ قال: لا تطلبوا الشيخ بأن تكونوا فى خاطره، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم، فعلى مقدار ما يكون عندكن تكونون عنده، ثم قال: أى شىء تريد أن يكون، والله ليكونن لك شأن، والله ليكونن لك شأن عظيم، والله ليكونن كذا، والله ليكونن كذا، ولم أثبت منه إلا قوله ليكونن لك شأن عظيم، فكان من فضل الله ﷻ ما لا تنكره .

وأخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال: قلت للشيخ هم يريدون يصدرون ابن عطاء الله فى الفقه، فقال الشيخ: هم يصدرونه فى الفقه وأنا أصدره فى التصوف، ودخلت أنا عليه فقال لى: إذا عوفى الفقيه ناصر الدين مجلسك فى موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية، وتتكلم إن شاء الله فى العالمين فكان ما أخبر به .

وسمعته يقول أريد أن استنسخ كتاب التهذيب لولدى جمال الدين، فذهبت أنا استنسخه من غير أن أُعْلِمَ الشيخ، وأتيته بالجزء الأول فقال: ما هذا؟ فقلت كتاب التهذيب استنسخته لكم، فأخذه فلما نهض ليقوم قال: اجعل بالك الولى لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله تعالى فى ميزانك، فلما أتيته بالجزء الثانى لقينى بعض أصحابه بعد نزولى من عنده وقال: قال الشيخ عنك والله لأجعلنه من عيون الله يقتدى به العلم الظاهر والباطن، فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابه وقال:

طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء، فقال: هذا الكتاب استنسخه لى ابن عطاء الله، والله ما أرضى له بجلسة جده، ولكن بزيادة التصوف .

وأخبرنى بعض قال: قال الشيخ يوماً: إذا جاء ابن فقيه الأسكندرية فأعلمونى به، فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك، فقال: تقدم فقدمك بين يديه ثم قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش، فقال له جبريل: هذا ملك الجبال أمره الله أن يطيع أمرك فى قريش، فسلم عليه ملك الجبال وقال: يا محمد إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فقال رسول الله ﷺ { لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيئاً }[1] فصبر عليهم رسول الله ﷺ رجاء أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله، كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه .

وخرجت يوماً من عند الفقيه المكين الأسمر ﷺ، وخرج معى أبو الحسن الجريرى، وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن، فسلمت عليه فسلم علىّ ببشاشة وإقبال فقلت له: من أين تعرفنى؟ فقال: وكيف لا أعرفك، كنت يوماً جالساً عند أبى العباس وكنت أنت عنده، فلما نزلت قلت له: يا سيدى إنه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم، فقال الشيخ: يا أبا الحسن لن يموت هذا الشاب إن شاء الله تعالى حتى يكون داعياً يدعوا إلى الله فكان ما قاله الشيخ والحمد لله .

وأخبرنى أبو الحسن هذا قال: كنت عند الشيخ أبى الحسن وكان يقرأ عليه كتاب ختم الأولياء للترمذى الحكيم، فرأيت واحداً جالساً لم يطلع معنا، ولم يكن عند الشيخ وقت طلوعنا؟ فقلت لإنسان إلى جانبى: من هذا الرجل الجالس إلى جانب فلان؟ فقال: ما هاهنا أحد غير الجماعة الذين نعرفهم، فسكت وعلمت أنه لم يره، فلما انصرف الجميع سألت الشيخ أبا الحسن ﷺ فقلت: يا سيدى هاهنا رجلاً لم يطلع معنا ولم يكن عندك قبل طلوعنا، فقال الشيخ: ذاك أبو العباس المرسى يأتى كل ليلة من المقسم حتى يسمع الميعاد ثم يعود من ليلته إلى مكانه، والشيخ أبو الحسن إذا ذاك بالأسكندرية .

وكنت كثيراً ما يطرأ على الوسواس فى الطهارة، فبلغ ذلك الشيخ فقال: بلغنى أن بك وسواساً فى الوضوء، فقلت: نعم، فقال هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب

[1] حديث صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه (١٤٢٠/٣) رقم (١٧٩٥) وانظر الجامع الصحيح المختصر (١١٨٠/٣) رقم (٣٠٠٩) والديباج على صحيح مسلم (٤٠٦/٤) رقم (١٧٩٥) والسنن الكبرى (٤١٧/٢) رقم (٣٩٨٦) والنهاية فى غريب الأثر (٣٢/٢)

بهم ثم مكثت أياماً ودخلت عليه فقال: ما حال ذلك الوسواس؟ فقلت على حاله فقال: إن كنت لا تترك الوسوسة فلا تعد تأتينا، فشق ذلك على وقطع الوسواس عنى .

وكان ﷺ يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز، وعملت قصيدة أمدحه بها مذكورة فى آخر هذا الكتاب فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة أخرى بإشارته جوا بالقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد أخميم وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرها، فلما قرئت عليه، قال: هذا الفقيه صحبنى وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث فى العلمين يشير إلى مرض الوسوسة فلقد انقطع بركات الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التى أجدها . قد تساهلت فى بعض الأمور، والمرض الآخر كان بى ألم برأسى فشكوت ذلك إليه، فدعا الله لى فعافانى وشفانى، وبت ليلة من الليالى مهموماً فرأيت الشيخ فى المنام فشكوت إليه ما أنا فيه، فقال: اسكت والله لأعلمنك علما عظيماً، فلما انتبهت أتيت إلى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا، فقال: هكذا يكون إن شاء الله تعالى .

وجاء يوماً من السفر فخرجنا لقائه، فلما سلمت عليه، قال: يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وبهاك بين خلقه، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء .

وعلمت أنه لا يمكننى الانقطاع عن الخلق وإنى مراد بهم لقوله وبهاك بين خلقه، وكنت أنا لأمره من المنكرين، وعليه من المعترضين لا لشىء سمعته منه صح نقله حتى جرت بينى مقالة وبين أصحابه وذلك قبل صحبتى إياه، وقلت لذلك الرجل ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمة وظاهر الشرع يأباها، فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ: تدرى ما قال لى الشيخ يوم تخاصمنا؟ قلت: لا، قال دخلت عليه فأول ما قال لى هؤلاء كالحجر ما أخطاك منه خير مما أصابك، فعلمت أن الشيخ كشف بأمرنا، ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاماً فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الأذى .

وكان سبب اجتماعى به أن قلت فى نفسى بعد أن جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل: دعنى أذهب أنظر إلى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها، فقال: الأول إسلام، والثانى: إيمان، والثالث: إحسان، وإن شئت قلت الأول: عبادة والثانى: عبودية، والثالث: عبودة، وإن شئت قلت: الأول: شريعة، والثانى: حقيقة، والثالث: تحقق، أو نحو ذلك،

فما زال يقول: وإن شئت قلت، وإن شئت قلت إلى أن أبهر عقلى، وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهى، ومدد ربانى، فأذهب الله ما كان عندى، ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد فى شيئاً يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى ووجدت معنى غريباً، لا أدرى ما هو؟ فانفردت فى مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها، وما خلق فيها من عجائب قدرته فحملنى ذلك على العودة إليه مرة أخرى، فأتيت إليه فاستأذن على، فلما دخلت عليه قام وتلقانى ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلاً واستصغرت نفسى أن أكون أهلاً لذلك، فكان أول ما قلت له: يا سيدى أنا والله أحبك، فقال: أحبك الله كما أحببتنى، ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان، فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، فإن كنت بالنعمة: فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت بالبلية: فمقتضى الحق منك الصبر وإن كنت فى الطاعة: فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها، وإن كنت فى المعصية: فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار، فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوباً نزعته، ثم سألنى بعد ذلك بمدة: كيف حالك؟ فقلت: أفتش عن الهم فما أجده؟ فقال:

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظلام ونحن فى ضوء النهار

الزم فوالله لئن لزمت لتكون مفتياً فى المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن .

* * * * * * *

الباب الرابع

في علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته

كان ﷺ لا يتحدث معه فى علم من العلوم إلا وتحدث معك فيه، حتى يقول السامع له إنه لا يحسن غير هذا العلم، سيما علم التفسير والحديث، وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه، وكان كتابه فى أصول الدين والإرشاد فى الحديث كتاب المصابيح، وفى الفقه التهذيب والرسالة، وفى التفسير كتاب ابن عطية وقد كان يقرأ عليه بعض المعرفين فى العربية فيرد عليه اللحن، وأما علوم المعارف والأسرار فقطب رحاها، وشمس ضحاها تقول: إذا سمعت كلامه هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله هو بأخبار أهل السماء منه بأخبار أهل الأرض.

وسمعت أن الشيخ أبا الحسن قال عنه أبو العباس: بطرق السماء أعرف منه بطرق الأرض، كنت سمعته يتحدث ألا فى العقل الأكبر والاسم الأعظم وشعبه الأربعة والأسماء والحروف ودوائر الأولياء، ومقامات الموقنين، والأملاك المقربين عند العرش وعلوم الأسرار وأمداد الأذكار ويوم المقادير وشأن التدبير وعلم البناء وعلم المشيئة وشأن القبضة ورجال القبضة وعلوم الإفراد، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه وإنعامه ووجود انتقامه حتى لقد سمعته يقول: والله لولا ضعف العقول لأخبرت بما يكون غداً من رحمة الله وأن تنزل إلى علوم المعالمة.

ففى الزمن اليسير لحاجة الخلق إلى ذلك، ولذلك تقل أتباع من هذه علومه وقد يكثر المشترون للمرجان، وقل أن يجتمع على شراء الياقوت اثنان، ولذلك كان يقول أتباع أهل الحق قليلون، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[2] وقال ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] وقال فى أهل الكهف ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ ﴾[4] فأولياء الله أهل كيف الإيواء فقليل من يعرفهم.

وقد سمعته يقول: معرفة الولى أصعب من معرفة الله، فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى حتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب.

---

(١) (ص: ٢٤)
(٢) (سبأ: ١٣)
(٣) (يوسف: ٢١، ٦٨)
(٤) (الكهف: ٢٢)

زهده فى الدنيا:

فيستدل على الزهد فى الدنيا بالزهد فى الرياسة، ويستدل على الزهد فى الاجتماع بأهلها، ولقد مكث ﷺ فى الأسكندرية ستة وثلاثون سنة، ما أرى وجه متوليها، ولا أرسل إليه، وطلب ذلك المتولى بالأسكندرية الاجتماع به فأبى الشيخ ذلك، وقال له الزكى الأسوانى: يا سيدى متولى الأسكندرية . قال إنه يؤثر الاجتماع بك ويأخذنى فتكون شيخه، فقال الشيخ: يا زكى لست ممن يلعب به، والله إنى ألقى الله ولا يرانى ولا أراه، فكان الأمر كذلك .

وكان إذا نزل بلدة وقيل له متولى البلدة يريد أن يأتيك غداً سافر هو ليلاً، ولقد كان يأتى إليه متولى الثغر وناظره ومشد الدواوين بها، قليلة إتيانهم يغلب القبض عليه، ولا ينبسط الكلام كحاله فى عدم حضورهم، حتى كنا نقول: ليت ذلك الكلام الذى كان فى غيبتهم كان ليلة حضورهم، ولقد أتى إليه الشجاعى فى بحبوحة عزه وتمكنه من السلطنة فما ألوى عليه عنان همته، ولا فوق إليه سهام عزيمته، حتى لقد بلغنى أن الزكى الأسوانى لما استعرض الشجاعى حوائجه قال الشيخ: يا سيدى اطلب منه أرضاً يزرعها أصحابك، فقال: يا زكى هذا مما لا يكون أبداً .

ومن زهده أنه خرج من الدنيا وما وضع حجراً على حجر، ولا اتخذا بستاناً، ولا استنتج سبباً من أسباب الدنيا، ولا خلف وراءه رزقه، مع أن الزهد وصف من أوصاف القلوب، يصف بها الله قلب من أحبه، لكن له علامات تدل عليه .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: رأيت الصديق فى المنام فقال لى: أتدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قلت: لا أدرى، قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد .

وقال الشيخ أبو العباس: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ فى المنام، فقلت: يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا؟ قال: خوف المذمة وحب الثناء .

فإذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء، فعلامة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء .

وأما ورعه:

فلقد أخبرني بعض أصحابه أنه دخل يوماً بيت واحد من الجماعة فى البرج الذى هو فيه، فوجده يضرب فيه وتداً، قال: فانفق للشيخ من الحرج الأمر الكبير، وقال: كيف يحل لك أن تتصرف فى الحبس بأمر لم يؤذن لك فيه .

وكان يقول: والله ما دخل بطنى حرام قط، وكان يقول: الوَرِعْ من ورعه الله .

وقال ﷺ: عزم علينا بعض صلحاء الأسكندرية فى بستان له بالرمل فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر، ولم يخرج معنا صاحب البستان فى ذلك الوقت، بل وصف المكان فتجاربنا ونحن خارجون الكلام فى الورع فكل قال شيئاً، فقلت: إنما الورع من ورعه الله، فلما أتينا البستان، وكان زمن ثمرة التوت، فكلهم أسرع إلى الأكل وأكل، وكنت كلما جئت لآكل أجد وجعاً فى بطنى فأرجع، فينقطع الوجع عنى، فعلت ذلك مراراً فجلست ولم آكل شيئاً وهم يأكلون، وإذا بإنسان يصيح، كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستانى بغير إذنى؟ فإذا هم قد غلطوا فى البستان، فقلت لهم: ألم أقل لكم الورع من ورعه الله .

واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه إلا قليل، فإن من جملة ورعهم تورعهم من أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع فى غير فضله وخيره، ومن ورعهم: ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأنداد، والأرباب من ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات، والسكون إلى أنوار التجليات ومن ورعهم: ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء عن الوقوف مع الآخرة صفاء .

وقال الشيخ عبد الرحمن المغربى، وكان مقيماً بشرقى الأسكندرية: حججت سنة من السنين، فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الأسكندرية فإذا (على) يقال لى: إنك العام القابل عندنا، فقلت: إذا كنت العام القابل هاهنا فلا أعود إلى الأسكندرية، فخطر لى الذهاب إلى اليمن، فأتيت إلى عدن فأنا يوماً على ساحلها أمشى، وإذا أنا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم وبتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت: فى نفسى لم تصلح للدنيا ولا للآخرة، فإذا (على) يقال لى: من لا يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا .

قال الشيخ عثمان بن عاشور: خرجت من بغداد أريد الموصل، وأنا أسير وإذا بالدنيا

قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها، ومن بناتها ومشتهياتها، فأعرضت عنها، فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها، فقيل: يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنهما، فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك .

وقال الشيخ أبو الحسن: الورع[1] نعم الطريق لمن عجله ميراثه وأجل ثوابه، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله، وعلى البينة الواضحة والبصيرة للفائقة فهم فى عموم أوقاتهم، وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا ينبسطون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر. فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى، وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثواباً مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بهوى، وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدال على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين، والعياذ بالله العظيم من ذلك .

والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه، ومن لم يزداد بعلمه وعمله افتقاراً لربه وتواضعاً لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين بصلاحهم عن مصالحهم، كما قطع كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجدهم، فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم .

فانظر فهمك الله سبل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبابه، وهذا الورع الذى ذكره الشيخ ﷺ هل كان يصل فهمك إلى مثل هذا النوع من الورع ألا ترى قوله: فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الأبدال، والصديقين لا ورع المتنطعين الذى ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم .

---

(١) ونذكر من تعريفات الأئمة للورع ما يلى: قال ﷺ { ملاك دينكم الورع } وقال عمر بن الخطاب ﷺ ((لا ينبغى لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا)) وقال سليمان الدارانى: الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا. وسئل الشبلى عن الورع فقال: أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله طرفة عين، وسئل الخواص عن الورع فقال: ألا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى، وأن يكون اهتمامه بما يرضى الله .

وأما رفع همته:

فكان ظاهراً من ذلك بالعجب العجاب، وقد تقدم من رفع همته عن ولاة الأمور مع استعراضهم لحوائجه وتطارحهم عليه، قال قوماً لأصحابه: جاءنى الطواشى بهاء الدين وهو مشد الديوان إذ ذاك والفقيه شمس الدين الخطيب وهو يومئذ ناظر الأجياش فقال لى: إن هذه القلعة تحتاج إلى حصر وزيت وقناديل وتحتاج الفقهاء فيها إلى ما يأكلون ونحن حكام الوقت نطلق لها شيئاً كل شهر، فقلت لهم: حتى أشاور أصحابى . وأنتم أصحابى فماذا تشيرون؟ فلم يرجع إليه أحد جواباً فأعاد مراراً فلم يجبه أحد، فقال: اللهم أغننا عنهم ولا تغننا بهم إنك على كل شىء قدير، ولم يحجبهم إلى ما ذكروا ومات الشيخ - رحمه الله تعالى - وليس للمكان مرتب ولا معلوم .

وسمعته يقول: والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق، وسمعته يقول رأيت كلباً فى المحجة ومعى شىء من الخبز فوضعته بين يديه فلم يلتفت إليه فقربته من فمه فإذا على يقال لى: أف لمن يكون الكلب أزهد منه .

وسمعته يقول: خرجت يوماً أشترى حاجة من بعض من يعرفنى بنصف درهم فقلت فى نفسى: ولعله لا يأخذ منى، فإذا على يقال لى: السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين، فأتيت إلى الموضع الذى كنت مقيماً به ودخلت وأغلقت الباب وأنا جالس وإذا بإنسان قد فتح الباب على بمرة وقال: بماذا تكون السلامة فى الدين؟ فقلت له: بترك الطمع فى المخلوقين، فأخذها كأنما كانت ضالة وجدها، فتبين من حاله أن الشيخ كان قد قال له: اذهب إلى موضع كذا فاكتل لك ثلاث ويبات، فذهب فاكتال لنفسه أردبا فبلغ ذلك الشيخ، فقال: أفرغوا ما اكتال فى موضعه وأعطوه ثلاث ويبات التى كنا أعطيناه إياها

وقال ﷺ الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة، فهو بطر كله، فلذلك صاحبه لا يشبع أبداً . وكان يقول للناس أسباب، وسببنا نحن الإيمان والتقوى، قال الله سبحانه ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[1] .

---

[1] (الأعراف: ٩٦)

تنبيه وإعلام:

اعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق، ولقد سئل الجنيد ﷺ: أيزني العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ولعمرى لو سئل أيطمع العارف فى غير الله لقال: لا، وإنما مراد الحق سبحانه أن يفرده العباد فى كل شيء حباً وثقة وتوكلا وخوفاً ورجاء وذلك الذى تستحقه فرديته، وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

حــرام علــى مــن وَحّـدَ ربـه ... وأفْـرَدَهُ أنْ يحتدى أحـدا رفْـدَا
ويا صاحبى قِفْ لِى مع الحق وَقْفَةً ... أمُوتُ بِهَا وَجَدَاً وأحْيَا بهَا وَجْدَا
وقـل لملوك الأرض تجهـد جَهْـدَهَا ... فذا الملك ملك لا يُبَاعُ ولا يُهْتَدَى

ورفع الهمة إنما ينشأ عن صدق الثقة بالله، وصدق الثقة بالله إنما ينشأ عن الإيمان بالله على سبيل المعاينة والمواجهة فيوجب لهم إيمانهم الاعتزاز بالله، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] والنصر من الله، قال سبحانه ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] . والنجاة من العوارض الصادرة عن الله، قال الله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] فعز على المؤمن بثقته بمولاه ونصرته على نفسه وهواه ونجاته من العوارض أن لا تقطعه على سبيل هداه، وشعار أهل الإرادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عن ما سوى الله، وصيانة ملابس الإيمان من أن تدنس بالميل إلى الأكوان أو الطمع فى غير الملك المنان، ولنا فى هذا المعنى شعراً:

بكـرت تلـوم عـلى زمـان أجحفـا ... فصـدفت عـنها عـلها أن تصـدّفَا
لا تكــثرن عتـــباً لدهـــرك أنّـــهُ ... مـــا أن يطالــب بالصـفاء ولا الوَفـــا
مــا ضَـرَّنى إنْ كُنْـتَ فِـيهِ خَـاملاً ... فَالْـبَدْرُ بَـدْرٌ إنْ بَـدَا وإنْ خَفَـا
الله يَعْلَــمُ إنـــنى ذُو هِمَـــةِ ... تَـــأْبَى الدَنَايَـــا عفـــة وتظـــرفا
لم لا أصَـونُ عَـنْ الـوَرَى دَيْبَاجِيتى ... وأُريهُـــم عِـــزَ الْمُلـــوكِ وَأشْـــرَفَا
أأُريهُـــمْ أنّـــى الفقـــير إلـــيهم ... وجمـــيعهم لا يســـتطيع تَصَـــرُّفَا
أم كَـيف أسْـألُ رِزْقَـهُ مَـنْ خَلقَـهُ ... هَــذا لِعَمْـرى إنْ فَعَلـتُ هُـوَ الْجَفَـا
شـكوى الضـعيف إلى ضعيف مِـثْلَهُ ... عَجْـزٌ أقَـامَ بِحَامِلِـيه عَلَـى شَـفَا

---

(1) (المنافقون: ٨)
(2) (الروم: ٤٧)
(3) (يونس: ١٠٣)

فاســـترزق الله الـــذى إحســـانه عـــم الـــبرية مـــنه وتلطفـــاً
والجأ إليــه تجــده فيــم ترتجــى لا تعــد عــن أبـــوابه متحـــرفا

والذى يوجب إليك رفع الهمة عما سوى الله علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا وقد كفاك ومنحك وأعطاك فلم يبقَ لك حاجة عند غيره، فإذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته، كيف لا يوجب لهم الفهم الاكتفاء بعلمه عن سؤال خليقته؟ ومن فاتحه الحق سبحانه بشىء فما فاتح به أحباءه فقد اقتضى منه ورفع همته إليه كما اقتضاه من غيره وأولى ألم تسمع قوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾[1] .

لا يمدون عينيك وكيف لا تكون منته فيه؟ ومواهبه وفواتح عنايته وخصائص ولايته ناهية لك عن التعلق بغيره وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

أَبَعْدَ نُفُوذِى فى عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَبعْدَ انْبِسَاطِى فى مَوَاهِبِ خَالِقي
وَفِى حِينَ إِشْرَافِى عَلَى مَلَكُوتِهِ أَرَى بَـاسِطاً كَـفاً إلى غِـيْرِ رازقِ

وإن كل ذى رتبة من المخلوقين لا يرضى منك أن تنسب له رتبة تضيف المنع والعطاء والولاية والعزل فيها لغيره، أفيرضى لك الحق سبحانه أن تعترف له بربوبيته وتضيف آثارها لغيره، فاحذر أن تكون من الذين قال فيهم سبحانه ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[2] وقبيح أن تكون فى دار ضيافته وتوجه وجه طمعك لغيره ولنا فى هذا المعنى شعراً:

أيحسن أنى فى داركم ونزلكم أوجه يوماً العباد رجائى
بـل إننى ألوى إليك بهمة أخلف فيها ما سواك ورائى

لا تطلب ممن هو بعيد عنك وتترك الطلب من مولى هو أقرب إليك من حبل الوريد، ألم تسمع إلى قوله سبحانه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[3] وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[4] وقال ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[5] وقال سبحانه ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[6] وقال ﴿ وإن مِن شَيْءٍ إلاَّ عِندَنَا خَزَائِنَهُ ﴾[7] كل ذلك ليجمع همم عباده

---

(١) (الحجر: ٨٧) (٢) (يوسف ١٠٦)
(٣) (البقرة: ١٨٦) (٤) (ق: ١٦)
(٥) (النساء: ٣٢) (٦) (غافر: ٦٠)

عليه كيلا يرفعوا حوائجهم إلا إليه .

وأما حلمه:

فكان من شأنه أنه لا ينتقم لنفسه ولا ينتصر لها ولقد دخلت عليه يوماً فقال لى: ما تقول فلان رجل كان قد آذى الشيخ الأذق البالغ أتى إلى أصحاب فلان بعض ما كان له الأمر فى ذلك الزمان، وكان يتردد إلى الشيخ فقالوا يا سيدى هذا الرجل الذى آذاك نسعى فى ضربه وإشهاره فى البلدتين مصر والقاهرة، فماذا تقول؟ قلت له مصلحة، قال: كالمنكر لأى شيء، قلت ذاك، قلت نتشفى منه، قال: أنا لا أتشفى من أحد، قلت: إنما أردت الاتباع، قال: ولا تحمل اتباعى على التشفى، فأطرقت خجلاً فما توجه أحد بالأذى لنا بعد ذلك، ونزلت به نازلة فما همت نفسى بالتشفى منه إلا وذكرت كلام الشيخ: أنا لا أتشفى من أحد، حـى كأنى سمعته ذلك الوقت فتخمد النفس عن التشفى بذلك واتفق بعد مدة نحو الخمسة عشر سنة أن الذى كان سعى فى إذاية الشيخ سعى فى إذايتنا واتفق له نازلة فصاننا الله من التشفى منه وسلم .

وكان الشيخ يقول لى: هذا الذى استشرتك فيه سيتفق لك معه مثل ما اتفق لى، فافعل مثل ما فعلت معه، وهكذا هو كلام الأكابر يطوى فى صحائف قلوب المريدين، حتى إذا جاء وقته أظهره الله سبحانه كأنك قد سمعته ذلك الوقت وربما أحضر الله بفكرك شيخك الذى خاطبك الله بهيئته وزيه، وربما تمثل لك الخيال المنتصل وربما حضر بوجوده الحسى عند وجود النوازل مثبتاً للمريد ومعلماً، وسمعته ﷺ يقول: ما سمعتموه منى ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة، وما لم تفهموه فوكلوه إلى الله يتول الله بيانه .

فكلام الأكابر مردود على المريدين وقت حاجتهم فيظن المريد أنه ما أخذه ولقد أخذ، ولكن للحكمة بذر ونبات ووقت البذر غير وقت النبات، وقد يبذر فيك بذر الحكمة ويبقى النبات متوقفاً على مجيء سحابة ماطرة، فإذا جاءت أظهرت ما كان فى الأرض كامناً فتبقى الودائع مطوية فى العباد حتى تجيء أوقاتها .

وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه كان يقول: لا حجاب إلا الوقت . وسمعته يوماً يقول: كان إذا أذانى إنسان يهلك للوقت، وأنا الآن لست كذلك، فرآنى ﷺ مستشرقاً لسبب ذلك فقال: اتسعت المعرفة، وسمعته يقول لحوم الأولياء مسمومة .

---

(٧) (الحجر: ٢١)

واعلم علمك الله من العلم الذى يدل عليك وجعلك من الدائمين بين يديه أن انتصار الحق لأوليائه ليس ذلك لأنهم طلبوه من الله، ولكن لما صدقوا التوكل عليه، وأرجعوا الأمر إليه انتصر الحق لهم، ألم تسمع قوله ﴿ وكان حَقاً عَلَيْنا نصْرُ المؤمنينَ ﴾[1] وقوله ﴿ ومَنْ يَتوكلْ عَلى الله فَهُو حَسْبُهُ ﴾[2] ولا تقولن هم من ينتصر لنفسه منك، بل هم من ينتصر الله له فإنه الغالب الذى لا يغلب، والقادر الذى لا يعجز والقهار الذى لا قبل لأهل السموات والأرض بذرة من بلائه ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابتها .

ومعنى قول الشيخ: اتسعت المعرفة: أن المريد فى مبدأ إرادته بهمته، وفى نهايته بوجود معرفته، فإذا كان فى مبدأ إرادته توجه بصدق الهمة إلى الله لاجئاً إليه فى الانتقام ممن أذاه، فينتصر الحق له لتوجهه بصدق الهمة فى طلب النصرة، ولضيق عطنه عن الصبر عن تأخر الانتقام له، والعارف اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته ومشيئته وتدبيره ومشيئة الحق له وتدبيره إياه، ومن غلب عليه شهود المشيئة فأى همة تبقى له وأيضاً أنه إذا تأخرت عقوبة من أذاه شهر حسن اختيار مولاه فلم يعجل له الانتصار لأنه لا يخشى عليه ما يخشى على المريد من عدم الصبر إذا أخر الانتقام له، وأيضاً أن العارف لو توجه لطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرأفة والرحمة القائمان به لتخلقه بخلق معروفه فمنعاه من الانتصار وإن كان على ذلك قادراً، وكيف ينتصر من يرى الله فعالا فيهم؟ ثم أولياء الله إذا ظلموا على طبقات: داع يدعوا على من ظلمه استشار الأذى منه الفرح واستخراج منه الاضطرار فهذا الذى لا يرد دعاؤه، ومنه قوله ﷺ { واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب }[3] .

القســـم الثانى: وهم الذين إذا ظلموا لجئوا إلى الله سبحانه فى طلب النصرة وتعجيل الحسنى لهم، غير أنهم علموا أن الله يعلم السر وأخفى فرفعوا أمرهم إلى الله سراً بسر، وهؤلاء أولى بانتصار الحق لهم لتوكلهم عليه ولإرجاعهم الأمر إليه، وقد قال سبحانه ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[4] ولقد ذكر أن امرأة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها، فجاء سارق فسرقها، فلم تدع عليه، وأرجعت الأمر إلى الله فأخذ السارق الدجاجة وذبحها ونتف ريشها فنبت جميعه بوجهه، فسعى فى إزالة ذلك

---

(١) (الروم: ٤٧) (٢) (الطلاق: ٣)

(٣) انظر الجامع الصحيح المختصر (٢/٨٦٤) رقم (٢٣١٦) من حديث ابن عباس ﷺ، والجامع الصحيح للترمذى (٤/٣٦٨) رقم (٢٠١٤) وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح من حديث أبى هريرة ﷺ، وانظر تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة (١/٤٩٧) رقم (١٣٢٠). وابن حجر فى الفتح (٣/٣٦١) رقم (١٤٢٥) .

(٤) (الطلاق: ٣)

فلم يستطع، وسأل الناس فلم يقدر أحد على إزالة ما نزل به، إلى أن أتى إلى حبر من أحبار بنى إسرائيل فقال: لا أجد لك دواء إلا أن تدعوا عليك المرأة التى سرقت دجاجتها فإن فعلت شفيت، فأرسل إليها من قال لها: أين دجاجتك التى كانت عندك؟ قالت: سرقت، قالوا: آذاك من سرقها؟ قالت: قد فعل، قالوا: وقد فجعك فى بيضها؟ قالت: هو كذلك، فلم يزالوا بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه، فتساقط الشعر من وجهه، فقالوا لذلك الحبر: من أين علمت هذا؟ قال: إنها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه وأرجعت الأمر إلى الله فى أمره فانتصر الله لها، فلما دعت عليه انتصرت لنفسها فسقط الريش من وجه السارق .

القسم الثالث: عباد لما ظلموا لم يدعوا ولم يلجئوا إلى الله فى لب الانتقام ممن ظلمهم، ولكن فوضوا الأمر إلى الله فكان هو المختار لهم .

القسم الرابـــع: وهم الطبقة العليا، وهم الذين ظُلِمُوا ورَحمُوا مَنْ ظَلَمَهُمْ، وقال الشيخ أبو الحسن: وإذا آذاك ظالم فعليك بالصبر والاحتمال، واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان: ظلم غيرك لك، وظلمك لنفسك، فإن فعلت ما ألزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفوا وتصفح وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك، فتدعوا له فتجاب فيه دعوتك، وما أحسن حالك إذا رحم بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء . وقد قال سبحانه ﴿ فتوَكَّل عَلى الله إنَّ الله يُحبُّ المُتوكلينَ ﴾ (١)

ومن هذا القبيل الذى ذكره الشيخ أبو الحسن ما اتفق لإبراهيم بن أدهم ﷺ أنه قال له الجنيد: أين العمران؟ فأشار إلى المقابر فظن أنه يهزأ به، فشجه فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصت الله، فقيل للجنيد: إن هذا إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان، فأحنى على رجليه يقبلهما، ويعتذر إليه، فقال له إبراهيم بن أدهم: والله ما رفعت يدك عن ضربى إلا وأنا أسأل الله لك المغفرة لأنى علمت أن الله تعالى يثيبنى على ذلك ويؤاخذك بما فعلت، فاستحيت أن يكون حظى منك الخير وحظك منى الشر .

فقال الشيخ أبو العباس: ليس هذا عين الكمال وما فعله سعد أحد العشرة هو عين الكمال، فقد ادعت عليه امرأة أنه احتاز شيئاً من بستانها، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعمها وأمتها فى مكانها، فعميت وجاءت تمشى يوماً فى بستانها فوقعت فى بئر فماتت

---

(١) (آل عمران: ١٥٩) .

فلو كان ما فعله إبراهيم عين الكمال لكان الصحابى أولى به، ولكن كان سعد أميناً من أمناء الله نفسه ونفس غيره عنده سواء، فما دعا عليها لأنها آذته، ولكن دعا عليها لأنها آذت صاحب رسول الله ﷺ، وإبراهيم لم يصل إلى هذه المرتبة فترك الدعاء، على الجنيد لئلا يكون ذلك انتصار لنفسه، وسعد ﷺ قد خلصه الله من نفسه وأبرزه للخلق يخلص به من يشاء من عباده، والصوفى لا يستقضى الحق لنفسه بل يستقضى الحق لربه

فائدة: اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم فى بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا، وتتكمل فيهم المزايا وكى لايساكنوا الخلق باعتماد ويميلون إليهم باستناد، من آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه، ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه، ولذلك قال ﷺ { جبلت القلوب عل حب من أحسن إليها }[1] وقال ﷺ { من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له }[2] كل ذلك ليتخلص القلب من إحسان الخلق ويتعلق بالملك الحق .

قال الشيخ أبو الحسن: اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم، فإن خيرهم يصيبك فى قلبك، وشرهم يصيبك فى بدنك، وإن تصاب فى بدنك خير لك من تصاب في قلبك، ولعدو تصل به إلى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله، وعد إقبالهم عليك ليلاً وإعراضهم عنك نهاراً ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا، وتسليط الحق على أولياء الله فى مبدأ طرقهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن: اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد حجب عنك فنسألك عوضه فقد أتصحبه أنوار محبتك .

ومما يدلك على أن هذه سنة الله فى أحبابه وأصفيائه قول الله تعالى ﴿ وَزُلْزِلُوا حتّى

---

[1] انظر تهذيب الكمال (٢٦٥/٦) رقم (١٢٥٢) عن الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود قال: { جبلت القلوب على حب من احسن إليها، وبعض من أساء إليها }، ومسند الشهاب (٣٥٠/١)، وتاريخ بغداد (٢٧٦/٤) رقم (٢٠٢٥) عن محمد الجريري قال: سمعت أبى سعيد الخزاز يقول فى معنى قول النبى ﷺ { جبلت القلوب على حب من أحسن إليها } واعجباً من لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه .

[2] أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص٨٥ رقم (٢١٦) من حديث ابن عمر، والسنن الكبرى (٤٣/٢) رقم (٢٣٤٨) والمجتبى من السنن (٨٢/٥) رقم (٢٥٦٧) والحاكم فى المستدرك (٧٣/٢) رقم (٢٣٦٩) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه للخلاف الذى بين أصحاب الأعمش فيه، والمعجم الكبير (٢١٨/٣) رقم (٣١٨٩) والمنتخب من مسند عبد بن حميد (٢٥٦) رقم (٨٠٦) والنهاية فى غريب الأثر (٣٥٦/٢) وتاريخ جرجان (١٨٠/١) رقم (٢٣٥) وتذكرة الحفاظ (١٣١٢/٤) رقم (١٠٨٨) وأبو داود (١٢٨/٢) رقم (١٦٧٢) والبيهقى فى الكبرى (١٩٩/٤) رقم (٧٦٧٩) وابن حبان (١٩٩/٨) رقم (٣٤٠٨) .

يقول الرَّسُولُ والَّذينَ آمنوا مَعَهُ متى نصْرُ الله ألا إنَّ نصْرَ الله قَريبٌ ﴾[1] وقوله ﷻ ﴿ حَتى إذا استيأسَ الرُّسُل وَظنوا أنَهُم قَد كُذِّبوا جَاءَهُم نصْرُنا ﴾[2] وقوله سبحانه ﴿ ونُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلى الَّذينَ استُضعفُوا فى الأرْض ونَجْعلهُم أئمَّةً ونَجْعَلَهُم الوارثينَ ونُمكِّنُ لَهُم فى الأرْض ﴾[3] وقوله ﴿ أذِنَ للَّذينَ يقاتِلُون بأنهُم ظلمُوا وأنَّ الله عَلى نصْرهم لقَدير الَّذينَ أخْرجُوا مِن ديارهِم بغير حَقّ إلا أنْ يقولُوا رَبُّنا اللهُ ﴾[4] .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فمن حالهم فى بداياتهم إبراهيم بن أدهم، طأطأ رأسه حين ضربه الجنيد، فقال: اضرب رأساً طالما عصت الله، وقوله: ما فرحت فى عمرى إلا ثلاث مرات، الأولى: كنت فى المسجد فأصابتنى البطن فكنت أقوم وأقعد فجاء صاحب المسجد وأمرنى أن أخرج فلم استطع لقوة الضعف، فأخذ برجلى يجرنى إلى أن أخرجنى، والمرة الثانية: نزعت يوماً ما كان على من ملبس فلم أره كثيرة القمل، والمرة الثالثة: ركبت فى سفينة فكان هناك مضحاك فكان يقول: كنه نأخذ العلج فى بلاد العدو وهكذا ويمد يده إلى لحيتى فيهزها فأعجبنى، إذا لم ير فى السفينة من هو أحقر منى، وهذا شأنهم فى بداياتهم علماً منهم بوجود البقايا فيهم فخافوا أن ينتصروا لنفوسهم فيسقطون من عين الله، فرجعوا إلى وجود الحلم كافين أيديهم عن الانتصار لعلمهم بآفات الانتصار للنفس، ونزعة الحق سبحانه وعاداته فى أصفيائه كثيرة الأعداء والنصرة منه لهم عليهم، قال الشيخ أبو الحسن: آذانى إنسان مرة فضقت ذرعاً لذلك فنمت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم، ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الإقامة فى مواطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت، فأزعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من أذى المؤذى ومعارضة الحاسدين .

وقال بعض العارفين: الصحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب إذا ساكنت غيره، ولولا ذلك لرقد القلب فى ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم، وصدق ﷺ، وهذا الصنع من حسن نظر الله لأوليائه وأحبابه وإظهاراً لآثار ولايته فيهم لقوله تعالى ﴿ الله وَلِى الَّذين آمنُوا ﴾[5] فإذا تمت أنوارهم وتطهرت من البقايا أسرارهم حكمهم فى العباد وأدلهم عليه، فحينئذ يكون العبد المجتبى سيفاً من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه ومن هذا الباب دعاء سعد على المرأة التى ادعت عليه كذباً: اللهم أعمها وأمتها فى

---

(١) (البقرة: ٢١٤) (٢) (يوسف: ١١٠)
(٣) (القصص: ٦٢٥) (٤) (الحج: ٣٩، ٤٠)
(٥) (البقرة: ٢)

مكانها، فاستجيب له، ولما دخل على عثمان ﷺ الدار لطم انسان وجه زوجته، فقال له عثمان: قطع الله يديك ورجليك وأخلدك فى النار، فرأوه ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يقول دعوة عثمان استجيبت فى اثنتان وبقيت الثالثة، ولذلك قد تلتبس أحوال الرجال على عموم العباد فلا تفضل ولياً ظلم فصفح على ولى ظلم فانتصر، أو دعا فقد يكون صفح من صفح لعلمه بالبقايا من نفسه، ودعاء الداعى لعلمه بتطهيره من البقايا فدعاء انتصار لربه .

وأما صبره:

فكان ﷺ من الثابتين فى مركز الصبر وكان به أمراض عديدة لو وضع بعضها على الجبال لذابت كان به جرد الكلا، وكان به الحصا، وكان به اثنا عشر ناسوراً وهو يجلس للناس ولا يقطع الجلوس لهم ولأبنائه، فى حين جلوسه ولا يعلم الجالس عنده أن به شيئاً من الأمراض، ولم تكن الأمراض أورثته صفرة الوجه ولا تغيير فى البدن حتى كان يقول: لا تنظروا إلى حمرة وجهى، فحمرة وجهى من قلبى .

ودخل عليه انسان فوجد لما به فقال ذلك الرجل: عافاك الله يا سيدى، فسكت الشيخ ولم يجاوبه، ثم سكت الرجل ساعة وقال: عافاك الله يا سيدى، فقال الشيخ: وأنا سألت الله العافية ، قد سألته العافية والذى أنا فيه هو العافية، رسول الله ﷺ قد سأل الله العافية وقد قال { ما زالت أكلة خيبر تعاودنى للآن أوان انقطاع أبهرى }[1] وأبو بكر الصديق ﷺ قد سأل الله العافية، وبعد ذلك مات مسموماً، وعمر ﷺ قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعوناً، عثمان ﷺ قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحاً، على ﷺ قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مقتولاً، فإذا سألت الله تعالى العافية من حيث يعلمها لك إنها عافية .

وكان يقول ﷺ: الصبر مشتق من الأصبار وهو الغرض الذى يرمى عليه بالسهام، فالصابر من نصب نفسه غرضاً لسهام القضاء، وكان هجيراه يسأل الله اللطف يسأله اللطف قل أن يفتر عن ذلك . ودخلت عليه يوماً فوجدت آلما به فقلت: يا سيدى أظنك ضعيفاً، فقال: الضعيف من لا إيمان له ولا تقوى .

---

[1] أخرجه ابن حجر فى الفتح (٣١/٨) من حديث أم مبشر قالت: قلت يا رسول الله ما تتهم بنفسك فإنى لا أتهم بابى إلا الطعام الذى أكل بخيبر، وكان أبنها بشر بن البراء بن معرور مات. فقال: وأنا لا أتهم غيرها، وهذا أوان انقطاع أبهرى، وروى ابن سعد عن شيخه الواقدى بأسانيد متعددة فى قصة الشاة التى سمت له بخيبر، فقال فى أخر ذلك: وعاش بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى قبض فيه، وأبهرى: عِرْقٌ فى الظهر .

واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام:

١ - صبر على الواجبات

٢ - صبر عن المحرمات

٣ - وصبر فى البليات .

وصبر الأكابر على كتم الأسرار، وفقد الركون إلى الآثار وعدم الوقوف مع الأنوار صبرهم على حمل الأذى والثبوت تحت مجارى القضاء، صبرهم على حمل أثقال العباد والصبر مع الله فيما أراد صبرهم على القيام بأحكام العبودية والثبوت مجارى أحكام الربوبية، وصبرهم على مكارم الأخلاق والقيام مع الله بشرط الوفاق، صبرهم على جمع الهم عليه والرجوع فى كل أمورهم إليه، وصبرهم على الجلوس للخلق والدلالة على الملك الحق .

وكان الشيخ أبو العباس ﷺ يقول: والله ما جلست للناس حتى هددت بالسلب، وقيل لى لئن لم تجلس لنسلبنك ما وهبناك .

وأما مداد طريقته:

فكان ﷺ شديد التحرز من حقوق العبادة مسرعاً للوفاء لها حتى أنه يوفى شىء قبل استحقاقه، ويحمل أصحابه على التخلص من حقوق العباد إذا كان عليه دين أحسن القضاء وإذا كان له حق أحسن الاقتضاء، منقطعاً عن أبناء الدنيا والتردد إليهم، لا يرفع قدمه لأحد منهم ولا يبعث إليهم ولا يكاتبهم إذا طلب منه أن يكتب إليهم، قال للطالب: أنا أطلب ذلك لك من الله، فإن رضى الطالب ربح مسعاه ولطف به مولاه مبتلى فى الجلوس للخلق ولا تأتيه ليلاً أو نهاراً إلا وجدته .

ولقد أتيته يوماً فاستأذنت عليه فقيل لى اصبر قليلاً فتشوشت من ذلك، وقلت: قد يكون بلغ الشيخ عنى ما أوجب تغيره فبعد ساعة أذن لى، فدخلت فقال الشيخ ﷺ: اعذرنى كانت ابنة الشيخ أبى الحسن عندى فكرهت أن أقطع كلامها، والله ما أعد نفسى خادماً من خدامها .

وكان ينهى أن يعوق المريد إذا جاءه ويقول: المريد إذا جاءه يأتى بشعلة همته فإذا قيل له قف ساعة طفأت ما جاء به، وكان لا يدل المريد على المتاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك .

وكان يقول عن شيخه أبى الحسن: ليس الرجل من دلك على تعبك وإنما الرجل من

دلك على راحتك، ومبنى طريقته على الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر، ولكل مريد معه سبيل يحمل كل واحد على السبيل الذى يصلح له، وكان لا يحب المريد الذى لا سبب له، وكان يدل المريد على الانجماع فى حيه .

ولا يلزم المريد أن لا يرى غيره وكان يقول عن شيخه: اصحبونى ولا أمنعكم أن تصحبوا غيرى، فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فأردوه، وكان إذا دخل المريد فى أوراد بنفسه وهواه أخرجه عنها، وكان إذا مدح بقصيدة أو أبيات يجيز المادح بإقباله، وربما واجهه بنواله .

وكان مكرماً للفقهاء ولأهل العلم ولطالبيه إذا جاءوه، وكان يقول لأصحابه: إذا جاء رئيس أو ذو وجاهة عرفونى به، وكان أزهد الناس فى ولاة الأمور فإذا جاءوه أكرمهم وربما مشى إليهم خطوات . وكان شديد التعظيم لشيخه أبى الحسن حتى إنك كنت تشهد منه إنه لا إثبات منه لنفسه معه وكان إذا ذكر الشيخ ﷺ ينشد شعراً:

لـى سادة مـن عزهم　　　أقدامهم فـوق الجباه
إن لم أكن منهم فلى　　　فى ذكرهم عز وجاه

وكان من شأنه أنه ما خبئ له لا يأكله وكان يكره أن يعلم بطعام أو هدية قبل إتيانها، وكان يدعوا للحسن بحضرته، بل إذا غاب دعا له بظهر الغيب، وكان إذا أهدى إليه شيء يسير تلقاه ببشاشة وقبول، وإذا أهدى له شيء كثير تلقاه بالعزة، وكان لا يثنى على مريد ولا يرفع له علماً بين إخوانه خشية أن يحسد، وكانت صلاته موجزة فى تمام، وكان يقول صلاة الأبدال خفيفة، وكان إذا تلا تقول الكون كله مستمع له .

وصلى قيام رمضان سنة فقال: قرأت القرآن فى هذه السنة كأنما أقرؤه على رسول الله ﷺ، ثم جاء رمضان ثان فقال: قرأته فى هذه السنة كأنما أقرؤه على جبريل عليه السلام، ثم جاءت السنة الثالثة فقال: قرأته هذه السنة كأنما أقرؤه على الله .

وكان إذا كانت ليلة القدر أخبر بها أصحابه ودعا فيها بمقدار ما يدعوا كل ليلة ثلاث مرات، وكان يقول: أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة قدر، أنشدنا بعض إخواننا لبعض أهل الطريق شعراً:

لولا شهود جمالكم فـى ذاتى　　　ما كنت أحـى ساعة بحياتى
مـا ليلة القدر المعظم قـدرها　　　ألا إذا عمرت بـه أوقاتى

إن المحب إذا تمكن في الهوى والحب لم يحتج إلى ميقات

وجاءه الفقيه مكين الدين الأسمر فقال له: يا سيدى رأيت ليلة القدر ولكن ليست كما أراها كل سنة، رأيتها هذه السنة ولا نور لها، فقال الشيخ ﷺ نورك طمس نورها يا مكين الدين .

ولقد كنت مع الشيخ مكين الدين هذا بالجامع الغربى فى الأسكندرية فى العشر الأخيرة من رمضان ليلة ست وعشرين فقال الشيخ مكين الدين: أنا الساعة أرى ملائكة صاعدة وهابطة فى تهيئة وتعبئة أرأيت يأهب أهلَ العرس له قبلة بليلة كذلك رأيتهم، فلما كانت الليلة الثانية وهى ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة جمعة قال: أنا الساعة أرى ملائكة معهم أطباق من نور الملك توازى مئذنة الجامع وفوق ذلك، وهذه هى ليلة القدر، فلما كانت الليلة الثالثة وهى ليلة ثمانية وعشرون قال: رأيت هذه الليلة كالمتغيظة وهى تقول هب أن لليلة القدر حقاً يرعى، أما لى حق يرعى، وكان الشيخ مكين الدين من أرباب البصائر، ومن النافذين إلى الله ﷺ، وكان الشيخ أبو الحسن يقول عنه: بينكم رجل يقال له ابن منصور أسمر اللون أبيض القلب والله إنه ليكاشفنى وأنا مع أهلى وعلى فراشى، ومرة أخرى قال فيه ما سلكت غيباً من غيوب الله إلا وعمامته منه تحت قدمى .

ولقد أخبرنى الشيخ مكين الدين هذا قال: دخلت مسجد النبى بالأسكندرية بالديماس فوجدت النبى المدفون هناك قائماً يصلى وعليه عباءة مخططة فقال لى: تقدم فصل، قلت له: تقدم أنت أفضل فإنكم من أمة نبى لا ينبغى التقدم عليه، قال: فقلت له بحق هذا النبى ألا تقدمت فصليت، فقلت: بحق هذا النبى، إلا وقد وضع فمه على فمى إجلالاً للفظة النبى وقال: تقدم إننا نصلى كى لا تبرز فى الهواء، قال: فتقدمت وصليت .

وأخبرنى الشيخ مكين الدين أيضاً قال: بت بالقرافة ليلة جمعة فلما قام الزوار قمت معهم وهم يتلون إلى أن انتهوا فى التلاوة إلى سورة يوسف ومنها إلى قوله تعالى ﴿ وجاء أخوة يوسف ﴾ وانتهوا فى الزيارة إلى قبور أخوة يوسف، فرأيت القبر قد انشق وطلع منه إنسان طويل خفيف الشعر واللحية صغير الرأس آدم اللون وهو يقول من أخبركم بقصتنا؟ هكذا كانت قصتنا .

ولقد كنت يوماً مضجعاً وأنا ساكن مطمئن فأجد فى قلبى انزعاجا على بغتة وباعثاً يبعثنى على الاجتماع بالشيخ مكين الدين ﷺ فقمت مسرعاً فدققت عليه الباب فخرج، فلما

وقع بصره على قال: أنت ما تجيء حتى يسير الناس خلفك فتبسم، فقلت: يا سيدى قد جئت فدخل وأخرج لى وعاء وقال: هذا الوعاء اذهب به إلى الشيخ أبى العباس وقل له قد كتبت فيه آيات من القرآن وقد محوتها بماء زمزم وشىء من عسل، فذهبت بذلك إلى الشيخ فقال: ما هذا؟ قلت: أرسله إليكم الشيخ المكين الأسمر، فأدلى فيه اصبعاً واحداً وقال: هذا بحسب البركة وفرغ الوعاء وملأه عسل وقال: اذهب به إليه، فذهبت بذلك إليه، ثم عدت إليه بعد ذلك فقال لى: رأيت البارحة ملائكة أتونى بأوعية من زجاج مملوءة شراباً وهو يقولون: خذ هذا عوض ما أهديت إلى الشيخ أبى العباس.

كان الشيخ أبو العباس كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة، وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله، حتى إنه ربما دخل عليه مطيع فلا يتبهل به، وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع ربما أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذله ومخالفته، وكان شديد الكراهة للوسواس فى الطهارة والصلاة ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه، سئل يوماً وأنا حاضر، فقيل له: يا سيدى فلان صاحب علم وصلاح كثير الوسوسة، فقال: وأين العلم يا فلان؟ العلم هو الذى يتطبع فى القلب كالبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود.

* * * * * * * *

الباب الخامس

في آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبين معناها وإظهار فحواها

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[1] .

قال الشيخ ﷺ: علم الله سبحانه عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده، فقال ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[1] أى: الحمد له الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره، فعلى هذا يكون الألف واللام عهديتين .

وسمعته يقول فى قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[2] إياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة، إياك نعبد اسلام، إياك نستعين إحسان، إياك نعبد عبادة، وإياك نستعين عبوديه، إياك نعبد فرق، إياك نستعين جمع .

واعلم رحمك الله بإقباله عليك بوده وجعلك من الراعين لعهده أن الله ﷻ طلب من العباد أن يعبدوه، واقتضى منهم أن يسجلوا بذلك على أنفسهم نطقاً كما قاموا به عملاً، واقتضى منهم أن يفردوه واقتضى منهم أن تنتظم للعبادة جميع جوارحهم الظاهرة وحقائق وجودهم الباطنة، واقتضى منهم الرجعى إليه من دعوى القيومية فى العبادة بصدق التبرى من الحول والقوة .

فلما قام العبد لله بالعبادة عملاً اقتضى الحق أن يعترف بها نطقاً ليكون ذلك معاهدة بينه وبين الحق سبحانه، حتى إذا تفلتت نفسه عن القيام بالعبادة له وثقلت عليه ملازم التكليف قامت الحجة على العبد بما أعطى الله سبحانه من الاعتراف بالعبادة له، وأنه لا يعبد غيره بقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ واقتضى من العباد أن تستوعب العبادة جميع جوارحهم الظاهرة وعوالمهم الباطنة لأن النون إنما تكون للواحد المعظم نفسه أو هو غيره، وليس هذا موضع هذين المعنيين إذا العبد لا يبتدأ يدى الله بوصف عظمة، فلم يبق إلا أن يكون للواحد ومعه غيره، وذلك ما أشرنا إليه من الجوارح الظاهرة، والحقائق الباطنة .

وأما إنه اقتضى منهم الرجعى إليه من دعوى القيومية فى العبادة، لأنه لما قال ﴿ إياك نعبد ﴾ فأضاف العبادة إليهم واقتضى منهم أن يعترفوا بذلك قياماً بدائرة الفرق التى

---

(١) (الفاتحة: ٢) (٢) (الفاتحة: ٥)

عليها يترتب التكليف، أردف ذلك بقوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ كي لا يدعى العباد معه أنهم قاموا بالعبادة بأنفسهم فأراد منهم أن يوفوا الحقيقة حقها والشريعة حقها فذلك جمع بين الأمرين: القيام بالعبادة لربوبيته، والتبرى من الحول والقوة مع إلهيته .

ثم قال سبحانه ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال الشيخ: بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره وبسطه الشيخ فقال: عموم المؤمنين يقولون ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين، والصالحون يقولون ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ معناه: نسألك الثبات فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل فإنه حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء، والشهيد يقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات الصديقية، والصديق يقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل لهم درجات الصديقية وفاتهم درجات القطب، والقطب يقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى: بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل له علم القطبانية وفاته علم إذا شاء الله أن يطلعه عليه أطلعه .

وقال فى قوله ﷻ ﴿ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بالغيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾(١) كل موضع ذكر فيه المصلين فى معرض المدح، فإنما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع إليها، قال الله ﷻ ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ﴾ ﴿ وأقام الصلاة ﴾ ﴿ أقم الصلاة ﴾ ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ ﴿ والمقيمى الصلاة ﴾ .

ولما ذكر المصلين بالغفلة قال ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾(٢) ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة، والإقامة هو أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه، خلق الله تعالى من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة، وثواب ذلك لصاحب الصلاة .

وقال فى قوله ﷻ ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾(٣) قال: بقرة كل إنسان نفسه، والله يأمرك بذبحها .

(١) (البقرة: ٣) (٢) (الماعون: ٤ ـ ٥)
(٣) (البقرة: ٦٧)

قوله تعالى ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ [١] قال: قيل إنما وقع التفصيل فى العبادة أدباً من الله لنا فأضاف المحاسن إليه وأضاف المساوئ إلينا، وإن كان فعل العبد كله خلق الله حسنة وسيئة كما قال ﴿ **فأراد ربك أن يبلغك أشدهما** ﴾ فأضاف ذلك إلى الله، وقال فى السفينة ﴿ **فأردت أن أعيبها** ﴾ ولم يقل فأراد ربك أن يعيبها أدباً فى التعبير، وكما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾[٢] فأضاف المرض لنفسه والشفاء لله عز وجل، ومنهم من قال: إن ذلك داخل فى مضمون القول وإن هذا التفصيل حكاه الله عنهم، والتقدير ﴿ **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾ فى قولهم ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ ورد عليهم بقوله ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ .

وقال رضي الله عنه فى قوله تعالى ﴿ **يُولِجُ اللَيْلَ فى النَّهار ويُولِجُ النَّهارَ فى اللَيْل** ﴾[٣] يولج المعصية فى الطاعة، والطاعة فى المعصية، يطيع العبد الطاعة فيعجب بها، ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله فيه ويعتذر منه ويستصغر نفسه، ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فأيهما الطاعة وأيهما المعصية .

وقال الفتى من كسر الصنم، قال: الله تعالى، قالوا ﴿ **سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾[٤] .

وقال رضي الله عنه: فى قوله تعالى ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ [٥] الولى لا يزال مضطرا ومعنى كلام الشيخ هذا: أن العامة اضطرارهم بمثيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحسن على مستهدهم، فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن مضطر إلى الله دائم وأن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن وكل مضطر إلى ممد يمده، ومدد يمده، وكما أن الحق سبحانه هو الغنى أبداً فالعبد مضطر إليه أبداً، ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولو دخل الجنة فهو يحتاج إلى الله فيها غير أنه غمس اضطراره فى المنة التى أفرغت عليها ملابسها، وهذا هو حكم الحقائق أن لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فالعلم صفته الكشف،

---

(١) (النساء: ٧٩)
(٢) (الشعراء: ٨٠)
(٣) (فاطر: ١٣)
(٤) (الأنبياء: ٦٠)
(٥) (النمل: ٦٢)

أى علم كان وفى أى وقت كان، والإرادة صفتها التخصيص أى إرادة كانت وفى أى وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم يتوقت اضطراره، وقد عتب الله قوما اضطروا إليه عند وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم، قال الله ﷻ ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾[1].

وقال ﷻ ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم إلى ما تعطيه حقائق وجوداتهم، سلط الحق عليهم الأسباب المثيرة الاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة ألهيته، ومن الدليل على فخامة رتبة الاضطرار أن الحق سبحانه أوقف الإجابة عليها فقال ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ وإذا أراد الله تعالى لعبد شيئاً وهبه الاضطرار إليه فيه فيطلب بالاضطرار فيعطى، وإذا أراد الله أن يمنع عبداً أمراً منعه الاضطرار إليه فيه ثم منعه إياه، وقال حجة الله على العبد لو اضطررت إلينا لأعطيناك فلا يخاف عليك أن تضطر وتطلب فلا تعطى، بل يخاف عليك أن تحرم الإضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء .

وقال فى قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4] ثم قال سبحانه بعد ذلك ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[5] فذكر بعض الناس فى هذا تأويلا لا يرضى ولا ينبغى أن يلتفت إليه وهو أنه كان حبها لله وحده فلما ولدت انقسم حبها، وليس كما قال هذا القائل، لأنها صديقة كما أخبر الله عنها، وأمها صديقة، والصديق والصديقة لا ينتقلان من حالة إلا إلى أكمل منها، ولكنها كانت فى بدايتها متعرفا إليها بخرق العادة وسقوط الأسباب، فلما تكمل يقينها أرجعت إلى الأسباب، فالحالة الثانية أتم من الحالة الأولى .

وقال ﷺ: الفتوة الإيمان والهدى، قال ﷻ ﴿ إنهم فِتْيَةٌ آمنوا بربهم وزدناهم

---

(١) الإسراء: ٦٧)
(٢) (يونس: ١٢)
(٣) (الأنعام: ٦٣)
(٤) (آل عمران: ٣٧)
(٥) (مريم: ٢٥)

هُدًى ﴾[1] وقال ﷺ في قول الله ﷻ حاكيا عن الشيطان ﴿ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[2]، ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم، لأن فوق للتوحيد وتحت للإسلام، والشيطان لا يمكنه أن يأتي المؤمن من توحيده ولا من اسلامه .

وقال ﷺ: في قول الله ﷻ ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾[3] قال سمى خليلا لأنه خالل سره محبة الله تعالى، وقال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليــلا
وإذا ما نطقت كنت كلامــي وإذا ما صمت كنت الغليلا

وقال ﷺ في قوله ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾[4] قال: وفى بمقتضى قوله حسبى الله

وقـال فـى قـولـه تعالى ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5] قال: من طاعاتهم وأعمالهم التى قاموا بها لله فى ليلهم أن يشهدوها من أنفسهم .

ودلـيل ما قاله الشيخ أن الله سبحانه وصفهم قبل ذلك بقوله ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَـا يَهْجَعُـونَ ﴾ ثـم قـال ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فلم يتقدم منهم فى ليلهم ذنوب يكـون استغفارهم منها وقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ كان إذا سلم من صلاته استغفر الله ثلاثا[6] .

وقال الواسطى العبادات إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الإعواض عليها.

وقال ﷺ فى قول الله ﷻ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[7] أى: من طاعتهم وأعمالهم، ومثل ذلك ورحمة ربك خير مما يجمعون .

قـال فـى قولـه سـبحانه ﴿ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾[8] ولم يقل بنبيه ولا برسوله، وهو نبـيه ورسـوله، وإنما كان كذلك لأنه أراد أن يفتح باب السريان للأتباع، فأعلمنا أن الإسراء مـن بساط العبودية. والنبى ﷺ كان له كمال العبودية فكان له كمال الإسراء، أسرى بروحه

---

(١) (الكهف: ١٣)
(٢) (الأعراف: ١٧)
(٣) (النساء: ١٢٥)
(٤) (النجم: ٣٧)
(٥) (الذاريات: ١٨)
(٦) انظر تهذيب الكمال (٥١٧/٣٢) رقم (٧١٨٠) وابن حجر فى الفتح (٧٣٤/٨) بقوله: وقال ابن القيم فى الهدى كأنه أخذه من قوله تعالى ﴿واستغفروه﴾ لأنه كان يجعل الاستغفار فى خواتم الأمور فيقول إذا سلم من صلاته: استغفر الله ثلاثا، وإذا خرج إلى الخلاء قال (غفرانك)
(٧) (يونس: ٥٨)
(٨) (الإسراء: ١)

وجسمه وظاهره وباطنه، والأولياء لهم قسط فى العبودية، فلهم قسط من الإسراء يسرى بأرواحهم، لا بأشباحهم .

وسمعته يقول فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (١) إن المتقين فى جنات ونهر فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى جنات العلوم والأنهار المعارف وفى الآخرة فى الجنة التى وعدوا بها فى مقعد صدق فى هذه الدار وفى تلك الدار عند مليك مقتدر، فى هذه الدار وتلك الدار، ولتبسيط كلام الشيخ: هو أن نعيم الجنة الكائن فيها تكون رقائقه معجلة للمتقين فى هذه الدار فما كان لهم فى الجنة حسا يكون لهم فى هذه الدار معنى .

ومثل هذه الآية قوله ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾(٢) أى: فى هذه الدار وفى تلك الدار وفى الدنيا فى نعيم الشهود، وفى الآخرة فى نعيم الرؤية .

وكذلك قوله ﷻ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾(٢) أى: فى هذه الدار، وفى تلك الدار فى هذه الدار فى جحيم القطيعة، وفى تلك الدار فى جحيم القوبة .

وقوله ﷻ ﴿ فى مقعد صدق ﴾ أى: فى هذه الدار وفى تلك الدار، فى هذه الدار مقعد صدق العبودية، وفى تلك الدار فى مقعد صدق الخصوصية .

وقوله ﷻ ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ فى هذه الدار وفى تلك الدار، فى هذه الدار لهم عندية الإمداد، وفى تلك الدار لهم عنديه الإشهاد .

وقال فى قوله تعالى ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ الحق الذى خلق به كل شىء كلمة كن، قال الله سبحانه ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾(٣).

وقال فى قوله سبحانه ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ إنما قرن شكره بشكرهما لأنهما أصل فى وجودك .

وقال فى قوله ﷻ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾(٤) إلى قوله ﴿ سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ يقال للولى وما تلك بيمينك أيها الولى قال: هى دنياى أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمى، وغنمه أعضاؤه، ولى فيها مآرب أخرى، فيقال له: ألقيها فناء عنها فألقاها فيكشف له عن

---

(١) (القمر: ٥٤، ٥٥) (٢) (الانفطار: ١٣، ١٤)
(٣) (الأنعام: ٧٣) (٤) (طه: ١٧-١٨)

حقيقتها، فإذا هى حية تسعى، ثم يقال له خذها ولا تخف، ولا يضره أخذها حين أخذها لأنه أخذها بإذن كما ألقاها بإذن فأخذها من الوجه الذى به ألقاها فأطاع الله فى أخذها كما أطاع الله فى إلقائها .

وقال فى قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ۞ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾[1] إنما قال الرحمن ولم يقل القهار ولا العزيز، لأن تشق السماء بالغمام وتنزل الملائكة مظهران من مظهر القهر والسطوة، فلو قال القهار أو العزيز لم يطق العباد ذلك وتفطرت قلوبهم فرفق بهم، أن قال ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ وهكذا قوله ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾[2] ولم يقل القهار ولا العزيز، لأن الحشر هول المطلع شديد فلاطفهم برحمانيته فى ظفور سلطان قهره .

وقال: وقد سئل عن قوله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3] فقال القائل من أين للعبد أن يتقى الله حق تقاته؟ ومن أين له أن يموت إلا وهو مسلم؟ فقال الشيخ ﷺ: أقول إن هذه الآية منسوخة بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[4] فكانوا قد خوطبوا أولاً بتقوى الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر، ثم خفف عنهم بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ قال: ويمكن الجمع بين الآيتين ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ أى: فى جانب الأعمال .

وقوله تعالى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ أى: فى جانب التوحيد، وقوله ﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أى: لا تتعاطوا من الأعمال إلا أعمالاً إذا متم عليها متم مسلمون .

وقال ﷺ: صليت خلف الشيخ صلاة الصبح فقرأ ﴿ حم عسق ﴾ فلما انتهى إلى قوله ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا ﴾[5] فخطر لى أنها الحسنات، وقوله تعالى ﴿ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾[5] فخطر لى أنها العلوم، وقوله تعالى ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾[5] علوماً وحسنات

وقوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ لا علم ولا حسنة. فلم سلم الشيخ من الصلاة استدعانى وقال: لقد وجدت فهمك فى الصلاة: الإناث: الحسنات، الذكور: العلوم، ذكراناً وإناثاً: علوماً وحسنات، والعقيم: لا علم ولا حسنة، فتعجبت من اطلاع

(١) (الفرقان: ٢٥ ـ ٢٦)
(٢) (مريم: ٨٥)
(٣) (آل عمران: ١٠٢)
(٤) (التغابن: ١٦)
(٥) (الشورى: ٤٩ ـ ٥٠)

الشيخ على ذلك فقال: أتعجب من اطلاعى على فهمك فى الصلاة قد فهم فلان كذا وفهم فلان كذا حتى عد أفهام الجماعة الذين خلفه .

وقال فى قوله تعالى ﴿ إن الشيطان لكم عدو ﴾[١] ففهم قوم من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب، وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لكم عدو، أى: وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه .

قيل لبعض كيف صنعك مع الشيطان؟ فقال: وما الشيطان، نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله فكفانا من دونه .

وقال ﷺ: قرأت مرة ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[٢] فكرت فى معنى هذه الآية فكشف لى عن اللوح المحفوظ فإذا مكتوب فيه لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم: روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين: نفساً وهوى .

وقال فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[٣] همت به: إرادة، وهم بها: هم ميل لا هم إرادة .

وقال فى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾[٤] إلى قوله ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ فقال عن شيخه أبى الحسن: ذكر التوبة ممن لم يذنب لئلا يستوحش من أذنب لأنه ذكر النبى والمهاجرين والأنصار، ولم يذنبوا، ثم قال ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ فذكر من لم يذنب ليؤنس من قد أذنب، فلو قال أولاً: لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم .

وقال ﷺ التقوى فى كتاب الله ﷻ أقسام: تقوى النار، قال الله تعالى ﴿ واتقوا النار ﴾[٥] وتقوى اليوم، قال تعالى ﴿ واتقوا يوماً ﴾[٦] وتقوى الربوبية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾[١] وتقوى الألوهية ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾[٢] وتقوى إليه، ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

---

(١) (فاطر: ٦) (٢) (التين: ٤ ـ ٥)
(٣) (يوسف: ٢٤) (٤) (التوبة: ١١٧)
(٥) (آل عمران: ١٣١) (٦) (البقرة: ٤٨ ـ ١٢٣ ـ ٢٨١)
(١) (النساء: ١ ـ الحج: ١ ـ لقمان: ٣٣) (٢) (الحجر: ٦٩)
(٣) (البقرة: ١٩٧) (٤) (المائدة: ٤٢)
(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٤ / ٢٩٢) ن وأبو نعيم فى دلائل النبوية (١ / ٦٩)، والسيوطى فى الدرر المنثور (٦ / ٣٦٨) .

الألْبَابِ ﴾[٣] .

وقال ﷺ في قوله تعالى ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[٤] نزلت في اليهود، ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثراً للسماع لهواه آكلاً ما حرمه مولاه فهى نزعة يهودية لأن القوال يذكر العشق وما هو بعاشق، والمحبة وما هو بمحب، والوجد ومما هو بمتواجد فالقول يقول الكذب والمستمع سماع له، ومن أكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى إلى السماع فهو يصدق عليه قول الله ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾

وقال ﷺ: عبر بعض الصحابة على بعض اليهود فسمعوهم يقرءون التوراة فتخشعوا فلما دخلوا علي رسول الله ﷺ نزل عليه جبريل فقال[٥] [اقرأ، قال ﷺ: وما أقرأ؟ قال: اقرأ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾[٦]] فعوقبوا إذ تخشعوا من غيره وهم تخشعوا من التوراة وهى كلام الله، فما ظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهى والغناء .

وقال ﷺ وقد سأله سائل: يا سيدى لما قال عيسى عليه السلام ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٧] ولم يقل الغفور الرحيم؟ فقال: لأنه لو قال الغفور الرحيم لكان شفاعة من عيسى عليه السلام لهم فى المغفرة ولا شفاعة فى كافر، ولأنه عبد من دون الله فاستحى من الشفاعة عنده وقد عبد معه .

وقال ﷺ في قوله تعالى ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[٨] في هذه الآية مدح لسيد المرسلين ﷺ أى أنَّ هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها، وأنت يا محمد تثبت لنزوله للقوة الربانية التى أودعناك إياها، وفيه ذم للكافرين، أى: أن القرآن لو أنزل على جبل لخشع وتصدع وأنتم ما خشعتم وما تصدعتم .

فائدة: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعانى الغريبة كما مضى من فهم الشيخ قوله تعالى ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً ﴾ الآية، وقوله ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ وكما سيأتى فى الأحاديث فذاك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان، وثم إفهام باطنه تفهم عند

---

(٦) (العنكبوت: ٥١) (٧) (المائدة: ١١٨)
(٨) (الحشر: ٢١)

الآية، والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء أنه ﷺ قال لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذه إحالة لكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة، وإنما كان يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه، كما أخبرنا الشيخ الإمام مفتى الأنام تقى الدين بن محمد بن علي القشيرى قال: كان ببغداد فقيه يقال له الجوزى، يقرأ اثنى عشر علماً، فخرج يوماً قاصداً إلى مدرسة، فسمع منشداً ينشد شعراً:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائماً على وجهه حتى أتى مكة فلم يزل مجاوراً بها حتى مات . وقرىء على الشيخ مكين الدين الأسمر قول قائل:

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف أنت شَاربُهُ فاشرب ولو حملتك الراح أوزاراً
يا من يلوم على صبهاء صافية كن فى الجنان ودعنى أسكن النارا

فقال إنسان هنا: لا يجوز قراءة هذه الأبيات، فقال الشيخ مكين الدين للقارئ: اقرأ هذا رجل محجوب، ويكفيك فى هذا أن ثلاثة سمعوا منادياً يقول اسع تر برى، وسمع الآخر الساعة ترى برى، وسمع الآخر ما أوسع برى، فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين كما قال سبحانه ﴿ يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ﴾[(١)] وقال سبحانه ﴿ وقد علم كل أناس مشربهم ﴾[(٢)] فأما الذى سمع: اسع تر برى، فمريد دل على النهوض إلى الله بالأعمال ليستقبل الطريق بالجدل، وقيل له اسع إلينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة، وأما على قبله لما أحرقه نار الشغف الساعة ترى برى، وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع برى .

وقال الشيخ محى الدين بن عربى: دعانا بعض الفقراء إلى دعوة بزقاق القناديل بمصر، فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعجز الأوعية وهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد، فغرف فيه رب المنزل الطعام، فالجماعة يأكلون وإذا

---

(١) (الرعد: ٤)　　(٢) (البقرة: ٦٠)

الوعاء يقول: أكرمنى الله بأكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى أن أكون بعد ذلك محلاً للأذى، ثم انكسر نصفين، قال: ابن عربى: فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء، قالوا: نعم، قلت: ما سمعتم فأعادوا القول الذى تقدم، فقال: بل قال قولاً غير ذلك، قالوا: وما هو؟ قلت: قال كذلك قلوبكم أكرمها الله بالإيمان فلا المعصية ترضوا بعد ذلك أن تكون محلاً لنجاسة وحب الدنيا، جعلنا الله وإياك من أولى الفهم عنه والتلقى منه .

* * * * * * * * * *

البــــــاب السادس

فيما فسره من الأحاديث النبوية وإبداء أسرار فيها على مذهب أهل الخصوصية

قال ﷺ في قوله ﷺ { سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأه ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه }[1].

فقال الشيخ: الإمام العادل هو القلب، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه أي: رجل قلبه معلق بالعرش، فإن العرش مسجد قلوب الموقنين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، أي: من النفس والهوى، وكذلك قال في قوله تعالى ﴿ إذ نَادى رَبَّهُ نِداءً خَفيًّاً ﴾[2] أي: من النفس والهوى .

واعلم: أن هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم إياه: أما الإمام العادل فإنه عدل في عبادة الله فأوى المظلوم إلى ظل عدله فأواه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الشاب الذى نشأ في عبادة الله فإنه أوى إلى الله معرضاً عن هواه آوياً إلى كنف مولاه فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء كما صنع هو ذلك مع الله وغلب عليه حب الله، فلذلك صار قلبه متلفتاً إلى المسجد لا يحب للبراح عنه لأنه يجد فيه روح القرابة وحلاوة الخدمة، فأوى إلي الله مؤثراً لربوبيته فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، جزاء لما سبق من معاملته .

وأما الرجلان الذين تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، فإنهما تواصلا

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه (١/١٦٨) ومسلم (٩١) والحاكم في المستدرك (٤/١٨٧) رقم (٧٣١٥) والتاريخ الصغير (٢/١٣٩) رقم (٢٠٧٧) من حديث أبى هريرة، والجامع الصحيح المختصر (١/٢٣٤) رقم (٦٢٩) والترمذى في الجامع الصحيح (٤/٥٩٨) رقم (٢٣٩١) والسنن الكبرى (٣/٤٦١) رقم (٥٩٢١) والكامل في ضعفاء الرجال (٤/١٥٤) رقم (٩٧٨) والنهاية في غريب الأثر (٣/١٥٩) وتاريخ بغداد (٩/٢٥٣) رقم (٤٨٢٩) وتذكرة الحفاظ (٤/١٣٢٤) رقم (١٠٩٣)تلخيص الحبير في أحاديث الرافعى الكبير (٣/١١٤) رقم (١٤٢٨) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (٢٣٦) رقم (١٧٠٩) حاشية السندى على النسائى (٦/٢٥٨) رقم (٣٦٦٤) سنن البيهقى الكبرى (٣/٦٥) رقم (٤٧٦٧) شرح السيوطى على سنن النسائى (٦/٢٨٠) رقم (٣٦٦٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٠/٣٣٨) رقم (٤٤٨٦) .

(٢) (مريم: ٣)

بروح الله تعالى وتآلفا بمحبة الله فكان ذلك منهما إقبالاً إلى الله فآواهما الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إنى أخاف الله رب العالمين، فإنه صلى نار مخافة الهوى من المولى، وخالف بواعث الطبع المعارضة للتقوى، ولما خاف الله هرب إليه ولما هرب إليه هاهنا معاملة آواه الله إليه فى الآخرة مواصلة، فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى ذكر الله خالياً ففاضت عيناه فإنه لم تفض عيناه إلا من الفرح التى أحرقت قلبه، إما حياء من الله أو شوقاً إليه أو خوفاً من ربوبيته أو لشهود التقصير معه، فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد إلا الأحد كان ذلك معاملة لله وإقبالاً إليه بالاعتذار إليه أو بالتشوق، فآوى إلى الله فأظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، فإنه قد آثر الله على نفسه ببذل الدنيا إيثاراً لحب الله ما تحبه نفسه، لأن شأن النفس حب الدنيا وعدم البذل لها فلا يبذل لها إلا من آثر الله عليها، ولذلك قال رسول الله ﷺ {والصدقة برهان }[1] أى: برهان يدل على أن العبد آثر مولاه على نفسه وهواه، فلما مال العبد إلى الله بالمعاملة منّ الله عليه بأن أظله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وتشترك الأقسام السبعة فى معنى واحد، فلذلك جوزوا جزاء واحداً اشترك فى أن كلا من هؤلاء السبعة صلى حر مخالفة الهوى فى الدنيا، فلم يذقه الله حر الآخرة، وقد قال ﷺ حاكياً عن الله { لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع عليه أمنين أن أمنته فى الدنيا أخفته فى الآخرة، وإن أخفته فى الدنيا أمنته فى الآخرة }[2] .

وقال ﷺ فى قول رسول الله ﷺ{ يسروا ولا تعسروا }[3] أى: دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره، فإن من دلك على الدنيا فقد غرك، ومن دلك على الأعمال فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك .

وقال ﷺ فى قول رسول الله ﷺ { رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١) وأحمد فى مسنده (٣٤٢/٥) والترمذى (٣٥١٧) والبيهقى فى الكبرى (٤٢/١) .
(٢) أخرجه البيهقى فى المجمع (١٠ / ٣٠٨) .
(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٣٩٩/٤) وعبد الرزاق فى المصنف (١٦٥٩) .

لأكلتم منه ما بقت الدنيا }[١] أى: الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثلهم فلذلك قال ﷺ رأيت الجنة، ولم يقل كأنى رأيت .

وقال حارثة : قال رسول الله ﷺ { كيف أصبحت يا حارثة؟ }[٢] قال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال ﷺ { لكل حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ } قال: عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها، وكأنى أنظر على أهل الجنة فى الجنة يتنعمون فيها، وإلى أهل النار فى النار يعذبون فيها، وكأنى أرى عرش ربى بارزاً من أجل هذا سهرت ليلى وأظمأت نهارى، فقال له رسول الله ﷺ { يا حارثة عرفت فالزم} ثم قال رسول الله ﷺ { عبد نور الله قلبه بنور الإيمان } قال حارثة: كأنى ولم يقل رأيت لأن ذلك للأنبياء دونه، وكذلك قول حنظلة الأسدى لرسول الله ﷺ تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين، ولم يقل حتى نراها رأى العين لما قدمناه وفى حديث حارثة فوائد عشرة:

الفائدة الأولى:

أنه لما سئل النبى ﷺ حارثة فقال له { كيف أصبحت يا حارثة؟ } لم يقل حارثة غنياً ولا صحيحاً ولا شيئاً من الأحوال البدنية، أو الأمور الدنيوية، لأن حارثة علم أن رسول الله ﷺ أجل من أن يسأل عن دنيا بل فهم عنه أنه إنما سأله كيف حاله مع الله؟ فلذلك قال الصحابى: أصبحت مؤمناً حقاً، إن أبناء الدنيا إذا سئلوا فلا يخبرونك إلا عن دنياهم وربما أخبروك إذا سألتهم عن الضجر بأحكام مولاهم، فالسائل لمن هذا وصفه مشارك له فيما استثاره سؤاله يجريان سببه منه، قال الشيخ أبو العباس لرجل أتى من الحج: كيف كان حجكم؟ فقال ذلك الرجل: كثير الرخاء كثير الماء كذا . كذا وسعر كذا وكذا، فأعرض الشيخ عنه، وقال: نسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من علم ونور وفتح فيجيبون برخاء الأسعار وكثرة الماء حتى كأنهم لم يسألوا إلا عن ذلك .

الفائدة الثانية:

أنه ينبغى للمشايخ تفقد حال المريدين ويجوز للمريدين إخبار الأستاذين، وإن لزم من ذلك كشف حال المريد لأن الأستاذ كالطبيب، وحال المريد كالعورة، والعورة قد تبدى

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١/٣٥٩)

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣/٣٠٢) والسيوطى فى الدرر المنثور (٣/١٦٢) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣٦٩٨٨) والزبيدى فى الإتحاف (٩/٣٧٢) وابن أبى شيبة فى الإيمان (١١٥) والعجلوانى فى كشف الخفاء (٢/٢٠٨) وابن الأثير فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة (١/٤٢٥ ـ ٤٢٦) وقال رسول الله ﷺ لأمه يوم أتشهاده { يا أم حارثة أنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنات. وحارثة فى الفردوس الأعلى) .

للطبيب لضرورة التداوى .

الفائدة الثالثة:

انظر إلى قوة نور حارثة فى قوله أصبحت مؤمناً حقاً، فلولا أنه منصور بنور البصيرة الموجبة لمحض اليقين والتحق بالمنة ما أخبر بذلك وأبداه وأثبت لنفسه حقيقة الإيمان بين يدى صاحب المحو والإثبات، وإنما أبدى ذلك حارثة لأنه علم أن طواعية رسول الله ﷺ واجبة والرسول قد استخبره عن حاله فلم يسعه الكتم وأبدى ما علم أن الله تفضل به عليه ببركات متابعة رسول الله ﷺ ليفرح له الرسول ﷺ بمنة الله فيشكر الله عنه، ويسأل الله تثبيت ما أعطاه ومثل هذا ما ذكره بعض العلماء .

قال: وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافة عمر فقال عمر: ما هذا؟ ما أسرع؟ ما أحدثتم والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم، فانظر حكم الله هذه البصيرة التامة، كيف أشهدته؟ أن الزلزلة إنما هى من حدث وأن ذلك الحدث منهم، وأنه برىء منه، فهل هذا إلا من نور البصيرة الكاملة التى وهبها الله عمر .

وكذلك ضربه لأبى هريرة فى صدره حين وجد معه نعل رسول الله ﷺ وقد أمره أن من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله أن يبشره بالجنة، ورجوعهما إلى رسول الله ﷺ قول عمر: يا رسول الله أنت أمرت أبا هريرة أن يأخذ نعليك ويبشر من لقى من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله بالجنة؟ قال ﷺ { نعم } قال: لا تفعل يا رسول الله خلهم يعملوا، فقال ﷺ { خلهم يعملوا }[1] .

وهاتان الوقعتان يعرفانك بعظيم قدر عمر وموفور أخذه من رسول الله ﷺ واحتظائه من نوره، وهذا الحديث رويناه من صحيح مسلم وإنما ذكرته هنا مختصراً .

الفائدة الرابعة:

يفهم من هذا الحديث انقسام الإيمان إلى قسمين: ١- إيمان حقيقى ٢- إيمان رسمى فلذلك أخبر الصحابى بقوله أصبحت مؤمناً حقاً، والحديث يشهد له أيضاً ما رواه البخارى فى صحيحه يرفعه أن رسول الله ﷺ قال { ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً }[2] وروى أيضاً أنه ﷺ قال { ثلاث من كنا فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه وابن حجر فى الفتح (١/٢٢٨) وابن أبى شيبة فى الإيمان .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٣) وأحمد فى مسنده .

لله، وأن توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله }[1]. وقد جاء فى الحديث أيضاً قال: قال ﷺ { المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف }[2] وفى كل خير، وقد قال الله سبحانه ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾[3] .

وهما صنفان عباد بالله على التصديق والإذعان، وعباد آمنوا بالله على الشهود والعيان، وهذا الإيمان الثانى تارة يسمى إيماناً وتارة يسمى يقيناً، لأنه إيمان انبسطت أنواره وظهرت آثاره واستكن فى القلب عموده، ودوام السر شهوده، وعنه يكون خالص الولاية، كما أن عن القسم الآخر يكون ظاهر الولاية وليس يستوى إيمان مؤمن يغلب الهوى وإيمان مؤمن يغلبه الهوى، ولا إيمان مؤمن تعرض له العوارض فيدفعها بإيمانه كإيمان مؤمن غسل قلبه من العوارض، فلا ترد عليه لشهوده وعيانه، ولأجل هذا ما اختلف أهل الطريق فى عبدين أحدهما: يرد عليه خاطر الذنب فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه، والآخر: لا يخطر له هذا الخاطر أصلاً، أيهما أتم .

والذى لا نشك فيه تفضيل هذا القسم الثانى، فإنه أقرب أحوال أهل المعرفة، والأول هو حال أهل المجاهدة، ولأنه لا يكون القلب على هذه الصفة إلا والنور قد ملأ زواياه فلأجل ذلك لم يجد خاطر الذنب مساغاً .

الفائدة الخامسة:

مطالبة رسول الله ﷺ لحارثة بإقامة البرهان على ما أثبته لنفسه، يفيدك ذلك أنه ليس كل من ادعى دعوى سلمت له، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[4] فموازين الحقائق شاهدة للعيان أو عليها، وقد قال سبحانه ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط** ﴾[5] فمن ادعى حالاً مع الله أقيم عليه ميزانها، فإن شهد له سلمنا له وإلا فلا، وإن كانت الدنيا على خسارة قدرها عند الله لا تسلم لك إلا ببينة تقيمها، فمن الأحرى أن لا تسلم لك مراتب الموقنين حتى يثبتها لك برهان وتسلمها لك حقيقة .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده (١٠٣/٣) وابن حجر فى الفتح (٦٠/١) وأبو نعيم فى الحلية (٢٧/١) وعبد الرازق فى المصنف (٢٠٣٢٠) والهيثمى فى مجمع الزوائد (٥٥/١) .

(٢) أخرجه بن حجر فى الفتح (٢٢٧/١٣) والطبرانى فى الكبير (٣٠٤/١٧)

(٣) (الأنفال: ٤) (٤) (البقرة: ١١)

(٥) (الرحمن: ٩)

الفائدة السادسة:

كان الشيخ أبو العباس يقول: لو كان المسئول أبا بكر ﷺ لم يطالبه الرسول ﷺ بإقامة برهان على ما ادعى، لأن عظيم رتبة أبى بكر شاهدة له من غير إظهار برهان، فأراد الرسول ﷺ أن يعرفنا الفرق بين رتبة أصحابه، فمنهم من هو كحارثة لما ادعى حقيقة الإيمان طولب ببرهانها، ومنهم من هو كأبى بكر وعمر ﷺ يثبت لهم الرسول ﷺالرتب، وإن لم يثبتوها لأنفسهم، ألا ترى الحديث الوارد، أن بقرة فى بنى إسرائيل ركبها رجل وأجهدها، فقالت: سبحان الله لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث، فقال الصحابة: سبحان الله أبقرة تتكلم، فقال رسول الله ﷺ { آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان }[١] فانظر هذه المرتبة، ما أفخمها هذه المنزلة ما أعظمها.

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: معنى قوله ﷺ { آمنت بذلك وأبو بكر وعمر } أى: من غير عجب، وأنتم آمنتم متعجبين، فلأجل ذلك قالوا: سبحان الله أبقرة تتكلم، وكان يقول أن الملائكة لما بشرت زوجة إبراهيم بالولد قالت: أألد وأنا عجوز؟ وهذا بعلى شيخاً هذا لشىء عجيب، فقالت الملائكة لها: أتعجبين من أمر الله، أمر الله لا يتعجب منه فلم يسمها الحق صديقة، ومريم لما بشرت بالولد من غير أب فلم تتعجب من ذلك سماها صديقة، فقال سبحانه ﴿ وأمه صديقة ﴾[٢].

الفائدة السابعة:

استدل الصحابى على حقيقة إيمانه بزهده فى الدنيا، وكذلك هذا الإيمان إذا تحقق به من قام به أورثه الزهد فى الدنيا ؛ لأن الإيمان بالله يوجب لك التصدق بلقائه وعلمك بأن كل آت قريب يوجب لك شهود قرب ذلك فيورثك ذلك الزهد فى الدنيا، ولأن نور الإيمان يكشف لك عن إعزاز الحق لك، وتأنف همتك من الإقبال على الدنيا والتطلع إليها مع أن الحقيقة تقتضى أن الزهد فى الدنيا مثبت لها، فإنه شهد لها بالوجود إذا ثبتها مزهوداً فيها، وإذا شهد لها بالوجود فقد عظمها، وهو معنى قول الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ: والله لقد عظمتها إذا زهدت فيها.

ومثل زهد الزاهد فيما زهده فيه فناء الفانى عما فنى عنه، فإثبات أنك فان عن الشىء إثبات لذلك الشىء فما لا وجود له لا يتعلق به فناء ولا زهد ولا ترك، ولنا فى هذا المعنى أبيات كتبت بها لبعض إخواننا يسمى حسناً:

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٦٧٧) والقرطبى (٦٦/١٦)

(٢) (المائدة: ٧٥)

حسن من تدع الوجود بأسره ... حسن فلا يشغلك عنه شاغل
لئن فهمت لتعلمن بأنه ... لا ترك إلا الذى هو حاصل
ومتى شهدت ثواه فاعلم بأنه ... من وهمك الأدنى وقلبك ذاهل
حب الإله شهوده لوجوده ... والله يعلم ما يقول القائل
ولئن أشرت إلى الصدع من الهوى ... دلت عليه أن فهمت دلائل
وحدث كان وليس شىء غيره ... يقضى به الآن اللبيب العاقل
لا غير إلا نسبة مثبوته ... ليذم ذو ترك ويحمد فاعلى

الفائدة الثامنة:

قول الصحابى: عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى زهيها ومدرها، العزوف: هو ترك الشىء بالتعزف له والاعراض عنه، إذ لو قال: تركت الدنيا، لم يلزم من الترك عدم التطلع، فرب تارك للشىء وهو له متطلع فالعزوف أعراض مع كراهة وتحقر، ومن كشف له عن حقيقة الدنيا فهذا شأنه فيها، وقد قال رسول الله ﷺ { الدنيا جيفة قذرة }[1] وقال ﷺ { للضحاك ما طعامك؟ } قال: اللحم واللبن، قال: ثم يعود إلى ماذا؟ قال إلى ما علمت يا رسول الله، قال: فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا، فمن كشف له عن حقيقة الدنيا فشهدها جيفة قذرة، فحرى أن تعزف همته عنها فإن قلت: فقد قال رسول الله ﷺ { الدنيا حلوة خضرة }[2] فاعلم أن الدنيا جيفة قذرة فى مرآى البصائر، حلوة خضرة فى مرآى الأبصار، فإن قلت فما فائدة الإخبار بأنها حلوة خضرة، فاعلم أن قوله ﷺ { الدنيا جيفة قذرة } للتنفير وقوله الدنيا حلوة خضرة للتحذير، أى: فلا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها، فإن حلاوتها فى التحقيق مرارة وخضرتها يبس، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله قال { هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها }

الفائدة التاسعة:

وقوف الصحابى على مستحق رتبته بقوله: وكأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون، ولم يقل نظرت، وقد تقدم ذلك من الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء، والأولياء يطالعون مثلها .

---

[1] أخرجه السيوطى فى الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة ٨٥، والعجلونى فى كشف الخفاء (٤٩٣/١)

[2] أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٦٤/٢) والطبرانى فى الكبير (٣٥٠/١٩) والمتقى الهندى فىكنز العمال (٦٠٧٥) والحافظ المنذرى فى الترغيب (١٦٢/٤) والبخارى فى التاريخ الكبير (٤٥/٥) .

الفائدة العاشرة:

قوله: فمن أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى، فحارثة عبد وصل بكرامة الله إلى طاعة الله، ألا ترى كيف قال فى الأول عزفت نفسى عن الدنيا، ثم قال: فمن أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى، فسبق عزوف نفسه عن الدنيا معاملته لربه .

وكان الشيخ أبو العباس يقول: الناس على قسمين:

١ ـ قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله .

٢ ـ وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله .

وقد قال سبحانه ﴿ يَجتَبِى إليهِ مَن يَشَاءُ ويَهدى إليهِ مَنْ يُنيبُ ﴾[١]

ونور الله يرد على القلب فيوجب له الاتصاف بصفة الزهد فى الدنيا والإعراض عنها، ثم تنبت منه إلى الجوارح فما وصل إلى العين أوجب الاعتبار، وإلى الأذن أوجب حسن الاستماع، وإلى اللسان أورث الذكر، وإلى الأركان أورث الخدمة، والدليل على أن النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا والنأى عنها قول رسول الله ﷺ { إن النور إذا دخل الصدر انشرح وانفسح }[٢] فقيل يا رسول الله: فهل لذلك علامة؟ قال ﷺ { التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود }

وأما حديث حنظلة الأسدى فقد رواه مسلم فى صحيحه قال: لقى حنظلة أبو بكر فقال: نافق حنظلة، فقال أبا بكر ﷺ: وما شأن حنظلة؟ فقال: نكون عند رسول الله ﷺ فيذكرنا بالجنة والنار حتى كانا رأى العين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الضيعات والزوجات، ثم أتيا رسول الله ﷺ فقال له حنظلة ما قاله لأبى بكر، فقال رسول الله ﷺ { والذى نفسى بيده ياحنظلة لو تداومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فراشكم ولكن ساعة وساعة }[٣] وفى هذا الحديث ثمان فوائد:

---

(١) (الشورى: ١٣)

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٣١١) والسيوطى فى جمع الجوامع (٥٩٩٢) .

(٣) صحيح أخرجه مسلم فى التوبة (٤/٢١٠٦) رقم (٢٧٠٥) وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١٤/٥) والزبيدى فى الاتحاف (٢١٦/٩) والأحاد والمثانى (٤٠٦/٢) رقم (١٢٠١) والجامع الصحيح سنن الترمذى (٦٦٦/٤) رقم (٢٥١٤) والمعجم الكبير (١١/٤) رقم (٣٤٩٠) وابن ماجة فى السنن (١٤١٦/٢) رقم (٤٢٣٩) وشرح سنن ابن ماجه (٣١٣) رقم (٤٢٣٩) وصحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان (٥٥/٢) رقم (٣٤٤) ومسند أبى يعلى (٣٧٨/٥) رقم (٣٠٣٥)

الفائدة الأولى:

قول حنظلة نافق حنظلة، النفاق مأخوذ من نافقهاء اليربوع وهو أن يجعل لبيته بابين متى طلب إحداهما خرج من الآخر، كذلك المنافق يظهر بظاهر الإيمان وله مسرب من الكفر باطن إذا عاتبه أهل الكفر على ما أظهر من الإيمان فتح مسرباً من باطن كفره ليسلم من عتابهم، وإذا ظهرت عليه رتبة أهل النفاق فعوتب عليها تصون من ذلك بظاهر الإيمان الذى أظهره، ولذلك أخبر الله عنهم بقوله ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون** ﴾ [1]

فلما رأى حنظلة أنه يكون عند رسول الله ﷺ على حاله فإذا خرج وحاول أسباب الدنيا تغير حاله فلم يبق على نحو ما كان عليه عند رسول الله ﷺ خاف أن يكون ذلك نفاقاً لاختلاف حالتيه فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ وحمله الإيمان أن يظهر ذلك ليطلب الشفاء منه ويشكوا دائه لمن يكون الدواء عنده، فلما شكا ذلك لأبى بكر ﷺ قال له أبو بكر: إنا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة، ولم يجبه أبو بكر لأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم فلم ير أبو بكر أن يجيب حنظلة ولو أن حنظلة أتى أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ لأجابه .

الفائدة الثانية:

يستفاد من حديث حنظلة أن من حمله الصدق على إظهار ما به حصل له الشفاء، إما بأن يقال: إن ما ظننته داء ليس بداء، وإما أن يدل من الدواء على ما يزيل الداء، فحنظلة قيل له إن ما ظننته داء ليس بداء .

الفائدة الثالثة:

قول حنظلة لرسول الله ﷺ تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين، ولم يقل حتى نراها رأى عين لما قدمناه أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء، والأولياء يطالعون مثلها، فلذلك قال حنظلة كانا رأى عين، ولم يقل حتى نراها رأى عين كما قال حارثة، وكأنى انظر إلى أهل الجنة، ولم يقل نظرت إلى أهل الجنة، وقد تقدم هذا من قبل .

الفائدة الرابعة:

ينبغى أن يقلل الدخول فى أسباب الدنيا ما أمكن فهذا الصحابى يقول: فإذا خرجنا

---

[1] (البقرة: ١١٤)

من عندك عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيراً، وقد قال رسول الله ﷺ { إن قليل الدنيا يلهى عن كثير الآخرة }

وقال ﷺ { مال طلعت شمس إلا وجنبها ملكان يناديان: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خيراً مما كثر والهى }[١].

الفائدة الخامسة:

قوله ﷺ { لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فراشكم }[٢] فيه إشارة إلى أن الدوام على تلك الحالة عزيز وإن عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معتبته لما طبع عليه البشر من الغفلة، فكان الدوام على تلك الحالة كالمعثور .

الفائدة السادسة:

كان الشيخ أبو العباس يقول: لم يقل ﷺ إن ذلك محال أن يكون أعنى ما رمت على تقدير الدوام وهو قوله ﷺ { لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فراشكم } فقد يكون من أولياء الله يهبه الله ذلك .

الفائدة السابعة:

إنما خص الرسول ﷺ الفراش والطرق، لأن الفراش محل الشهوات، والطرق محل الغفلات، فإذا صافحتهم الملائكة فى فراشهم وطرقهم فمن الأحرى أن تصافحهم فى محل طاعاتهم وموطن أذكارهم .

الفائدة الثامنة:

اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يستوى وقت كينونتهم عنده، ووقت ذكرهم سواهما حتى يعرف عظيم قدر رتبته محاضرته ﷺ وعزازة الذكر وجلالة منصبهما، وقد قال ﷺ سمع النبى ﷺ أبا بكر يقرأ ويخفت صوته، وسمع عمر يقرأ ويرفع صوته، فقال لأبى بكر

---

(١) أخرجه أبو نعيم ف الحلية (١/٢٢٦)

(٢) صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه. والزبيدى فى الإتحاف (٩/٢١٦) والهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٣٠٨) والمتقى الهندى فى كنز العمال (١٠٣٧٠) وابن ماجة فى السنن (٢/١٤١٦) رقم (٤٢٣٩) وشرح سنن ابن ماجه (٣١٣) رقم (٤٢٣٩) وصحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان (٢/٥٥) رقم (٣٤٤) ومسند أبى يعلى (٥/٣٧٨) رقم (٣٠٣٥) وزالمعجم الكبير (٤/١١) رقم (٣٤٩٠) والجامع الصحيح سنن الترمذى (٤/٦٦٦) رقم (٢٥١٤) والآحاد والمثانى (٢/٤٠٦) رقم (١٢٠١) .

{ لما خفضت صوتك؟} قال: قد أسمعت من ناجيت، وقال لعمر { لما رفعت صوتك؟} قال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال لأبي بكر { ارفع قليلاً } ولعمر { اخفض قليلاً } قال الشيخ: أراد أن يخرج كلا منهما عن إرادته لنفسه، لمراد رسول الله ﷺ لهما

وقال ﷺ في قوله ﷺ { أنا سيد ولد آدم ولا فخر }[١] أي: لا افتخر بالسيادة وإنما الفخر لي بالعبودية، وكان كثيراً ما ينشد شعراً:

يا عمر وناد عبد زهراء يعرفه السامع والرأى
لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائـي

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: المؤمن في الدنيا أسير، ولا فكاك للأسير إلا بإحدى ثلاث: إما بالحيلة، وإما بالفدية، وإما بالعناية، وما ذكره الشيخ مأخوذ من قول رسول الله ﷺ { الدنيا سجن المؤمن }[٢] قال أبو العباس في تفسير هذا الحديث: شأن المسجون التحديق بعينيه والإصغاء بأذنيه متى يدعى فيجيب .

وقال ﷺ: الأنبياء إلى أممهم عطية، ونبينا محمد ﷺ هدية، وفرق بين الهدية والعطية، لأن العطية للمحتاجين، والهدية للمحبوبين، قال النبي ﷺ { إنما أنا رحمة مهداه }[٣] .

وقال في قوله ﷺ { السلطان ظل الله في الأرض }[٤] هذا إذا كان عادلاً، وإما إذا كان جائر فهو ظل النفس والهوى .

وقال ﷺ: مات رجل من أهل الصفة فوجد في شملته ديناران فقال النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٠٤/٢) والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠) والزبيدي في اتحاف السادة المتقين (٥٧٢/٧)

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في الزهد والترمذي (٢٣٢٤) وأحمد في مسنده (١٩٧/٢) وابن ماجة (٤١١٣) والحاكم في المستدرك (٦٠٤/٣) والبغوي في شرح السنة (٢٩٦/١٤) والطبراني في الكبير (٢٨٩/٦) .

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (٢١٣/٣) وابن كثير في البداية والنهاية (٢٩٩/٦) والسيوطي في الدرر المنثور (٣٤٢/٤) والأجرى في الشريعة (٤٥٨) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٢٨/١) وابن حجر في لسان الميزان (٢٣٣/٥) .

(٤) عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال { إن السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإذا جار كان عليه الأمر وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة، هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا ظهرت الفتنة والمسكنة، وإذا ظفرت الذمة أديل الكفار }انظر الكامل في ضعفاء الرجال (٣٥٩/٣) رقم (٨٠١) والنهاية من غريب الأثر (٢٦٢/٢)، ومعناه: أن على الولى للرعية الانتصار من الظالم والإعانة، لأن الظل يلجاء إليه من الحرارة والشدة ولهذا قال في تمامه { يأوى إليه كل مظلوم } وتهذيب التهذيب (٢١٧/٧) رقم (٤٤١) من حديث أنس ﷺ، وفيه عقبة بن عبد الله قال فيه أبو بكر البزار: عقبة وطلحة بن عمر حافظين وإن كان روى عنهما جماعة فليسا بالقوابين. وقال الساجد: ليس هو ممن يحتج بحديثه وفيه ضعف، وقال ابن شاهين في الثقات: قال أحمد بن صالح المصري ثقة

{ كيتان فى النار } وقد مات على عهد رسول الله ﷺ كثير من الصحابة وتركوا أموالاً فما قال فيهم رسول الله ﷺ مثل هذا، لأنهم لم يبطنوا خلاف ما أظهروا، وهذا الذى كان من أهل الصفة أظهر الفاقة وكان عنده هذين الدينارين فلما أظهر خلاف ما أبطن قال الرسول ﷺ { كيتان فى النار }

وقال فى قوله ﷺ { التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة } قيل: فبأى طريق يحشر مع هؤلاء؟ قال ﷺ: يحشر مع النبيين لأن شأنهم أداء الأمانة وبذل النصيحة، والتاجر الذى هذا صفته يحشر معهم بهذا الوصف.

ويحشر مع الصديقين لأن الصديق شأنه الصفاء فى الظاهر والباطن، وقد استوى ظاهره وباطنه، والتاجر الصدوق كذلك، فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف .

ويحشر مع الشهداء لأن الشهيد شأنه الجهاد، والتاجر الصدوق يباعد نفسه وشيطانه وهواه فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف

ويحشر مع الصالحين لأن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام، فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف .

* * * * * * * *

البـــــاب السابع

فى تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجمل الطرائق

قـال ﷺ: قـال سـهل بـن عـبد الله[١] لا تكونـوا أبـناء الدهـور ولا مـن أبـناء العـد والإحصـاء، وكونـوا مـن أبـناء الأزل أشـقى أو اسعد، ثم قال ﷺ: يقول أحدهم صليت كذا وكـذا ركعة، ختمت كذا وكذا ختمة، حججت كذا وكذا حجة، فهؤلاء أبناء العد والإحصاء فهـم إلى عـد سـيئاتهم أحـوج منهم إلى عد حسناتهم، وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم لى فى طريق الله سبعون سنة، لى فى طريق الله ستون سنة، وكونوا من أبناء الأزل أشقى أو سعيد، يعـنى لاحظـوا مـا سـبق فـى علم الله ولا تتكلوا على ما لكم من العلم والعمل، ولكن أرجعوا لوجود الأزل .

وقال ﷺ: قال بشر الحافى[٢] منذ أربعين سنة أشتهى الشواء فما صفا لى ثمنه، فقال الشيخ: من ظن أن هذا الشيخ مكث أربعين سنة ما وجد درهماً حلالاً يشترى به الشواء فقد أخطـأ، من أين لـه فى الأربعين سنة ما يأكل وما يلبس، وإنما المعنى فى ذلك أن هؤلاء قوم أصـحاب مراتـب لا يـأكلون ولا يشـربون ولا يدخلـون فـى شـىء ولا يخـرجون بشـىء ولا يخرجون من شىء إلا بإذن من الله وإشارة، فلو أذن له أكل الشواء لصفا له ثمنه

---

(١) سـهل بن عبد الله التسـترى من الطبقة الثانية وكنيته: أبو محمد، من أكابر القوم وعلماء هذه الطائفة كان إماماً ربانياً، يـتعين الاقتداء به، وكان حاله قوياً وكلامه ضعيفاً، وهو من تلامذة ذو النون المصرى، وصحب خاله محمد ابن سوار، وكان من أقران الجنيد، سئل سـهل: ما علامة الشقاوة؟ قال (أن تعطى العلم، ولا تعطى توفيق العمل، وتعطى العمل ولا تعطـى الإخـلاص، وتعطى صحبة الصالحين والعارفين ولا تعطى القبول) وقال سـهل: أول هذا الأمر علم لا يدرك وآخـره علم لا ينفذ) وقال أيضا: (ما دمت تخاف الفقر فأنت منافق) وقال أيضاً: (الصوفى الذى لا ينتفع أحد من قلـبه لا يحصـل منه الفلاح) وقال أيضاً (طوبى لمن يطلب من أولياءه تعالى، إن وجد أولياءه وجد النور، وإن مات فى طلـبه وجـد شـفيعاً) انظـر ترجمـته فـى حلقات الصوفية (٢٠٦) حلية الأولياء (١٨٩/١٠) صـفة الصفوة (٤٦/٤) الرسـالة القشـيرية ص ١٨، لواقـح الأنوار (٩/١) وفيات الأعيان (٢٧٣/١) سير أعلام النبلاء (٧٦/١/٩) شذرات الذهب (١٨٢/٢) هدية العارفين (٤١٢/١) معجم المؤلفين (٨٤/٤) التعريف ص ٩، كشف المحجوب ص ١٣٩، جامع كرامات الأولياء (٣٥/٢) تذكرة الأولياء (٢٢٧/١)

(٢) بشـر بـن الحـارث بـن عـبد الرحمن الحافى: من الطبقة الأولى، كنيته: أبو نصـر، قيل أصله من بعض قرى مَرْو وأقام ببـغداد، ومات بها يوم الأربعاء العاشـر من المحرم سنة سبع وعشرون ومائتين قبل أحمد بن حنبل بسـبع سـنين، قيل كان الناس يفضلونه على أحمد بن حنبل، حتى ظهرت الفتنة، وهى القول بخلق القرآن، فأما أحمد بن حنبل فدخل مـع الـناس، وأمـا بشـر فاعـتزلهم، فقـالوا: يـا أبـا نصـر ألم تخـرج وتتكلم مع الناس لنصرة الدين وتقوية أهل السنة والجماعـة؟ قـال: (هـيهات، هـذا أحمد بن حنبل قد قام مقام الأنبياء عليهم السـلام، فإن لم يقدر أن يتكلم فليس لى طاقـة أن اتكـلم) ومـن كلامـه: ما أعظم مصيبة من فاته الله ﷻ) انظر ترجمته فى: طبقات الصـوفية ص ٣٩، حلية الأولـياء (٣٣٦/٨) صـفة الصفوة (١٨٣/٢) لواقح الأنوار (٨٤/٩) الرسالة القشـيرية ص ١٤، وفيات الأعيان (١/ ١١٢) شـذرات الذهب (٦٠/٢) البداية والنهاية (٢٩٧/١٠) جامع كرامات الأولياء (٣٦٧/١) الكواكب الدرية (٢٠٨/١) هداية العارفين (٢٣٢/١)

وقال ﷺ: قوت القوم على أربعة أوجه: ١ـ مباح ٢ـ وحلال ٣ـ وطيب ٤ـ وصاف.

فالمباح: ما كان مستوى الطرفين ما على أخذه عقاب ولا على ما تركه ثواب .

والحلال: ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحد من النساء والرجال .

والطيب: هو ما أخذه العبد بوصف الفناء إذ لا وصف له مع مولاه .

والصافى: هو ما عاينه العبد من المنبع يعنى من عين قدرة الله .

وقال ﷺ: قال الجنيد[1] أدركت سبعين عارفاً كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخى أبا يزيد، ولو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه، فقال الشيخ: معنى قوله يعبدون على ظن ووهم لا يريد بذلك ظنا بالمعرفة ووهم فيها، وكيف تجتمع المعرفة والظن والوهم؟ وإنما المراد أنهم وصلوا مقامات توهموا أن ليس وراءها للموقنين مقاماً، فقال الجنيد: لو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه أى: لانقاد له، فالإسلام هو الانقياد.

وقال ﷺ فى قوله أبى يزيد[2]: خطت بحراً وقف الأنبياء بما حله، إنما يشكوا أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، ومراده إن الأنبياء خاضوا بحار التوحيد ووقفوا من الجانب الأخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أى: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا، وهذا الذى فسر الشيخ به كلام أبى يزيد، هو اللائق بمقام أبى يزيد .

---

(١) سيد الطائفة الجنيد بن محمد البغدادى، من الطبقة الثانية، كنيته: أبو القاسم، ولقبه: القواريرى، قال أبو العباس بن عطاء (إمامنا فى هذا العلم ومرجعنا والمقتدى به الجنيد) وقال الشيخ أبو جعفر الحداد (لو كان العقل رجلاً لكان الجنيد) قال الجنيد (قال لى سرى السقطى: (عظ الخلق) وكنت مهتماً بنفسى، لأنى ما رأيت فىّ استحقاق هذا المنصب، حتى رأيت النبى ﷺ فى المنام ليلة الجمعة يقول لى ((تكلم على الناس)) فانتبهت، ذهبت ـ قبل الصبح ـ إلى سرى ودققت الباب، فقال: ما صدقت كلامى، حتى قال لك النبى ﷺ، وفى الصباح جلست فى المجلس، وابتداءت الكلام حتى اشتهر الخبر عند الناس وقالوا: الجنيد اليوم يتكلم على الناس) فداء شاب من النصارى، فى لباس المتقين، فوقف طرف المجلس وقال: ايها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ { اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله } رواه أبو نعيم فى الحلية (٢٨٦/١٠) قال الجنيد: ففكرت ساعة، ثم رفعت رأسى وقلت له: أسلم لأنه جاء وقت إسلامك، قال الإمام اليافعى: يحسب الناس للجنيد فيه كرامة واحدة، وأنا أقول: للجنيد فيه كرامتان، إحداهما: إطلاعه على كفره، وثانيهما: إطلاعه على أوان اسلامه . انظر ترجمته فى طبقات الصوفية (١٥٥)، وحلية الأولياء (٢٥٥/١٠) صفة الصفوة (٢٣٥/٢) لاقح الأنوار (٩٨/١) الرسالة القشيرية ص ٢٤، مرآة الجنان (٢٣١/٢)

(٢) أبو يزيد البسطامى، من الطبقة الأولى، واسمه: طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، مات سنة إحدى وستون ومائتين، قيل: كان أبو يزيد إذا قام إلى الصلاة يخرج من صدره قعقعة يسمعها من كان قريباً منه، وهذه القعقعة من هيبة الحق وخشيته وتعظيم الشريعة، وقال أبو يزيد عند الموت (إلهى ما ذكرتك إلا عن غفلة، وما خدمتك إلا عن فترة) ثم مات، قال أبو موسى: قال اليزيد: (رأيت الله فى المنام فقلت يا ربى ! كيف يكون الطريق إليك؟ قال: إذا انقطعت عن نفسك وصلت) انظر ترجمته فى: طبقات الصوفية (٦٧) حلية الأولياء (٣٣/١٠) لواقح الأنوار (٨٩/١) *الرسالة القشيرية* ص ١٧، صفة الصفوة (٨٩/٤) شذرات الذهب (١٤٣/٢) ميزان الأعتدال (٤٨١/١) سير أعلام النبلاء (١٨/١/٩) جامع كرامات الأولياء (٤٩/٢) الأنوار القدسية (٩٧) معجم البلدان (٢٦٣/١)

وقدمنا عنه أنه قال: جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كذق ملىء عسلاً، ثم رشحت منه رشحه فما في بطن الذق للأنبياء، وتلك الرشحة هي للأولياء، والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الأدب حتى أنه وصف له رجل بالولاية فأتي إلى زيارته فقعد في المسجد ينتظره فخرج ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، كيف يؤمن على أسرار الله وما جاء عن الأكابر أولى الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لما علمناه من استقامتهم وحسن طريقتهم، وقد قال رسول الله ﷺ { لا تظنن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً } .

وقال ﷺ: كان الحارث بن أسد المحاسبي[1] إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه اصبعه، فسأل الشيخ سائل فقال: يا سيدى قد جاء أن الصّديق قدم له لبن فأكل منه فوجد كدرته في قلبه، فقال: من أين لكم هذا اللبن فقال الغلام له: كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتي، فتقيأه أبو بكر ﷺ ثم قال: والله لو لم يخرج إلا بمصاريني لأخرجتها، فلم يكن على يد الصّديق عرق يتحرك عليه إذا قدم له طعام فيه شبهة، والصّديق أولى بكل مزية من سائر الأمة وقد وزن بالأمة فرجحهم .

فقال الشيخ: الصديق ﷺ كالوكيل المفوض إليه مطهر من البقايا فلا يحتاج إلى الإشارة والحارث بقيت عليه البقايا، فلذلك الذم الإشارة حتى لا يدخل في شيء بنفسه وهواه، وأبو بكر ﷺ طهر من النفس والهوى فلا يحتاج إلى الإشارة، واعلم أن من حسن اختيار الله لأبي بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثيبه الله على ذلك وأيضاً ليجعله قدوة للعباد، فيقتدى به من أكل طعاماً فيه شبهة ولم يعلم أن الأولى قيئه، وليس لقائل أن يقول قد ضمنه بأكله وقد تناول أو تناوله وهو غير آثم، إذا هو غير عالم، فإن أبا بكر ما سأل عن اللبن إلا حتى وجد له كدرة في قلبه دل ذلك على أن الحرام أو الشبهة قد يؤثر في القلب كدرة أو قسوة، وأن لم يعلم به فتناوله وقت تناوله .

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، من الطبقة الأولى، وكنيته: أبو عبد الله، وهو من علماء الأصول، وكان جامعاً بين علوم الظهر وعلوم المعاملات والإشارات، وله مصنفات، وكان استاذ البغداديين، قال الحارث (من صحح ياطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة وإتباع السنة) الطبقات الصوفية ص ٦٠، وقال أيضا: (من لم يهذب نفسه بالرياضات لا يفتح له سبيل إلى سنى المقامات) وقيل: إن الحارث المحاسبي ما رقد في ليل ولا نهار أربعين سنة، وما أسند ظهره إلى جدار، وما جلس إلا على ركبتيه، وسألوه: لم تتعب نفسك؟ فقال (استحى أن أجلس في مشاهدته إلى على مثل حال العبيد، انظر ترجمته: طبقات الصوفية ص ٥٦، حلية الأولياء (٧٣/١٠) لواقح الأنوار (٨٧/١) طبقات الشافعية (٢٧/٢) الرسلة القشيرية ص ٥١. وفيات الأعيان (١٥٨/١) شذرات الذهب (١٠٢/٢) صفة الصفوة (٢٠٧/٢) جامع كرامات الأولياء (٣٨٧/١)

وهكذا هم أهل التخصيص إن وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه فهو من حسن اختيار الله لهم حتى يفتح بهم السبيل للعباد، وكما أن من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب من الفعل فيكون قدوة للتائبين وحتى يتعرف الله بحلمه فيعلم أنه أكرم الأكرمين يوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلمه أنه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين، وليكون أكل الشجرة سبباً فى النزول والنزول سبباً فى الخلافة .

فلذلك قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: أكرم بها معصية أورثه الخلافة، وقال: والله لقد أنزل الله آدم إلى الأرض من قبل أن يختلقه بقوله سبحانه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[١] وقد بسطنا القول فى هذا الموضع فى كتاب (التنوير) فلا نعيده .

وقال ﷺ: إنما بدأ القشيرى فى رسالته بالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة، ثم أقبلا فأقبل الله عليهما، فبدأ بذكرهما بسطا لرجاء المريدين الذين كانت قد تقدمت منهم الزلات، وسبقت منهم المخلفات ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العنايات، إذا لو بدأ بذكر الجنيد وسهل بن عبد الله التسترى وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ فى طريق الله تعالى لقال القائل: ومن يدرك هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم المخلفات .

وقال ﷺ فى الحكاية المشهورة عن سمنون المحب أنه كان ينشد شعراً:

وليس لى فى سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرنى

فابتلى بعلة وهى احتباس البول فتجلد يوماً فزاد الألم، فتجلد الثانى فزاد الألم، فتجلد ثالثاً ورابعاً والألم يزيد، فهو فى صبيح اليوم الرابع وإذا بإنسان من أصحابه قد أتاه وقال يا سيدى سمعت البارحة صوتك عند دجلة وأنت تستغيث إلى الله وتسأل رفع ما نزل بك فجاءه ثان وثالث ورابع، ولم يكن هو سأل فعلم أنها إشارة من الله له بالسؤال، فصار يدور على صبيان المكاتب ويقول: ادعوا لعمكم بكذا، فقال الشيخ: يرحم الله سمنونا عوض ما قال، فكيف ما شئت، فاختبرنى، كان يقول: فكيف ما شئت فاعف عنى، فطلب العفو أولى من طلب الاختبار .

وقال ﷺ: فى الحكاية التى ذكرها الأستاذ أبو القاسم القشيرى، قال الجنيد: دخلت على السرى فوجدته متغيراً، فقلت له: ما بالك يا أستاذ متغيراً، فقال: دخل على

---

[١] (البقرة: ٣٠)

شاب آنفاً فقال لى: ما التوبة؟ فقلت: أن لا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فما تقول أنت أبا القاسم؟ فقلت: القول عندى كما قال الشاب ؛ لأنى إذا كنت فى حال الجفاء ثم نقلنى إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء وقت الصفاء جفاء .

فقال الشيخ ﷺ كلام السرى أتم من كلامهما لأن كلام السرى يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتى النهايات من البدايات والجنيد لم يكن فى ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، وكذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء فى نهايتها فكلامهما يخص حالهما وكلام السرى مهيع مورد السالكين، هذا معنى كلام الشيخ .

وقال ﷺ فى قول بعضهم لا يكون الصوفى صوفياً حتى لا يكتب له صاحب الشمال شيئاً عشرين سنة، ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة، ولكن معناه إذا أذنب استغفر منه والملك الموكل لا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعل أن يرجع أو يتوب، وكلما أراد أن يكتبها قال له ملك اليمين: لا تكتب فعسى أن يتوب إلى أن يبلغ عدداً، إما لسبع وإما لعشر، الشك منى فحينئذ يكتبها سيئة ، فلذلك جاء صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال .

* * * * * * * *

الباب الثامن

فى كلامه فى الحقائق والمقامات وكشفه فيها للأمور المعضلات

قال ﷺ: الشوق على قسمين: شوق على الغيبة لا يسكن إلا بلقاء الحبيب وهو شوق النفوس، وشوق على الحضور والمعاينة، فإذا رفعك إلى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن العلل فذاك مقام التعريف إيماناً حقيقياً، وذاك ميدان تنزل أسرار الأزل، فإذا أنزلك إلى محل المشاغرة والجهاد فذاك مقام التكليف المقيد بالعلل وهو الإسلام الخفى ميدان تجلى حقائق الأبدية والمحقق من لا يبالى بأى صفة يكون، لأن صفتك تميل لا أنت والصفة من العين للعين، وهو ظهورك والاسم للسان وهو نطقك .

والاسم حقيقة الوجود والأسرار متنزلة عن الوجودية للصديقيه، بالحقائق متجلية، وعن الصفات بالولاية لأهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لأهل السعاية وإليه بالإشارة بقوله عليه السلام: يا أبا جحيفة سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء، فالعالم يدلك بالعلم من الأسماء ونهايته الجنة، والحكيم المقرب يحملك باليقين وبالحقائق من الصفات ونهايته منازل القربة، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[1] والكبير يدلك بالأسرار من الوجود عل كبير الصفاء والنزاعة ونهايته الله .

وتجتمع المراتب الثلاث فى الكبير، فيحمل قوماً بالعلم وقوماً بالحائق وقوماً بالأسرار وهم الأنبياء وإبدال الرسل وهو البصراء ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[2] أى: على معاينة بعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها وهى النيابة، وأما هو فقد انفرد بحالة لا تعرف لعظيم قربه:

وغنى لى منى قلبى وغنيت كما غنى   وكنا حينما كانوا . وكانوا حينما كنا

وقال ﷺ: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، ولله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه إذا هداه لها ووفقه للقيام بها، ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار والتوبة، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضى رضى النفس عن الشهوات، والصبر مشتق من الاصبار وهو الفرض للسهام، وكذلك الصابر ينصب نفسه

---

[1] (المائدة: ٣٥)

[2] (يوسف: ١٠٨)

غرضاً لسهام القضاء، فإن ثبت لها فهو صابر، والصبر ثبات القلب بين يدى الرب، قال ﷺ { من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وعمل فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون }[١] أى: لهم الأمن فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا .

وقال ﷺ: الناس على قسمين: قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله، وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله، قال الله ﷻ ﴿ يجتَبى إليهِ من يَشاءُ ويَهْدِى إليهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٢] ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه فصار يطوى مهمها نفسه ويبدأ طبعه إلى أن وصل إلى حضرة ربه يصدق على هذا قوله ﷻ ﴿ والَّذينَ جَاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا ﴾[٣] .

ومن الناس من فجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد، ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾[٤] والأول: حال السالكين، والثانى: حال المجذوبين، فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة، ومن كان مبدؤه المواصلة رد إلى وجود المعاملة، ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله فسلكها مسرعاً إلى الله عجلاً، وكثيراً ما تسمع عند مراجعات المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف الطريق وتوصل إليه، والمجذوب ليس كذلك، وهذا بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له، وليس الأمر كما زعموا، فإن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه، ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه، وإنما فاته متاعبها وطول أمدها، والمجذوب كمن طويت له الأرض إلى مكة، والسالك كالسائر إليها على أكوار المطايا .

وقال ﷺ: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه .

وقال ﷺ: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا .

وقال ﷺ: الزاهد غريب فى الدنيا لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب فى الآخرة فإنه عند الله، فإن قلت ما معنى الغربة فى كلام الشيخ هذا؟ وما معناها فى الحديث الوارد { بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء } فاعلم أن الغربة المذكورة فى الحديث معناها قلة من يعين على القيام بالحق فيكون القائم به غريباً لفقدان المساعدة وعدم

---

(١) انظر المعجم الكبير (١٣٨/٧) رقم (٦٦١٣) من حديث سخبرة بزيادة فى لفظه { ثم سكت فقالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } وانظر فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (١١٠/١٠) رقم (٥٣٢١) وقال ابن حجر: أخرجه الطبرانى بسند حسن .

(٢) (الشورى: ١٣)

(٣) (العنكبوت: ١٩)

(٤) (البقرة: ١٠٥)

المعارضة، ولا ينهض القائم حينئذ إلا قوة إيمانه ووفور بقائه، فلذلك قال رسول الله ﷺ الحديث السابق، يريد الرسول ﷺ لأنهم قاموا بأمر الله فى بلاده وعباده حيث تقاعدت همم الناس عن القيام به .

وأما الغربة فى كلام الشيخ فمعناها: أن الزاهد يكشف عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه، فيكون غريباً فى الدنيا، إذا ليست وطناً لقلبه عاين الدار الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فاستغرب فى هذا الدار .

وأما العارف: فإنه غريب فى الآخرة فإنه كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هنالك فصار غريباً فى الآخرة لأن سره مع الله بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ فى اليقين، فلم ينزلوا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة ولا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله وآداب رسله وأنبيائه متأدبين، وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين .

وقال ﷺ: الخوف على قسمين: ١ ـ خوف العامة ٢ ـ خوف الخاصة .

فخوف العامة: على أجسادهم من النار، وخوف الخاصة على خلعهم التى كساهم الله أن تدنس بالمخالفة، ومعنى كلام الشيخ هو: أن العامة لم تنفذ بصائرهم إلى شهود خلع الحق عليهم من إيمان وإسلام، ومعرفة وتوحيد ومحبة وعلموا أن الله تعالى قد توعد أهل معصيته بعقوبته فخافوا من الوقوع فى المعصية لئلا يكون ذلك سبب وقوع العقوبة بهم فكان خوفهم إشفاقا على نفوسهم من عقوبة الله .

وأما أهل الخصوصية فأعطاهم الحق من نوره ما أشهدهم به ما كساهم من خلع منه، فعملوا على صيانتها ليقدموا عليه بها لم تتدنس ولم تتغير طاهرة نقية مشرقة بهية، وفهموا معنى قوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾[1] فطهروا ملابس إيمانهم وإيقانهم من دنس غفلتهم وعصيانهم، وفهموا أيضاً قوله تعالى ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾[2] فعبروا الدنيا وقد رفعوا ملابسهم المنن خشية أن تدنس بأوساخهم كى يقدموا عليه بخلعه التى أنعم الله بها عليهم وينهضوا، له بالوفاء

---

(١) (المدثر: ٤)

(٢) (الأعراف: ٢٦)

فيما اقتضى منهم، وبالإمامة والصيانة فيما استأمنهم، وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه … فقلت خلعة ساق حبه جرعاً
فقر وصبرهم ثوبان تحتهما … قلب يرى ألفه الأعياد والجمعا
العيد لى مأتم إن غبت يا أملى … والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به … يوم التزاور بالثوب الذى خَلَعَا

وقال ﷺ: العامة إذا خافوا أخافوا، وإذا رجوا رجوا، والخاصة متى خافوا رجوا، ومتى رجوا أخافوا، ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الأمر، فإذا خوفوا خافوا إذا ليس لهم نفوذ إلى ما وراء خوفهم، وما به خوفوا أوصاف المرجو الذى لا ينبغى أن يقنط من رحمته ولا أن يؤنس من منته، فاحتالوا على أوصاف كرمه علماً منهم أنه ما خوفهم إلا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك إليه، وإذا رجوا أخافوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء رجالهم وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبار لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ إلى ما بطن فى مشيئته، فلذلك استثار الرجاء خوفهم فى القبض والبسط، كما قال الشيخ فى الخوف والرجاء، غير أن البسط مذلة أقدام الرجاء فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجأهم، قال بعضهم: فتح لى باب من البسط فانبسطت، فحجبت عن مقامى ثلاثون سنة .

وكان الشيخ أبو العباس ﷺ ينشد شعراً:

واقطع السير إليه وميلاً … فإذا ما نلت منه وصولا
فاقرع الباب قليلاً قليلاً … واحذر البسط ونادى يا مجيب
من على بعد ينادى من قريب

فقوله: واحذر البسط لما قدمناه فإنه رزق من الأنوار ببسط فيخش على العبد أن يبغيه وجوده، قال الله سبحانه ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾[1] .

والقبض أقرب إلى وجود السلامة لأنه وطن العبد إذا هو فى أسر قبضة الله وإحاطة الحق محيطة به، ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه؟ والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار إذا هى وطن التكليف وإبهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى .

---

[1] (الشورى: ٢٧)

وأخبرنى بعض الصوفية قال: رأى شيخنا شيخه فى المنام بعد موته مقبوضاً فقال له: يا أستاذ مالك مقبوضاً؟ قال له: يا بنى القبض والبسط مقامان من لم يوفهما فى الدنيا وفاهما فى الآخرة، وكان هذا الشيخ الغالب عليه فى حياته البسط، وقوله من على بعد، أى: بعد شهود عدم استحقاق الإجابة أو من على بعد من دعوى لا صاف الربوبية أو من على بعد بوجود شهود الإساءة .

وقال الشيخ أبو الحسن: ما طلبت من الله حاجة إلا قطعت إساءتى أمامى، فإن قلت فحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار، فقالوا ليذكر كل واحد منكم أرجى عمله، ذكر أحدهم بره بأبويه، والآخر عفافه عن ابنة عمه مع حبه إياها والتمكن منها، وذكر الآخر تثميره لأجر أجير إلا أجره، فلما وجده دفع ذلك كله إليه فكشف الله ما أنزل بهم وزالت الصخرة عن فم الغار فخرجوا، وهذا معنى الحديث مختصراً رواه مسلم والبخارى فى صحيحيهما وغيرهم من الأئمة .

فاعلم أن هؤلاء الثلاثة لم يذكر طاعتهم إلا وقد شهدوها فضلاً من الله عليهم فتوسلوا إلى نعمته كما أخبر الله عن ذكريا بقوله تعالى ﴿ ولَم أكُن بدُعائِك رَبِّ شَقِيًّا ﴾[1] فتوسل إلى الله بسابق حسن عوائده فيه .

وسألت امرأة بعض الملوك فقالت: إنك أحملت إلينا أول عام، ونحن محتاجون إلى إحسانك إلينا العام، فقال: أهلا عن توسل لإحساننا بإحساننا وأعطاها وأجزل لها العطاء، ومن فتح له هذا الباب جاز له الإخبار بطاعته ووجود معاملته لأنه حينئذ متحدث بنعم الله سبحانه .

وقد كان بعض السلف يصبح فيقول: صليت البارحة كذا كذا ركعة وتلوت كذا كذا سورة، فيقال له: أما تخشى من الرياء؟ فيقول: ويحكم وهل رأيتم من يرائى بفعل غيره وكان يفعل مثل ذلك، فيقال له: لما لا تكتم ذلك؟ فيقول: ألم يقل الحق سبحانه ﴿ وأمَّا بنعمَةِ ربِّك فَحدِّثْ ﴾[2] وأنتم تقولون لا تحدث .

وقال ﷺ: كان الإنسان بعد أن لم يكن وسيفنى بعد أن كان من كلا طرفيه عدم فهو عدم، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن الكائنات لا يثبت لها رتبة الوجود المطلق، لأن الوجود الحق إنما هو لله وله الأحدية فيه، وإنما للعوام الوجود من حيث أثبت لها، فاعلم أن من

---

(١) (مريم: ٤) (٢) (الضحى: ١١)

الوجود له من غيره، فالعدم وصفه فى نفسه .

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ: الصوفى من يرى الخلق لا موجودين ولا معدمين، حسب ما هم فى علم رب العالمين .

وقال أيضاً: وقد تقدم إنا لا نرى أحد من الخلق هل فى الوجود أحد سوى الملك الحق، وإن كان لا بد فكالهباء فى الهواء، إن فتشته لم تجد شيئاً، وفى كتاب الحكم من كلامنا العوالم ثابتة بإثباته، ممحوة لأحدية ذاته .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: كان لى صاحب كثيراً ما يأتينى بالتوحيد، فقلت له: إن أردت التى لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجوداً والجمع فى باطنك مشهوداً، وأشبه شىء بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجود الظلال، والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود، ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم، وإذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر، إذا الشىء إنما يشنع بمثله ويضم إلى شكله كذلك أيضاً من شهد ظلية الآثار لم تعوقه عن الله، فإن ظلال الأشجار فى الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار، ومن هاهنا يتبين لك أيضاً أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب إليك منه لا شىء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب، فما حجبك عن الله وجود موجود معه، إذ لا موجود معه، وإنما حجبك عنه توهم وجود معه، وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الريح فى كوة هناك فظنه زئير الأسد فمنعه ذلك عن البراز، فلما أصبح لم يجد هناك أسداً، وإنما الريح تكثف فى تلك الكوة، فما حجبه وجود أسد وإنما حجبه توهم الأسد .

وسمعته يقول: لو عذب الله الخلق أجمع لم ينالك من عذابهم شىء ولو نعمهم أجمع لم ينالك من نعيمهم شىء، فكأنك فى الوجود وحدك، ثم أنشد شعراً:

أنت المخاطب أيها الإنسان فاجنح إلى يلح لك البرهان

وسمعته يقول دخلت على الشيخ وفى نفسى أن آكل الخشن وألبس الخشن، فقال لى: يا أبا العباس أعرف الله وكن كيف شئت .

ودخل على الشيخ أبى الحسن فقيراً عليه ملابس شعر، فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأمسك ملابسه وقال: يا سيدى ما عبد الله بهذا اللباس الذى عليك، فأمسك الشيخ ملابسه فوجد خشونته وقال: ولا عبد الله بهذا اللباس الذى عليك، لباسى أنا غنى

عنكم فلا تعطونى، ولباسك يقول أنا فقير إليكم فأعطونى، وهكذا طريق الشيخ أبى العباس ﷺ وشيخه أبى الحسن، وطريقة أصحابهما الإعراض عن لبس ثرى ينادى على سر اللابس بالإفشاء ويفصح عن طريقه بالإبداء، ومن لبس الزى فقد ادعى .

ولا تفهم، رحمك الله، أنا نعيت بهذا القول على من لبس نرى الفقراء، بل قصدنا إنه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقول أن يلبس ملابس الفقراء، فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس إذا كان من المحسنين ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [1] وأما لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهى وشرب الماء البارد فليس القصد إليه بالذى يوجب العتب من الله إذا كان معه الشكر لله .

وقد قال الشيخ أبو الحسن: يا بنى برد الماء، فإنك إن شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله، تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب كل عضو فيك بالحمد لله، والأصل فى هذا قوله ﷺ حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾[2] ألا ترى كيف تولى إلى الظل قصد الشكر لله على ما يناله من النعمة .

وسمعته يقول: اختلف الناس فى اشتقاق كلمة الصوفى، فمنهم من قال هو منسوب إلى الصوف لأنه لباس الصالحين، وقيل هو منسوب إلى الصفة يعني: صفة مسجد رسول الله ﷺ التى نسب إليها أهل الصفة وهو نسب على غير قياس، ثم قال: وأحسن ما قيل فيه أنه منسوب لفعل الله به أى: صفاه الله فصوفى، فسمى صوفياً، ثم أنشد شعراً

تخالف الناس فى الصوف واختلفا وكلهما قال قولاً غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

وسمعته يقول الصوفى مركب من حروف أربعة الصاد والواو والفاء والياء، فالصاد: صبره وصدقه وصفاؤه، والواو: وجده ووده، والفاء: فقده وفقره وفناؤه، والياء: ياء النسبة إذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة مولاه .

وسألته ﷺ عن قول عيسى عليه السلام ((يا بنى إسرائيل بحق أقول لكم لا يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين)) فقال ﷺ: أنا والله ممن ولد مرتين، الإيلاد الأول إيلاد الطبيعة، والإيلاد الثانى إيلاد الروح فى سماء المعارف .

---

(١) (التوبة: ٩١)
(٢) (القصص: ٢٤)

وسمعته يقول: ولن يصل الولى إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى

وقال الشيخ أبو الحسن: ولن يصل الولى إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته، ومعنى كلام الشيخ أنه لن يصل الولى إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله، أى: انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض إلى الله، وشهود حسن الاختيار منه فيلقى القياد إليه، ويترك نفسه سلماً بين يديه، فلا يختار مع مولاه شيئاً لعلمه بما فى الاختيار مع الله من الآفات، ولنا فى هذا المعنى من قصيدة ذكرناها فى كتاب (التنوير):

وكن عبده والق القياد لحكمه ... وإياك تَدْبيراً فما هو نافع
أتحكم تدبيراً وغيرك حاكماً ... وأنت لأحكام الإله تنازع
فمحو ارادات وكل مشته ... هو الغرض الأقصى فهل أنت سامح
كذلك سار الأولون فأدركوا ... على أثرهم فليس من هو تابع

وقال ﷺ: اعلم أن الله خلق الآدمى وقسمه على ثلاثة أجزاء: لسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء، وجعل على كل جزء حفيظاً، فقال تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[1] وتولى حفظ القلب بنفسه فقال جل شأنه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[3] وسلط على الجوارح الشيطان، واقتضى من كل جزء وفاء ما ألزم به، فوفاء القلب: أن لا ينشغل بهم الدنيا ولا بمكر ولا حسد، ووفاء اللسان: أن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكلم إلا بما يعنيه، ووفاء الجوارح: أن لا يسارع بها إلى معصية ولا يؤذى أحد من المسلمين، فمن وقع من قلبه فهو منافق، ومن وقع من لسانه فهو كافر، ومن وقع من جوارحه فهو عاص .

وقال ﷺ: صلاح العبد فى ثلاثة أشياء: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة الدنيا، فمن عرف الله خاف منه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف النفس تواضع لعباد الله.

وقال ﷺ: قال لى شيخى: لا تصحب إلا من يكون فيه أربع خصال: الجود فى القلة، والصفح عن الظلمة، والصبر على البلية، والرضى بالقضية .

---

(١) (ق: ١٨)
(٢) (يونس: ٦١)
(٣) (البقرة: ٢٣٥)

وقال ﷺ: من اشترى زيتاً من بياع، فلما فرغ قال: زدنى قليلاً فزاده البياع خيطاً من زيت، فدينه أرق من ذلك الخيط، ومن اشترى فحماً فلما فرغ قال: زدنى فزاده: فقلبه أسود من تلك الفحمة .

قال ﷺ: الناس على ثلاثة أقسام: قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم فهم فى الجنة قطعاً، وقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا يدخلون النار قطعاً، وقوم غلبت سيئاتهم على حسناتهم فلا يخلدون فى النار قطعاً .

وقال ﷺ: الدخول فى الجنة بالإيمان، والخلود فيها بالنية، والدرجات فيها بالأعمال، والدخول فى النار بالشرك، والخلود فيها بالنية، والدرجات فيها بالأعمال .

وقال ﷺ: لا يدخل على الله إلا من بابين من باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعى، أو من باب الفناء الذى تعنيه هذه الطائفة .

وقال ﷺ: الكائنات على أربعة أقسام: جسم كثيف، وجسم لطيف، وروح شفاف، وسر غريب، فالجسم الكثيف بمجرده إنسان، والجسم اللطيف بمجرده جان، والروح الشفافة بمجرده ملك، والسر الغريب هو معنى المسجود له، فالآدمى بظاهر صورته جماد، وبوجود نفسه وتخيلها وتشكلها جان، وبوجود روحه ملك، وأعطى زائدا على ذلك السر الغريب، فلذلك استحق أن يكون خليفة .

وقال ﷺ : ليس العجب ممن تاه فى نصف ميل أربعين سنة، إنما العجب ممن تاه فى مقدار شبر ستين أو سبعين سنة وهى البطن .

وقال ﷺ: الأدنى يشرف على الأعلى ولا يحيط به والأعلى يحيط بالأدنى، فالأولياء لهم أشراف على مقامات الأنبياء، وما لهم الإحاطة بمقاماتهم، والأنبياء يحيطون بمقامات الأولياء .

وقال ﷺ: فى قوله بعض السلف [لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً]، أى: لو كشف الغطاء للنفس لم أزدد يقيناً فيما طالعه القلب .

وقال ﷺ: جميع أسماء الله تعالى إذا أسقطت منه حرفاً أذهبت دلالته على الله كالعليم والقادر والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى، إلا اسمه الله فإنك إذا أسقطت الألف بقى (لله) وإذا أسقطت اللام الأولى بقى (له) وإذا أسقطت اللام الثانية بقى (هو

) وهو النهاية فى الإشارة، وأنشد الحسين بن منصور الحلاج شعراً:

أحرف أربع بها هام قلبى وتلاشت بها همومى وفكرى
ألف ألف الخلائق بالصنع ثم لام على الملامة تجرى
ثم لام زيادة فى المعانى ثم هاء بها أهيم تدرى

وقال ﷺ: كشف لى عن أرواح الصديقين صاعدة نحو الملأ الأعلى فإذا (على) يقال لى:

وما جنبت خيلي ولكن تذكرت مرابضها من بر تعيض ومبصراً

أى: أنها ما فرت جبناً من الخلق ولكنها تذكرت أوطان تعريف .

وقال ﷺ: الوحى إلقاء معنى فى خفاء .

وقال ﷺ: جميع أسماء الله للتخلق إلا اسمه الله، فإنه للتعلق، ومعنى كلام الشيخ هذا: إنك إذا ناديته يا حليم خاطبك من اسمه الحليم أنا الحليم فكن عبداً حليماً، وإذا ناديته من اسمه الكريم ناداك من اسمه الكريم: أنا الكريم فكن عبداً كريماً، وكذلك فى سائر أسمائه إلا اسم الله فإنه للتعلق فحسب إذ مضمونه الإلهية، والإلهية لا يتخلق بها أصلاً .

وقال ﷺ: السماء عندنا كالسقف والأرض كالبيت، وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت .

وقال ﷺ: نحن فى الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا، وسنكون فى الآخرة بأرواحنا مع وجود أبداننا، وسمعته يقول: الفرق بين معصية المؤمن ومعصية الفاجر من ثلاثة وجوه: المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها، ولا يفرح بها وقت الفعل، ولا يصر عليها بعد الفعل، والفاجر ليس كذلك .

وقال ﷺ لبعض أصحابه: ليكن ذكرك الله فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمرة وبساطه العلم وثمرته النور ثم النور ليس مقصوداً لنفسه، وإنما يقع الكشف والعيان .

وجاءه رجل فقيل له: يا سيدى هذا فتى، فقال: الشيخ: أنت فتى؟ قال: نعم، فقال الشيخ: ما تدرى ما الفتوة، لييست الفتوة الماء والملح وإنما الفتوة الإيمان والهداية، قال ﷻ ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[1] والفتى كما قال الله عن إبراهيم

---

[1] (الكهف: ١٣)

﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فسمي فتى لأنه كسر الأصنام، فهو فتى الخليل عليه السلام وجد أصناماً حسية فكسرها، وأنت لك أصنام معنوية فإن كسرتها كنت فتى ولك أصنام خمسة: النفس، والهوى، والشيطان، والشهوة، والدنيا، فإن كسرتها فأنت الفتى، وافهم هاهنا لا سيف إلاذى الفقار، ولا فتى إلا (على) .

وسئل رضي الله عنه: لم بدأ صاحب الرسالة إبراهيم بن أدهم دون غيره، وربما كان غيره متقدماً عليه في التاريخ؟ فقال الشيخ رضي الله عنه: لأن إبراهيم كان من ملوك الدنيا، فأصبح وهو كذلك فجاء وقت الظهر وهو من كبار الأولياء، فبدأ به صاحب الرسالة ليعلم أن فضل الله ليس بعمل .

وقال رضي الله عنه: عبد هو في الحال بالحال، وعبد هو في الحال بالمحول، فالذي هو في الحال بالحال: عبد الحال، والذي هو في الحال بالمحول: عبد المحول، وإمارة من هو في الحال بالحال أن يأسي عليها إذا فقدها ويفرح بها إذا وجدها، والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح إذا وجدت ولا يحزن عليها إذا فقدت، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن من تحقق بالله ملك الأشياء ولم تملكه فيصير الحال قهر تصريفه، وإنما يكون ذلك الرجل لرسوخه في العلم بالله، والعلم حاكم على الحال وبه يوزن، والحال إنما هو فرع من فروع العلم، والعلم قار ثابت، والحال لا بقاء لها ولذلك قالوا:

لو لم تحل ما سميت حالاً ... وكلما حال فقد زالا

انظر إلى الظل إذا ما انتهى ... يأخذ في النقص إذا مالا

والأكابر ملكهم الله أحوالهم وجعلهم حاكمين عليها، ومن هنا لما قيل للجنيد رضي الله عنه: ما لنا نرى المشايخ يتحركون في السماع وأنت لا تتحرك، فقال ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾[1] وقيل لبعضهم: مالك لا تتحرك في السماع، فقال: إنه إذا كان في الجمع كبير احتشمت منه فأمسكت على وجدى، فإذا خلوت وحدى أرسلت على وجدى فتواجدت . فانظر كيف كان زمام حاله يمسكها إذا شاء ويطلقها إذا اتسع القلب بمعرفة الله غرقت فيه الواردات، وإنما يبدأ أثر الحال على من ضاق عن وسعها، والعارف له وسع المعرفة، فإذا ورد الوارد عليه غرق في وسع معرفته وهل رأيت بحراً فاض بمطر سحاب، ولهذا جهلت أحوال الأكابر أرباب المقامات، واشتهر أهل الأحوال لظهور

---

(1) (النمل: ٨٨)

آثار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها ولضيقهم عن وسعها، فربما كان صاحب الحال أحظى بإقبال الخلق من صاحب المقام، وبينه وبينه مثل ما بين السموات والأرض، وكلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية والمعارف الربانية استغرب في هذا العالم فيقال: من يعرفه ويفقد من يحيط فيصفه .

وقال ﷺ: كل سوء أدب يثمر لك أدبا فهو أدب .

وقال ﷺ: المؤمن لا يرضى عن نفسه بالخير إذا كان فيه لأن فوق الخير خيرات أتراه يرضى بالشر .

وقال ﷺ: كان الجنيد قطباً في العلم، وكان سهل بن عبد الله التسترى قطباً في المقام، وكان أبو يزيد البسطامى قطباً في الحال .

وقال ﷺ: اللطف حجاباً عن اللطيف، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن اللطف إذا ورد كان في الدائر النفسانية تلقته النفس بالبشاشة والفرح، وإذا كان في الدائرة المعنوية تلقته الروح بالمحبة والمتعة، ويقع الميل ويكون عن الميل السكون، ويكون مع السكون الأنس بالمسكون، أى: والله لا يحب لك أن تسكن لغيره ولا أن تأنس بشيء دونه . فلذلك قال الشيخ: اللطف حجاب عن اللطيف إلى السكران إليه والإقامة عنده، وهذا كما تقدم عن الشيخ أبى الحسن أنه دخل على بعض الرجال فقال له: كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم، كما تشكو إليه من حر التدبير والاختيار، فقال له الشيخ: أما شكوى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته، وأما شكواك من برد الرضى والتسليم فكيف؟ فقال: أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله.

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى نعم العبد نوح لولا أنه يسكن لنسيم الأسحار ومن عرفنى لا يسكن لغيرى .

وكان عندنا بالأسكندرية امرأة عارفة بالله أخبرتنى أنها سمعت يقال لها: أعوذ بك من النور وفتنته ومن الغيب وتلقنه، وأخبرتنى أيضاً قالت: كنت أمشى بالأسكندرية وإذا بناس في لهوهم وطربهم، فقلت في نفسى هؤلاء في فرح ومسرة وحكم الله من ورائهم ونحن في مقاساة النوازل وقهر الأحكام، فإذا (على) يقال لى: ليس الحضرة والأدب كأهل الطيبة والطرب .

وأخبرتنى أيضاً قالت: كنت إذا كنت في حضرة أو موقف وأرادنى زوجى ليقضى إربه لا أمنعه ولا يستطيع ذلك كلما أراد منى أمراً عجز عنه حتى يضيق خلقه ويقول: ما

هـذه إلا حسرة، هذه الشابة فى حسنها بين يدي لا تمتنع عنى ولا أصل إليها، فتقول له: فـى ذلـك الوقت من هو الرجل فينا ومن هى المرأة فينا، ثم قالت: إذا كان وقت ستر أمكنه ما يريد .

وقـال الواسطى: استحلاء الطاعات سموم قاتلة، وصدق ﷺ، وأقل: ما فى ذلك أنك إذا فـتح لـك بـاب حـلاوة الطاعة تصير قائماً فيها متطلباً لحلاوتها فيفوتها صدق الإخلاص فـى نهوضـك لهـا وتحـت دوامها لا قياماً بالوفاء ولكن لما وجدت فيها من الحلاوة والمتعة، فـتكون فـى الظاهـر قائمـاً لله وفـى الـباطن إنمـا قمت لحظ نفسـك، ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته فى الدنيا، فتأتى يوم القيامة ولا جزاء لك .

وقـال ﷺ: لـما قرأت عليه كتاب (الحقائق للسلمى) فقال فيه: انتهى عقل العقلاء إلى الحـيرة، فقـال الشـيخ عـن الشـيخ أبـى الحسـن ﷺ: ولا حيرة عند المحققين فيما فيه الحيرة عند المؤمنين .

وقـال ﷺ: الـناس عـلى ثلاثـة أقسـام: عـبد وهـو بشـهود ما منه إلى الله، وعبد هو بشـهود مـا مـن الله إليه، وعبد وهو بشهود ما من الله إلى الله، ومعنى كلام الشيخ هذا: أن مـن الـناس مـن يكـون الغالـب عليه شهود تقصيره وإساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعـالى وتلازمـه الأحزان وتحالفه الأشجان ويستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف لـه مـن نفسـه عـن أوصـاف سـوء، وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله إليه من الفضل والإحسـان والجـود والامتـنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله، قال الله ﷻ ﴿ قُلْ بِفَضْـلِ اللّـهِ وَبِرَحْمَـتِهِ فَـبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1] فالأول هو حال الزهاد والعـباد، والـثانى حـال أهـل العـناية والوداد، الأول شأن أهل التكليف، والثانى شأن أهل الـتعريف، الأول حـال أهـل الـيقظة، والـثانى حـال أهـل المعـرفة، فلذلـك قـال الشيخ أبو الحسـن: العـارف مـن غرق شدائد الزمان فى الألطاف الجارية من الله عليه، وغرق إساءته فى إحسان الله إليه . قال تعالى ﴿ فاذكرُوا آلاءَ الله لعَلَّكم تُفْلحُونَ ﴾[2].

وقـال أيضـاً قليل العمل مع شـهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير مـن الـنفس، وقال بعض أهل المعرفة: لا يخلوا شـهود التقصير من الشرك فى التقدير، وقال الشـيخ أبـو الحسـن قـرأت ليلة من الليالى ﴿ قلْ أعُوذ بربِّ النَّاس ﴾[3] حتى ختمتها فقيل

---

(١) (يونس: ٥٨) (٢) (الأعراف: ٦٩)
(٣) (الناس: ١)

لى: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك، ينسيك الطاقة الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة، ويقبل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عند حسن الظن بالله ورسوله إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذر هذا الباب، فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد، ولذلك قل أن تجد الزاهد والعابد لامكموداً حزيناً لأنه علم أن الله طالبه بالعبودية وحمله أعباءها وألزمه ما أشفقت السموات والأرض والجبال من حمله، قال الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الأَنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[1]

فعاين الزهاد ثقل ما حملوه ولم ينفذوا إلى شهود لطف الله الحامل للأثقال عن عباده المتوكلين عليه، فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة، بالله علموا أنهم حملوا من التكليف أمراً عظيما، وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا إلى نفوسهم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[2] وعلموا أنهم إذا رجعوا إلى الله حمل عنهم ما حملهم، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[3] .

فرجعوا إليه بصدق الرجعى فحمل الأثقال عنهم فساروا إلى الله محمولين فى محفات المنن عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا إلى الله لأثقال التكاليف حاملين تلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فإذا شاء أدركهم بلطفه فأخذ بأيديهم من شهود معاملتهم إلى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الأوقات وأشرقت فيهم العنايات .

وأما القسم الثالث وهم الذين مع الله بشهود ما من الله إلى الله: فهؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون إلى ميادين التفريد رأوا أهل القسم الأول، وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم إلى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وإن خرجوا عن ظاهره لأنهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم وإساءتهم، فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا لها بالتوبيخ إذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذى سبق قوله: لا يخلوا شهود التقصير من الشرك فى التقدير، فإن قلت إذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة شرك فكيف تصنع؟ والله قل ذم النفس وأمرنا بتوبيخها إذا قصرت ووبخها هو إذا كانت كذلك.

فالجواب: أن ذمها لأن الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف إليها فعلاً تراها هى الفاعلة له، وأما القسم الثانى وهو الذى بشهود ما من الله إليه: فهو

---

(١) (الأحزاب: ٧٢)
(٢) (النساء: ٢٨)
(٣) (الطلاق: ٣)

وإن كان خيراً من القسم الأول لكنه ما سلم من إثبات لنفسه إذا رأى نفسه مهداة آتيها هدايا الحق، فلولا إثباته لنفسه ما شهد ذلك، فلأجل هذين المعينين أثر أهل الله القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله إلى الله، فافهم .

وقال ﷺ: العارف إذا خوف خاف، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾[1] يريد الشيخ ﷺ أن العارف لا يقطعه نظره إلى فضل الله عن شهود عدله ولا يحجبه شهود لطفه عن خوف ما بطن فى مشيئته . ويجب أن تعلم أن أهل المعرفة فى نهايتهم ربما التبس حالهم بأهل البدايات فى بداياتها، فإن المريد فى مبدأ إرادته تؤثر فيه المخاوف لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه، فإذا تحقق فناؤه لم تؤثر فيه الواردات ولم يدخل تحت حكم العادات، فإذا رد إلى حالة البقاء أثرت الأشياء فيه كحاله فى بدايته لقوله تعالى ﴿ مِنها خَلَقنَاكُم وفِيها نُعِيدُكُمْ ﴾[2]

فنجد المريد يخوف، فيخاف، والعارف يخوف فيخاف وليسا وإن استويا فى الظاهر سواء، فخوف المريد لأجل حجته، وخوف العارف لكمال معرفته، ومن هنا لا نفضل عبداً واثقاً بلطفه ومنته على خائف من غيب مشيئته، وكذلك لا نفضل عبداً وقف مع ظاهر الوعد على عبد رد إلى وجود الأزلية فاقتطع عن الوقوف مع الوعد الجميل والنعيم ورد إلى ما سبق فى القدم .

وقد جاء أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر ورفع يديه إلى السماء { اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد }[3] وما زال يناشد ربه حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال أبو بكر ﷺ [يكفيك مناشدتك لربك يا رسول الله فإنه منجز لك ما وعدك] فالرسول ﷺ علمه بالله كان بشهود المشيئة، وأبو بكر كان بشهود الوعد الجميل، فالرسول ﷺ علم ما علمه أبو بكر من الوعد الجميل، كيف والوعد إنما وصل لأبى بكر على يد رسول الله ﷺ غير أنه سلك الله به المسلك الأتم من الرجوع إلى المشيئة التى لا تتوقف على شىء، ويتوقف عليها كل شىء .

---

(١) (الشعراء: ٢١) (٢) (طه: ٥٥)

(٣) أخرجه ابن حجر فى الفتح (٦/٤٣٦) رقم (٣٢٢١) ومسلم فى صحيحه (٣/١٣٨٣) رقم (١٧٦٣) والجامع الصحيح سنن الترمذى (٥/٢٦٩) رقم (٣٠٨١) والسنن الكبرى (٥/١٨٧) رقم (٢٦٢٨) بزيادة: { التفت إلينا وكأن شقة وجهه القمر فقال هذه مصارع القوم العشية } وانظر المعجم الكبير (١٠/١٤٧) رقم (١٠٢٧٠) والمنتخب من مسند عبد بن حميد ص ٤١ رقم (٣١) وتذكرة الحفاظ (٢/٤٥٢) رقم (٤٧٩٣) وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١١/١١٤) رقم (٤٧٩٣) والإصابة فى تمييز الصحابة (٢/٢٩٨) والثقات (١/١٣١) .

وقال ﷺ: ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان، إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه، فإذا هو عند ربه .

وقال ﷺ عن شيخه: خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله .

وقال ﷺ عن شيخه: من لم يتغلغل فى هذه العلوم مات مصراً على الكبائر وهو لا يعلم .

وسمعته يقول عن شيخه: كل شيء نهاك الله عنه فهو شجرة آدم، لما أكل من الشجرة نزل إلى الأرض للخلافة، وأنت إذا أكلت من شجرة النهى تنزل، لماذا تنزل إلى الأرض القطعية .

وقال ﷺ: كان ببلاد المغرب ولى من الأولياء يتكلم على الناس، وكان بادياً، فجلس يوماً يتكلم على الناس، فقال له رجل مكشوف الرأس: كبيرنا هذا يزهدنا فى الدنيا وهو كالدب، فكوشف به الشيخ فقال من فوق المنبر: يا أبا رويس ما سمتنى الأحبة ثم أنشد شعراً:

وقائل لست بالمحب ولو ... كنت محباً لذبت مذ زمن
أحببته والفؤاد فى حرق ... لم تذق الحب كيف تعرفنى
أحب قلبى وما درى بدنى ... ولو درى ما أقام فى السمن

وقال ﷺ: عزم إنسان على الشيخ أبى الحسن ﷺ فأتى إليه وأصحابه معه، فلما أكلنا عزمنا على الخروج ولم نشرب فقال: يا بخلاء من بخل الصوفى أن يأكل ولايشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ { من سقى مؤمناً شربة ماء مع وجود الماء كان كمن أعتق سبعين من ولد إسماعيل } ثم قال الشيخ: إذا أكلتم طعام إنسان فاشربوا عنده حتى ينال هذا الأجر العظيم .

قال ﷺ: دخلت يوماً على الشيخ أبى الحسن ﷺ فقال: إن أردت أن تكون من أصحابى فلا تسأل أحداً، وإن أتاك شيء من غير المسألة فلا تقبله، فقلت فى نفسي: كان النبى ﷺ : يقبل، وقال: ما أتاك غير مسئلة فخذه، فقال الشيخ: كأنك تقول كان النبى ﷺ يقبل الهدية، وقال: ما أتاك من غير مسألة فخذه، النبى ﷺ قال الله فى حقه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾[1] متى أوحى الله إليك إن كنت مقتدياً به فى الأخذ فكن مقتدياً به

---

(1) (الأنبياء: ٤٥)

كيف تأخذ، كان النبى ﷺ لا يأخذ شيئاً إلا ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه، فإن تطهرت نفسك وتقدست فاقبل وإلا فلا، وقال لبعض أصحابه: لم تنقطع عنى؟ فقال: يا سيدى استغنيت بك، فقال الشيخ ﷺ: ما استغنى أحد بأحد، ما استغنى أبو بكر ﷺ بالنبى ﷺ ولم ينقطع عنه يوماً واحداً .

وقال ﷺ: إن الله لما خلق الأرض اضطربت فأرساها بالجبال قال الله ﷻ ﴿ والجبال أرساها ﴾[1] كذلك لما خلق الله النفس اضطربت فأرساها بجبال العقل .

وقال ﷺ عن شيخه: الوقت ليل والشأن فى الليل الخمود والسكون حتى تطلع شمس المعرفة ، أو قمر التوحيد أو نجوم العلم فيستضاء بها .

وقال ﷺ: يقول الله ﷻ ﴿ ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغلى بما هو لك عمن أنت له ﴾

وقال ﷺ: الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة، وسمعته يقول: حقيقة النية عدم غير المنوى .

وسمعته يقول: قال عيسى ﷺ ((يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء فمن ينزل به ولا فى الأرض فمن يصعد به تأدبوا بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق النبيين أنبع لكم العلم من قلوبكم ما يغمركم ويغطيكم)) .

وقال ﷺ: نحن إذا أتانا مريد يدله شيء من الدنيا لا نقول له اخرج عن دنياك وتعالى، ولكن ندعه حتى تترشح فيه أنوار المنة فيكون هو الخارج عن الخارج عن الدنيا بنفسه، ومثل ذلك قوم ركبوا سفينة فقال لهم رئيسها غداً تهب ريح شديدة ولا ينجيكم منها إلا أن ترموا بعض أمتعتكم، فارموا بها الآن فلا يسمع أحد قوله، فإذا هبت العواصف كان الكيس من يرمى متاعه بنفسه، كذلك إذا هبت عواصف اليقين يكون المريد هو الخارج عن الدنيا بنفسه .

وكان يحكى عن الشيخ عبد الرازق الولى الكبير ﷺ أن رجلاً من أهل المهدية أتاه فقال الشيخ: أرى عليك أثر نعمة فمن أين أنت وما قصتك؟ فقال: يا سيدى كنت من أكابر المهدية وأعيانها وأكثرها مالاً وعزاً فورد علينا رجل يدعى أنه من الدالين على الله فجئت إليه وأنا متطلع محترق على الوصول إلى الله، فقال لى: إنك لا تصل إلى هذا الأمر حتى

---

[1] (النازعات: ٣٢)

تخرج عن مالك كله وحتى تطلق نساءك بتاتاً وحتى تغير زيك، ففعلت ذلك فما ازداد قلبى إلا قسوة، فضاق صدرى وحرت فى أمرى ولم أطق أن أقيم بالمهدية وقد ذهب ما كنت فيه من المال والجاه ولم أتعوض عن ذلك شيئاً فى باطنى، فجئت إلى هنا قاصداً للحج، فقال الشيخ عبد الرازق: دعوا على غير بصيرة قاتلهم الله امكث عندنا .

فلما جاء أوان الحج أرسله الشيخ مع بعض أهل الأسكندرية فحج، ثم رجع إلى الشيخ بالأسكندرية فلما جاء أوان السفر إلى المغرب قال له الشيخ: اذهب إلى بلدتك فإذا وصلت إليها فإن الناس يسمعون بك ويخرجون إليك مسرعين ويعرضون عليك الملابس والمراكب فخذ أفضلها ملبساً وأحسنها مركباً، وادخل إلى المهدية فما حمل إليك من الدنيا فاقبله، وسيعيد الله لك ما كان لك وأكثر منه وتجد زوجاتك قد طلقهن أزواجهن فراجعهن وتنال من العز والرفعة والغنى أكثر مما كنت فيه، فإذا تكمل لك ذلك كله فتح الله عينى قلبك، قال: فسافر الشيخ وأتى ساحل المهدية، فسمع أن فلاناً أتى من المشرق وليس فى البلدة إلا من له عليه يد ومعروف فخرجوا يهرعون إليه بالملابس السنية والمراكب البهية، فلبس أفضلها ملبساً وركب أفضلها مركباً ودخل المهدية. فأهديت له الهدايا وحملت إليه التحف والأموال ووجد زوجاته وقد طلقهن أزواجهن وانقضت عدتهن فراجعهن فتكمل له جميع ما وعده الشيخ به فى ذلك اليوم، ثم فتح الله عينى قلبه، وتكلم يوماً فى فضائل أبى بكر ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ { ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشىء وقر فى صدره } فقال بعض الحاضرين: المراقبة، فقال الشيخ: هذا كلام فشور، من هو دون أبى بكر الصديق فى الرتبة إذا وجد المراقبة يستغفر الله منها كما يستغفر العاصى من المعصية وذلك أنه أضاف المراقبة لنفسه كأنه يقول أنت الرقيب وأنا الرقيب، قال الله تعالى ﴿ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وقال ﷺ: يوصى بعض أصحابه لما عزم على الحج إذا وصلت إلى البيت فلا يكن همك البيت وليكن همك رب البيت لا تكن ممن يعبد الأوثان والأصنام .

وقال ﷺ: من عرف الله لم يسكن إلى الله لأن فى السكون إلى الله ضرباً من الأمن ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ومثل هذا ما قال الشيخ أبو الحسن ﷺ قيل لى ألا تأمن مكرى فى شىء وإن أمنتك فإن علمى لا يحيط به محيط وهكذا كانوا .

وكان يقول: إن الولى فى فنائه لابد أن يبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب

---

[1] (النمل: ٦٣)

التكاليف وذلك كما يكون الإنسان فى مبيت المظلم فهو عالم بوجوده وإن كان غير شاهد له

وكان يقول: والله ما جلست حتى كان الطيران فى الهواء والمشى على الماء وطى الأرض تحت سجادتى .

وقال ﷺ: وقد قرأت عليه الرعاية للمحاسبى ما فى هذا الكتاب يغنى عنه كلمتان أعبد الله بشرط العلم ولا ترضى عن نفسك بشىء ثم لم يأذن لى فى قراءته بعد .

وسئل ﷺ: عن بعض المشايخ الكائنين فى وقت، فقال: ضيق عليه الورع ونحن وسع علينا بالمعرفة .

وكان يقول فى قول بعض أهل الطريق العارف وسعته المعرفة والورع ضيق عليه المتورع، ألا تظن أن قولهم العارف وسعته المعرفة أن يأكل حراماً أو ما فيه شهبة، ولكن العارف ذو بصيرة منيرة تكشف له ما غطى عن الورع فيمد يده إلى الطعام لعلمه بحله وسلامته من الشبهة على ما أشهدته بصيرته والورع مستورد ذلك عنه، فلذلك ربما مد العارف يده إلى ما قبض المستورع يده عنه .

وكان ﷺ يقول: من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم .

وكان ﷺ يفضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر، وهو مذهب ابن عطاء وأبى عبد الله الترمذى الحكيم، ويقول: الشاكر صفة أهل الجنة والصبر ليس كذلك .

وسمعته يقول القبض على قسمين: قبض له سبب، وقبض لا سبب له، فالقبض الذى لا سبب له يكون للعموم والخصوص، والقبض الذى لا سبب له لا يكون إلا لأهل التخصيص .

قال ﷺ: الشكر انفتاح القلب لشهود منة الرد، يقال: شكر ومقلوبة كشر، يقال كشرت الدابة إذا كشفت عن اسنانها، وقال بعض العارفين لو علم الشيطان طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف فيها، ألا تراه كيف قال ﷻ ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[1] ولم يقل ولا تجد أكثرهم صابرين ولا خائفين ولا راجين .

ولما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين ـ رحمه الله ـ قلت له يجب عليكم الشكر لله فإن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء وانشرحت قلوب الرعايا بكم والرخاء أمر

---

[1] (الأعراف: ١٧)

لا يستطيع الملوك تكسبه ولا استجلابه، كما يتكسبون العدل والجود والعطاء، قال: وما هو الشكر؟ قلت: الشكر على ثلاثة أقسام: شكر اللسان، وشكر الأركان، وشكر الجنان، فشكر اللسان التحدث بالنعمة، قال تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[١] وشكر الأركان العمل بطاعة الله، قال ﷻ ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾[٢] وشكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله، قال تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ [٣].

ومن القسم الأول قال رسول الله { التحدث بالنعم شكر } ومن الثانى أنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه، فقيل له أتتكلف كل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال { أفلا أكون عبداً شكوراً }[٤] ومن الثالث: أنه كان ﷺ إذا أصبح قال { اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك } وهذه الأحاديث لم استحضرها وقت مخاطبتى له، فقال: وما الذى يصير به الشاكر شاكراً؟ قلت له: إذا كان ذا علم، فبالتبيين والإرشاد، وإذا كان ذا غنى فبالبذل والإيثار للعبا، وإذا كان ذا جاه فما ظهار العدل فيهم ودفع الأضرار والإنكار.

وقال ﷺ: إن لله ملكاً يملأ ثلث الكون، وإن لله ملكاً يملأ ثلثي الكون، وإن لله ملكاً يملأ الكون كله، وإن الله ملكاً وضع قدمه فى الأرض ولم يجد أن يضع الثانية، ثم قال: يقول القائل: إذا كان ملكاً يملأ الكون كله، فأين يكون الذى يملأ ثلث الكون؟ والملك الذى يملأ ثلثى الكون؟ فقال ﷺ جواباً عن ذلك اللطائف: لا تتزاحم كمثل سراج أدخلته بيتاً فملأ البيت نوره، ولو أتيت بعد ذلك بألف سراج لو سع ذلك البيت أنوارها.

وسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر { يا أبا بكر أريد أدعوك لأمر } قال: وما هو يا رسول الله؟ قال ﷺ { هو ذاك }.

وسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ { يا أبا بكر أتعلم يوم؟ } قال: نعم يا رسول الله سألتنى عن يوم المقادير. ولقد سمعتك حينئذ وأنت تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

---

(١) (الضحى: ١١) (٢) (سبأ: ١٣)

(٣) (النحل: ٥٣)

(٤) انظر: الجامع الصحيح المختصر (١/٣٨٠) رقم (١٠٧٨) من حديث المغيرة بن شعبة، والجامع الصحيح سنن الترمذى (٢/٢٦٨) رقم (٤١٢) وفى الباب عن أبى هريرة وعائشة قال الترمذى: حديث المغيرة بن شعبة حديث حسن صحيح، والسنن الكبرى (١/٤١٨) رقم (١٣٢٥) والشكر ص ٢٨ رقم (٧٣) والطبقات الكبرى (١/٣٨٣) والعلل الواردة فى الأحاديث النبوية (٨/٢٣) رقم (١٣٨٦) والكامل في الضعفاء (٢/٣٦٨) رقم (٤٩٩) والمجتبى من السنن (٣/٢١٩) رقم (١٦٤٤) والمجروحين من المحدثين (١/١٥٦) رقم (٩٠) والمعجم الصغير (١/١٢٨) رقم (١٩٠) والمعجم الكبير (٢٠/٤١٩) رقم (١٠٠٩) وتاريخ بغداد (٧/١٩٧) رقم (٣٦٦٢) ةابن ماج (١/٤٥٦) رقم (١٤١٩) والبيهقى فى الكبرى (٢/٤٩٧) رقم (٤٢٩٩).

محمد رسول الله .

وقال ﷺ: أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة، وعثمان وعلى خلفاء النبوة .

وقال ﷺ: العامة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى طريق الله جاء من البرارى والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم، وكم من بدل وولى بين أظهرهم لا يلقون إليه بالاً وهو الذى يحمل أثقالهم ويدافع الأغيار عنهم، فمثلهم فى ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به الناس البلدة فيطوف الناس به متعجبين لخطوط جلده وحسن صورته والحمر التى بين أظهرهم وهى التى تحمل أثقالهم لا يلتفتون إليها .

وقال الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس إذا قال أحد فيك ما ليس فيك، فقل: الله يعلم منى ما يعلم،فقد قال تعالى ﴿ وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[1] .

وقال أيضاً: علم الله ما يقال فى أوليائه والصديقين فبدأ بنفسه فقضى على قوم أعرض عنهم فنسبوا إليه الزوجة والولد، فإذا قيل فى صديق إنه زنديق أو قيل فى ولى إنه غافل عن الله غوى، فإن ضاق الولى أو الصديق بذلك ذرعاً قيل له الذى قيل فيك هو وصفك لولا فضلى عليك، وقد قيل فى ما لا يستحقه جلالي .

وقال ﷺ: الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجى ، واعلم أن الله ابتلى هذه الطائفة بالخلق ليرفع بالصبر على أذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم وليحقق الميراث فيهم ليؤذوا كما أوذى من قبلهم فيصبروا كما صبر من، قبلهم ولو كان من أتى بهدى أطباق الخلق على تصديقه هو الكمال فى حقه لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله وحرم من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك، فانقسم العباد فى هذه الطائفة إلى معتقد ومنتقد ومصدق ومكذب وإنما يصدق بعلومهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه أن يلحقه بهم والمعترف بتخصيص الله وعنايته قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكراهية الخلق أن يكون لأحد عليهم شغوف فى منزلة أو اختصاص بمنة ألم تسمع قوله سبحانه ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

ومن أين لعموم العباد أن يعلموا أسرار الحق فى أوليائه وشروق نوره فى قلوب أحبابه؟ وسبب هلاك الهالك بهم؟ أن من أظهره الله منهم لابد وأن يظفره ببواهر المنن وخوارق العادات فيستغرب عقول العموم أن يعطى الله ذلك غير الأنبياء أن تظهر الخوارق

---

(١) (لقمان: ٢٢)　(٢) (غافر: ٥٧)

. ـى ـحل العصمة وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولى فهى معجزة لذلك النبى الذى هذا ـولى تابع له فظن هؤلاء أن جريان الكرامة على الولى مساهمة لمقام النبوة - وحاشا لله - ما ـخـذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق ملىء عسلاً فرشحت منه رشاحة، فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الأنبياء، وتلك الرشاحة هى حظ الأولياء منهم .

واعلم - رحمك الله - أن من اعتز بعزيز لم يشاركه فى العز، فأولياء الله اعتزوا بالأنبياء الذين اهتدوا بهدايهم واقتفوا سبلهم فلا يشركونهم فى عزهم، لأن بهم اعتزازهم، ألم تسمع المولى يقول ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] فلم يكن إثبات العزة لرسوله ﷺ وللمؤمنين من عباده توجب شركة الله فى عزه وحكمه اقتضت عدم اتفاق العباد على الولى، بل انقسم الأمر فيه لما بيناه ولأمر آخر وهو أنه لو كان الخلق كلهم مصدقين للولى فاته الصبر على تكذيب المكذبين، ولو كان الخلق كلهم مكذبين له فاته الشكر على تصديق المصدقين، فأراد الحق سبحانه بحسن اختياره لأوليائه أن يجعل العباد فيهم قسمين: مصدق، ومكذب، ليعبدوا الله فيمن صدقهم بالشكر، وفيمن كذبهم بالصبر، والإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر .

واعلم أنه لعزازة قدرة الولى عند الله لم يجعله إلا محجوباً عن خلقه وإن كان بينهم لأنه ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته وبطن بسر ولايته .

وقد قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: لكل ولى حجاب وحجابى الأسباب، فمنهم من كان حجابه ظهوره بالسطوة والعزة والنفوس لا تحمل صحبة من هذا وصفة وسبب ظهور ذلك الولى بذلك تجلى الحق عليه بصفة ظهر بها، فإذا غلبت عليه شهوداً غلبت عليه ظهوراً، فلا يصحبه ولا يثبت معه إلا من محق الله نفسه وهواه، ومن هذا الصنف كان شيخنا أبو العباس ﷺ لا تجلس بين يديه إلا والرعب قد ملك قلبك، ومن خلصه الله من نفسه وهواه فلا تستغرب ظهوره بالعز، فأى ملك أعظم من هذا الملك . هذا ملك أعوذ الملوك وجوده .

أفلا ترى أنه لم يزل فى كل قطر وعصر أولياء يذل لهم ملوك الزمان ويعاملونهم بالطاعة والإذعان، ومنهم من يكون حجابه كثرة التردد إلى الملوك والأمراء فى حوائج عباد الله، فيقول القصير الإدراك لو كان هذا ولياً ما تردد إلى أبناء الدنيا وهذا جور من قائله، بل انظر تردده إليهم إن كان لأجل عباد الله وكشف الضرر عنهم وتوصيل ما لا يستطيعون توصيله إليهم مع الزهد واليأس مما فى أيديهم، والتعزز بعز الإيمان وقت مجالستهم وأمرهم

---

(١) (المنافقون: ٨)

بالمعروف ونهيهم عن المنكر فلا حرج على من هذا شأنه لأنه من المحسنين، وقد قال الحق سبحانه ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾[1] وهذا كان سبيل شيخ شيخنا القطب الكبير أبي الحسن الشاذلي ﷺ، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي الأنام [تقي الدين محمد بن علي القشيري ـ رحمه الله ـ] يقول: جهل ولاة الأمور بقدر الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ كثرة تردداه إليهم في الشفاعات، ويجب أن تعلم أن هذا الأمر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بخلق الله قد بذل نفسه وأذلها في مرضاة الله وعلم وسيع رحمة الله فعامل بالرحمة عباد الله متمثلاً لقول رسول الله ﷺ { الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء } .

وقد بلغني عن الشيخ أبي الحسن ﷺ: أنه استدعى يهودياً كحالاً ليداوي بعض من عنده، فقال له اليهودي: لا أستطيع أن أعالج، فإنه جاء مرسوم من القاهرة أن لا يداوي أحد من الأطباء إلا بإذن من مشارف الطب بالقاهرة فلما خرج اليهودي قال الشيخ لخدامه: هيئوا إلى السفر، وسافر لوقته إلى القاهرة وأخذ لهذا الطبيب إذنا وعاد إلى ذلك الطبيب ولم يبت بها ليلة واحدة . ثم جاء إلى الإسكندرية فأرسل إلى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر له به أولا فأخرج له الشيخ مكتوبا بالإذن فأكثر اليهودي من التعجب من هذا الخلق الكريم وقد يكون حجاب الولي كثرة الغنى وانبساط الدنيا عليه .

وقال بعض المشايخ: كان بالمغرب رجل من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر، وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد أحد أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له الشيخ: إذا دخلت إلى بلاد كذا وكذا فاذهب إلى أخي فلان فأقرئه مني السلام واطلب الدعاء منه لي فإنه ولي من أولياء الله تعالى، قال: فسافرت حتى قدمت إلى تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبته فقيل لي هو عند السلطان، فازداد تعجبي، وبعد ساعة أقبل في أفخر ملبس ومركب وكأنما هو ملك في مركبه، فازداد تعجبي أكثر من الأول فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به، ثم قلت: لا يمكنني مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لي، فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد والخدم والشارة الحسنة، فقلت له: أخوك فلان يسلم عليك، قال: جئت من عنده، قلت: نعم، قال: فإذا رجعت إليه فقل له: إلى كم اشتغالك بالدنيا؟ وإلى كم إقبالك عليها؟ وإلى متى لا

---

[1] (التوبة: ٩١)

تنقطع رغبتك فيها؟ فقلت: هذا والله أعجب من الأول .

فلما رجعت إلى الشيخ قال: اجتمعت بأخي فلان؟ قلت: نعم، قال: فما الذى قال لك؟ قلت: لا شيء، قال: لابد أن تقول، فأعدت عليه ما قال، فبكى طويلاً وقال: صدق أخي فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره، وأنا أخذها من يدى وعندى إليها بقايا التطلع، ومن حجب أولياء الله قبولهم من الخلق، فإذا قبل الرجل ما يعطى صغر عند الخلق وهم لا يكبر عندهم لا من يقبل دنياهم، ومن إذا أعطوا رد عليهم وأبى من القبول منهم، ولعل فاعل ذلك إنما فعله ذواقا وزندقة واستئلافاً لقلوب العباد عليه، وليتوجه بالتعظيم إليه، ولتنطلق الألسنة بالثناء عليه .

وقد قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: من طلب الحمد من الناس بترك الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه وليس من الله فى شيء، ومما قد يصد عقول العموم عن أولياء الله وقوع زلة ممن تزين بزيهم أو انتسب إلي مثل طرقهم والوقوف مع هذا حرمان ممن وقف معه، وقد قال سبحانه ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[١] فمن أين يلزم لما أساء واحد من الجنس أو ظهر عدم صدقه فى الطريق أن يكون بقية أهل تلك الطريق، وكذلك وقد أنشدنا الشيخ علم الدين الصوفى لنفسه:

استتار الرجال فى كل أرض ... تحت سوء الظنون قدر ليل

ما يضر الهلال فى حندس الليل ... سواد السحاب وهو جميل

وأشد حجاب يحجب عن معرفة أولياء الله شهود المماثلة وهو حجاب قد حجب الله به الأولين، قال سبحانه حاكياً عنهم ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[٢] وقال سبحانه مخبراً عنهم ﴿ أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾[٣] وقال سبحانه ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾[٤] وإذا أراد الله أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته .

---

(١) (النجم: ٣٨) (٢) (المؤمنين: ٣٣)
(٣) (القمر: ٢٤) (٤) (الفرقان: ٧)

وصيــــة وإرشــــاد:

إيــاك أيها الأخ أن تصغى إلى الواقعين فى هذه الطائفة المستهزئين بهم لئلا تسقط من عـين الله وتسـتوجب المقـت مـن الله فـإن هـؤلاء القـوم جلسـوا مـع الله على حقيقة الصدق وإخـلاص الوفـاء ومراقـبة الأنفـاس مـع الله قـد سلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلماً بين يديـه تـركوا الانتصـار لنفوسـهم حياء من ربوبيته واكتفاء بقيوميته فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسـهم، وكـان هـو المحارب عنهم لمن حاربهم، والمغالب لمن غالبهم، ولقد ابتلى الله هذه الطائفـة بـالخلق خصوصاً أهل العلم الظاهر، فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بـولى معـين، بـل يقـول لك: نعم إن الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحد إلا وأخـذ يدفـع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عارياً من وجود نور التصديق فأحذر مـن هذا وصفه وفر منه فرارك من الأسد، جعلنا الله وإياك من المصدقين لأوليائه بمنه وكرمه

* * * * * * * *

الباب التاسع

فيما قاله من الشعر أو قيل في حضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته

قال ﷺ: أطلعني الله على الملائكة ساجدة لآدم فأخذت بقسطي من ذلك فإذا أنا أقول:

ذاب رسمي وصح صدقي فنائي ... وتجلت للسر شمس سمائي
وتنزلت في العوالم أبدى ... ما انطوى في الصفات بعد صفائي
فصفاتي كالشمس تبدى صفاها ... ووجودى كالليل يخفى سوائي
أنا معنى الوجود أصلاً وفصلاً ... من رأنى فساجد لبهائي
أى نور لأهله مستبين ... اشهدوني فقد كشفت غطائي

وسئل ﷺ عن الروح والنفس فقال شعراً:

إن كنت سائلنا عن خالص المنن ... وعن تألف ذات النفس بالبدن
وعن تشبثها بالحظ قد ألفت ... أدرانها فغدت تشك من الطعن
وعن بواعثها بالطبع مائلة ... تهوى بشهواتها في ظلمة الشجن
وعن حقيقتها في أصل معدنها ... لا ينثنى وصفها منها إلى وثن
وعن تنزلها في حكمها ولها ... علم يفرقها في القبح والحسن
فاسمع هديت علوماً عز سالكها ... على العيان ولا يغررك ذو لكن
قصداً إلى الحق لا تخفى شواهدها ... قامت حقائقها بالأصل والفنن
يا سائلي عن علوم ليس يدركها ... ذو فكرة بفهوم لا ولا فطن
لكن بنور على جامع خمدت ... له العقول وكل الخلق في وسن
خذها إليك بحق لست جاهله ... والأمر مطلع والأمر قيدني
على الحقيقة خذ علم الأمر ولا ... يحجبك صورتها في عالم الوطن
فطور النفس سر لا يحيط به ... عقل تقيد بالأوهام والدرن
لكنها برزت بالحلم قائمة ... حتى تألفها السكان بالسكن
وكى يقال عبيد قائمون بما ... ألقى من الأمر قبل الخلق والمحن
والنفس بين نزولها في عوالمها ... كآدم له حواء في قرن
والروح بين ترق في معارجها ... وهي الموافق للتعريف والمنن

مـثالها فـى العـلى مـرآة معدنهـا ألطافـيا خفيـت كالسـر فـى العلـن
زيـتونة زيـنها نـور لشـاربها مـدت هدايـتها فـى الكـون والكـين
والكـل أنـت بمعـنى الاخفـاء بـه والـنور يحجـبه كالمـاء فـى اللـبن
والعبـد ومحتجب فـى عـز مـالكة دقـت معارفـه فـى الـدهر والـزمن

وكان ينشد:

لو عاينت عيناك يـوم تزلزلت أرض النفوس ودكت الجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها حين التـزلزل والرجال رجال

وقال: الأرض أرض النفوس، والجبال جبال العقل، والشمس شمس المعرفة، وكان ينشد:

وقفت على النوباذ حين رأيتـه فكبر للرحمن حين رآنـى
فقلت لـه أين الذين عهدتهم حواليك فى أمن وخفض زمـان
فقال مضوا واستودعونى ديارهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وكان ينشد:

لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بيته والمقامـا
وطوافى اجالة السـر فيه وهو ركنى إذا أردت استلاما

وكان ينشد:

قـد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الوصل ما إليه وصول
فدواعى الهوى تحف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيـل

وكان ينشد للسهروردى نزيل دمشق:

أبداً تحن إليكـم الأرواح ووصالكم ريحانها والـراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى كمال جمالكم ترتاح
يا رحمة للعاشقين تحملوا ثقل المحبة والهوى فضاح
بالسر باحوا تباح دماؤهـم وكذا دماء البائحين تباح

وكان ينشد:

مرت لنا بمنى والخيف أوقات وطيب عيش قطعناه ولذات

ولأسلكن ولو أن الأسود بها ... قوافلا ورماح الخط غايات

وكان ينشد قول امرئ القيس:

بكى صحابى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينيك إنما ... تحاول ملكاً أو تموت فتعذرا

فكان يقول: تحاول ملكاً بالبقاء أو تموت فتعذر بوجود الفناء .

وكان ينشد من قصيدة ابن العطار:

رفعت مقامات الوصول حجابى ... حتى احتجبت بكم عن الحجاب
ولزمت محرابى لزوم مجمع ... فرأيت وجه الحق فى المحراب
وقلت من نفسى غلاماً قتله ... سبب النجاة وأعظم الأسباب
وخرقت لوح سفينتى لأعيبها ... فنجوت من ملك لها غصاب
وكشفت عن قلبى جدار حجابه ... عن كنزه الباقى بنبر ذهاب
ورقيت فى السبع السموات العلى ... حتى دنوت فكنت مثل القاب

وأنشد بين يديه وأنا أسمع:

خذ من كلامى ما يلذ جناة ... وينم كالمسك العبيق شذاه
ذكر الإله الزم هديت لذكره ... فيه القلوب تطيب والأفواه
واجعل حلالك تقاة أن أخى الجحى ... يا صاحٍ من كانت حلاه تقاه
ولتعمل الأفكار فى ملكوته ... مستغرقاً فى الكشف عن معناه
ولنخلع النعلين خلع محقق ... خلى من الكونيين من مسراه
ولنفن حتى عن فنائك أنه ... عين البقاء فعند ذاك تراه
وإذا بدى فاعلم بأنك لست هو ... كلا ولا أيضاً تكون سواه
سيان ما اتحد ولكن هاهنا ... سر يضيق نطاقنا عما هو
يا سامعاً ما قد أشرت له إلا ... قلب تفكر ما وعت أذناه
اذن الحجاب حجاب حسك ينكشف ... لك سر ما قد غاب عنك سناه
إن الإله أل ما متعرف ... من لم يراه قد استبان عماه
فيه يراه ذو البصائر والنهى ... ما غاب عنهم لحظة مرآه
أتى يغيب وليس يوجده غيره ... ولكن شديد ظهوره أخفاه

ولما انتهى فى الإنشاد إلى قوله:

وإذا بدى فاعلم بأنك لست هو ... كلا ولا أيضاً تكون سواه

سيان ما اتحد ولكن هاهنا ... سر يضيق نطاقنا عما هو

قال الشيخ: ولا نستطيع أن نبينه أبداً وقرأت عليه القصيدة المنسوبة لابن الفراس:

الله ربـى لا أريـد سـواه ... فلقد أحاط به حجاب عماه

ذات الإلـه بهـا قـوام ذاتـنا ... فمن المحال عليه أن ينساه

لا غـرور فـى أنـا رأيـناه بـه ... فـالفوز بالحسـنى ثـواب سـراه

فالسـالكون مشـاهدون لصـنعه ... وهـذا منهج قـده فـرآه

والعـارفون شـاهدون لذاتـه ... لـيلوح مـا أخفـى بمـا أبـداه

يـا غائـباً والحـق فـيه حاضـر ... لم تعـرف الأضـداد والأشـباه

مـن لم يشـاهد بالبصـيره ذاتـه ... فـى حضـرة الملكـوت شـاهدناه

مـن لا يـرى كـل حـال غـيره ... مـولاى أنسـك لم يـدع لى وحشـة

من كـان فـى الملكـوت يسـرى فكره ... مـولاى عـبدك لا يخـاف تعطشـاً

سبحان مـن خـرق الحجـاب لعبده ... مـولاى لا أوى لغـيرك أنـه

سـبحان مـن مـلاء الوجـود أدلـة ... أنـت الـذى خصصـتنا بوجودنـا

سـبحان مـن لم تـلح أنـواره ... لم أفشـى مـا أود فإنـه

مـولاى أنـت الواحـد الصمد الـذى ... مـن كـان يعـلم أنـك الفـرد الـذى

هـل فـى وجـود الحـق إلا الله ... إلا محـى ظـلماتها بسـناه

هـل كـان يوجـد غـيره لـولاه ... أيخافـه والحـق قـد رواه

فالـنور يظهـر ذاتـه فـتراه ... حـرم الهـدى مـا لم تكـن مـأواه

مسـتغرقون بفكـرهم أيـاه ... أنـت الـذى عرفتـنا معـناه

حـتى كـان قلوبهـم مـثواه ... مـا ذاق سـر الحـق مـن أفشـاه

أتغـيب عنـه ومـا شـهدت سـواه ... بهـر العقـول فحسبـه وكفاه

فقال الشيخ: كل هذا تحويم وليس هو عين القصد، ووجدت بخط ابن باشا قال: كتبت إلى سيدى وشيخى أبى العباس المرسى وكان قد ورد سلامه على وقال:

ويرد السلام من الإمام فسرنى — أنى مررت بخاطر لم ينسنى
أن كنت تعلم يا رسول الله بأنه — باق على العهد القديم فهننى
شيخى أبو العباس واحد وقته — خضر الزمان ورب عين الأعين
أسفى على وقت لديك قطعته — بالباطن الربى قد ربيتنى
وما كنت إلا حائر فرددتنى — وإلى الطريق المستقيم هديتنى
وسقيت لى ماء الحياة وكنت لى — كالخضر لما أن رويت سقيتنى
ولو استطعت قطعت عمرى عنده — لا عيش بعد الموت فى عيش هنى
يا أيها المرسى ببحر معارف — سافر إلى المرسى بريح لين
فهو الطريق إلى النبى المصطفى — أن كنت يوماً بالإرادة تعتنى
صلى عليه الله ما ذكر اسمه — فى عالم من عالم متفنن

ومدحه الأديب الفاضل شرف الدين البوصيرى بقصيدة منها:

أما المحبة فهى بذل النفوس — فتنعمى يا مهجتى بالبوس
بذل المحب لمن أحب دموعه — وطوى حفاه على أحر رسس
صدق وقل من لم يقيم قيامه — لم ينتفع منه أمرؤ بجلوس
قبل الإله تقربى بمديحه — وتوجهى لجنابه المحروس
رمت المسيرة ليه أعجزنى سرى — وأباحنى مرآة غير بؤس
أكرم بيوم الأربعاء زيارة — لك أنه عندى كألف خميس
كل أنصات لا السعيد سعيدة — بمثابة التثليث والتسديس
سر فالشاذلية ومرسيه سرت — لهما الرئاسة من أجل رئيس
ما أن نسيت إليهما شيخهما — الا جلوتهما جلاء عروس

وكنت فى مبدأ التشبيه عملت قصيدة فيه وأنشدت بين يديه فلما فرغت من انشادها قال: أيدك الله بروح القدس، وهى هذه:

برزت سلمى باثناء الخيم — فأرتنا البدر من تحت اللحم

واحـد الحـادون لـما أبصروا ... وجمعها فى الليل صبحاً قد ألم
وعذونـاهم ومـاذا عجبى ... أن يرى وجهه لسلمى فى الظلم
كضياء الصبح أو بدر الدجا ... وجهها أكمل نـور وأتم
لـو رأهـا البدر أثنا راجعاً ... خجلاً من وجهها ومحتشم
أو رأتها الشمس لم تطلع ضحى ... ثم صارت خدن هم وندم
عذبت قلبى بهجران به ... عذب العشاق قبل فى القدم
وكثتنى ثوب هم وضنى ... صرت بين الناس فيه كالعلم
وأبت الأصدود دائماً ... فأبى دمعى إلا أن يتم
فسهرت الليل أرعى نجمه ... اذكر الوصول الذى قد انصرم
كلما رمت لعينى هجعة ... قال لى القلب رويداً لا تنم
تدعى العشق وتأنى ضده ... إنما العشق سهاد وسقم
لازم الباب بذل وأسى ... فهما فى الحب شرط لا يلتزم
ودع التقصير فى خدمته ... شما الذيل ولا تخشى الألم
وأجتهد علك أن تنجوا غداً ... من عذاب الله خلائق الأمم
لا تقولن أن هذا زمن ... عسر فيه وجود من سلم
أوليـاء الله لم ينقرضوا ... أن حزب الله غير منهزم
قد رأينا كلهم فى واحد ... ذى بهاء ووفاء وهمم
فى أبى العباس لمجموع الذى ... منحوه من علوم وحكم
بأبى العباس زالت كربة ... عن قلوب الخلق وانجابت ظلم
وبه شمس الهدى قد ظهرت ... وبه در العلوم نظم
أى نور قد بدأ لأهله ... أى علم قد بدا لمن فهم
ولقد فضله رب العلا ... وكساه حللا من النعم
قل لا قوام أرادوا شأوه ... اقصروا أن الله قد قسم
ليس هذا الأمر هيناً ... فتنالوه بجد وهمم
نازعوا الله تعالى حكمه ... إذا أرادوا ستر ذا النور الأعم
أن يكونوا انكروا شمس الضحى ... تبدى النور منها واستنم
فهموا أخوان جهل وهوى ... وهموا خدان هم وندم
وقديماً قال فيه شيخه ... وهو قطب الأرض والعلم الأعم

إنمــا أنــت أنــا فاعــلم بــذا أن هــذا لــيس أمــر مكتــتم
وحديـث الشيخ عـنه شـائع ذائـع أمــا بــين عــرب وعجــم
لــو بســطنا مــن طــال بســطه ولــزا الشــرح فــيه وعظــم
أنهــم لــن يســتطيعوا جحــده فتراهــم مــا زجــى شــهدا بســم
فلــيدم غــيظهم وحقدهــم ولــيموتوا كــلهم موتــه غــم
دمــت فــى عــز علــى رغـم العــدا ما رقــى القمــرى فــى غصن سلم

ولما انتهى فى الإرشاد إلى قولنا: قد رأيناهم كلهم فى واحد، إلى قولنا: من علوم وحكم، قال الشيخ ﷺ: والله لقد قال لى الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس: فيك، ولما أانتهى فى الإرشاد إلى قولنا: وقديماً قال فيه شيخه البيتين .

قال الشيخ ﷺ: والله لقد قال الشيخ يا أبا الحسن يا أبا العباس ما صحبتك ألا لتكون أنت أنا وأنا أنت. ومكث بعد ذلك مدة سنتين، ثم أتى الشيخ ﷺ من الصعيد، لما اجتمعت به أرانى قصيدة عملها فيه إنسان من أهل أخميم، ثم قال لى: أجبه، فذهبت فتوقف على القول، فقلت: عجباً يأمرنى الشيخ ويتوقف على القول، هذا والله من عدم صدقى . فلما قلت ذلك فتح الله على باب القول، حتى كأنها كانت سيلاً يدفق إلى أن تكلمت قصيدة، فلما قرأت عليه وقعت منه بموقع الرضى حتى كان يمكث المدة من الزمان ويستعيدها. وقال لما قرأت عليه: هذا الفقيه صاحبى وبه مرضان، وقد عافاه الله منهما يعنى وجعاً برأسى، والوسوسة فى الطهارة، ولا بد أن يجلس ويتحدث فى العلمين، وهذه هى:

قــف بالديــار فقــد بــدا معــناها فــلمن تســير ومــا المــراد ســواها
وأرح فلاحــك فقـد بلغــت المنحــنى فلطالمــا جهــرت ودام ســراها
وطالمــا قطعــت مهامــه واغــتدت أرســاغها مخضــوبة بدماهــا
نمـس وتصـبح لا تمـل مـن السـرى حــتى تشــكت أنهــا ووجاهــا
رفقــاً بهــا يــا أيهــا الحــادى لا تغـرى بهـا فالشـوق قـد أغـراها
يكفـى الـذى لاقـته مـن ألم السـرى وكفــى بهــا وجــداً بهــا وكفاهــا
أو مـا تـراها كـيف تجـرى دمعهـا حــتى تــبل مــن الدمــوع سـراها
يحــدوا بهــا نحــو الديــار غـرامها ويقودهــا نحــو الحبيــب هواهــا
فــازت بــأن وصــلت إلى أحــبابها فتمايلـت والشـوق حشـو حشـاها

حنت وأنت إذا رأت وادى النقا واستبشرت منه بنبل مناها
فسرورها كسرور أيام غدا فيها أبو العباس شمس ضحاها
تاهت بأحمد إذا أتاها رحمة وغدت به بين الورى تتباهى
وتشرفت أرقاتها بمجيئه وتحلت الأيام من حلاها
وغداً يسد أمر دين محمد فأزاح عنها كربة وجلاها
أن تلقه تلقى أماماً راسخا حبراً منيباً صادقاً أداها
قد كملت فيه الفضائل كلها وتجمعت فيه على أخراها
كم سنة ماتت فأحياها رسمها كم بدعة عقدت فحل عراها
كم من أتاه والمعاصى دأبة قد قيدته نفسه بهواها
فأزال عنها ما به فتقشعت عنة سحائب ظلمة بدجاها
كم من قلوب قد أميتت بالهوى أحيا بها من بعد ما احياها
أحييت علم القوم فى زمن به قل المساعد فانجلت ظلماها
وأتيت غوثاً للأنام وقيل ذا ركبت محارم وأستبيح حماها
وغدوت ترفل فى ثياب معارف وليست من حلل التعى أسناها
ما زلت حتى طاوعتك نفوسنا فأزلت عنها جهلها وعماها
من بعد ما ظفرت بها وتحكمت فينا وزلت عن سبيل هداها
ذللتها حتى أتت منقادة من بعد ما جمحت وعز شفاها
فلذلك أضحى ودهالك خالصاً بشرى لها فى ودها بشراها
فغدوت أعلى همها فى جهرها وكذلك أيضاً أنت فى نجواها
مازلتم تمتدون أمة أحمد فبكم تكمل برها وتقاها
قد كان قدماً بالبرية خيره حتى أتى قطب الورى فهاداها
بالشاذلى تقشعت ظلماتها وتنورت بمجيئه أفقاها
كنز التقى علم الهدى بحر الندى قطب البرية غوثها ملجاها
من كان أن خطب ألم حماها وزوى بها عن صرفه ووفاها
كهف تلوفه البرية كلها ترجوه فى لأرائها ورخاها
حتى توفاه الإله فيالها من نعيه قد حازها وحواها
وخلقته فى حاله ومقامه بالأرث منه فأرتقيت علاها
الله أبقى للبرية أحمداً وأقامه فيها لكى يرعاها

أن الذيـــن تعرضـــوا لفخـــاره طبقـت جفونهـم عـلى أقذاهـا
أن تـنكروا الآيـات وهـى ظواهـر فلقـد تـبدت واسـتنار سـناها
هـم يعـلمون بأنـه قطـب الـورى لكـنه غلـب الـنفوس شـفاها
أو مـا تـرى قـوم النـبى محمـداً جحـدوا ولحـوا فـى الجحود شفاها
مـع عمـلهم أن النـبى محمـداً كـان الرسـول أتـى لهـا بهـراها
فأنـام غـيظهم المـليك ولم تـزل فـى حالـة يرضـى بهـا مولاهـا
يهـدى إليـك المكـرمات بأسـرها وتنـال مـن رتـب العـلى أقصاها

وكـان يعجـبه منها: كم من قلوب قد أميتت ... البيت، فكان يعيد القصيدة إلى هذا البيت، فإذا انتهى فى الإنشاد إليه استعادها .

جعل الله مدحنا هذا موضوعا فى الميزان موجباً للرضوان بمنه وكرمه .

* * * * * *

البـــــاب العاشـــــر

في دعائه وذكره عقب كلامه وحزبه الذى رتبه للآخذين من علومه وافهامه وشيء من دعاء أبى الحسن وحزبيه وبهما يكون لهذا الباب وجود ختامة

كـان من ذكـره ﷺ: لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن، محمد رسول الله ﷺ الكامل الفاتح الخاتم .

وكـان مـن ذكـره أيضـاً: يـا الله يـا نـور يـا حـق يا مبين أحيى قلبى بنورك وأقمنى لشهودك وعرفنى الطريق إليك .

ومن ذكره أيضاً: رب اغفر لى واجعلنى لك عبداً ذائب النفس بأنوارك مطموس الحس بجلالك وأغفر للمؤمنين والمؤمنات .

مـن دعائه: اللهم اغفر لى واسترنى ولا تفضحنى فى الدنيا والآخرة، وعلمنى وذكرنى وفهمـنى وارحمـنى وفرحـنى وبرئـنى وفرغـنى مـن كـل شـيء إلا من ذكرك وطاعتك وطاعة رسولك ومحبتك ومحبة رسولك ﷺ .

ومـن دعائـه عقـب كلامه: اللهم كن بنا رءوفا وعلينا عطوفا، وخذ بأيدينا إليك أخذ الكـرام علـيك، وقومـنا إذا اعوججـنا وأعـنا إذا اسـتقمنا، وخذ بأيدينا كلما عثرنا، وكن لنا حيثما كنا .

وقـال الشـيخ أبـو الحسـن ﷺ: الـلهم إن الدنيا حقيرة، حقير ما فيها، وإن الآخرة كريمة كريم ما فيها، وأنت الذى حقرت الحقير وكرمت الكريم، فأين يكون كريماً من طلب غـيرك؟ أم كـيف يكـون زاهـداً مـن اختار لدنياه معك؟ فحققنى بحقائق الزهد حتى استغنى عـن طلـب غيرك، وبمعرفته حتى أحتاج إلى طلبك؟ أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبنى برحمتك ولا تطلبنى بنقمتك يا عزيز يا منتقم إنك على كل شيء قدير .

وقـال الشـيخ أبـو الحسـن ﷺ: الـلهم اسلبنى عقلاً يحجبنى عنك وعن فهم آياتك، وعن فهم كلام رسولك، وهب لى من العقل الذى خصصت به أنبيائك ورسلك والصديقين من عـبادك، وأهدنـى بـنورك هدايـة المخصصـين بمشـيئتك، ووسـع لى فـى الـنور توسعة كاملة تخصنى بها برحمتك، فإن الهدى هداك، وإن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت ذو الفضل العظيم .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: يا واسع يا عليم يا غنى يا كريم يا ذا الفضل العظيم، اللهم أجلسنا على بساط القرب منك بالفناء عن غيرك أو بالبقاء بنورك أو بالتقرب بالأخذ عما هو لنا إلى ما هو لك من جهة العلم أو العقل أو من جهة العمل والحال، وهيمنا فى برزخ الصنع ناظرين بك إليك، ومنك إلى غيرك إنك على كل شىء قدير .

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: يا عزيز يا غنى يا رحيم يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم، اجعلنى عندك دائماً وبك قائماً ومن غيرك سالماً وفى حبك هائماً وبعظمتك عالماً، واسقط البين بينى وبينك حتى لا يكون شىء أقرب إلى منك ولا تحجبنى بك عنك، إنك على كل شىء قدير .

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: اللهم هب لى من النور الذى رأى به رسولك ما كان وما يكون ليكون العبد يوصف سيده لا يوصف نفسه غنياً بك عن تجديد النظر لشىء من المعلومات، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات ومحيطاً بذات السر بجميع أنواع الذوات ومرتباً للبدن مع النفس والقلب مع العقل والروح مع السرور والأمر مع البصيرة والعقل الأول الممتد عن الروح الأكبر المنفصل عن السر الأعلى .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: اللهم ارزقنى من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، اضربنى بها ضرباً تمحو به من قلبى كل قوة، وأغننى بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق وأخرجنى به عن ذل الفقر، والتدبير والاختيار، وعن الغفلة والشهوة ومشيئة النفس والقهر والأضرار، إنك على كل شىء قدير .

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين طاعتك على بساط مشاهدتك ورق بينى وبين هم الدنيا وهم الآخرة، وتب عنى فى أمرهما، وأجعل همى أنت، وأملأ قلبى بمحبتك وبهجة أنوارك، وخشع بسلطان عظمتك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك .

وهانحن نثبت حزب سيدنا ومولانا الشيخ الإمام قطب العارفين علم المهتدين شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر المرسى ﷺ .

وإن كان بعضه من كلام شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ، وبعده نذكر حزب الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ .

حزب الشيخ أبي العباس ﷺ

﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧) ﴾[1]

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ(٢٥٥) ﴾ . [البقرة: ٢٥٥]

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[2]

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ . [آل عمران: ٢ ـ ٤]

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧]

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ . [العلق: ١ ـ ٥]

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) ﴾ . [الرحمن: ١ ـ ٨]

---

(١) (الفاتحة)

(٢) (البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦)

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) ﴾ . [الرحمن: ٧٨]

سبحان ربى العظيم [ثلاث]

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ﴾ [1]

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾[2]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ [الفلق]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ . [الناس]

اللهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه به عباده المخلصون من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء والموقنين والأولياء المقربين من أهل سمواته وأرضه وسائر الخلق أجمعين، أسألك بها وبالآيات والأسماء كلها وبالعظيم منها، والأم والسيدة وبخواتيم سورة البقرة، وبالمبادئ والخواتيم، وتأمين على الموافقة، وبحاء الرحمة وميمى الملك ودال الدوام .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا

---

[1] الحديد: ١ - ٦)

(٢) (الإخلاص)

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ . [الفتح: ٢٩]

احـون قـاف ادم حم هاء آمين كهيعص، اغفر لى وارحمنى برحمتك التى رحمت بها أنبياءك ورسلك ولا تجعلنى بدعائك رب شقياً، وإنى خفت وأخاف أن أخاف، ثم لا أهتدى إليك سبيلاً فاهدنى إليك وأمتى بك من كل شىء خوف ومخوف فى الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

اللهم يا بديع السموات والأرض يا قيوم الدارين ويا قيوم كل شىء يا حى يا قيوم يا إلهنا لا إله إلا أنت كن لنا ولياً ونصيراً وآمنا بك من كل شىء حتى لا نخاف إلا أنت واجعلنا فى جوارك واحجبنا بالذى حجبت به أوليائك فترى ولا يراك أحد من خلقك وأصيب علينا من الخير أكمله وأجمله وأصرف عنا من الشر أصغره وأكبره .

﴿ طس، حم، عسق ﴾ ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾
اللهم إنا نسألك الخوف منك والرجاء فيك والمحبة لك والشوق إليك والأنس بك والرضى عنك والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك ناظرين منك إليك وناطقين بك عنك لا إله إلا أنت سبحانك، ربنا ظلمنا أنفسنا وقد تبنا إليك قولاً وعقداً فتب علينا جوداً وعطفاً واستعملنا بعمل ترضاه وأصلح لنا فى ذريتنا إنا تبا إليك وأنا من المسلمين يا غفور يا ودود يا رحيم اغفر لنا ذنوبنا وقربنا بودك وصلنا بتوحيدك وارحمنا بطاعتك ولا تعاقبنا بالفترة ولا بالوقفة مع شىء دونك واحملنا على سبيل القصد واعصمنا من جائرها إنك على كل شىء قدير .

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق والنية والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والستر والمغفرة والفصاحة والبيان والفهم فى القرآن وخصنا منك بالمحبة والإصطفائية والتخصيص والتولية وكن لنا سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً ويداً، وآتنا العلم اللدنى والعمل الصالح والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع، وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً .

يـا على يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يا مريد يا قدير يا حى يا قيوم يا رحـيم يا من هو هو هو يا هو أسألك بعظمتك التى ملأت أركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بهـا على خلقك ورحمتك التى وسعت كل شيء وبعلمك المحيط بكل شيء وبإرادتك التى لا ينازعها شيء وبسمعك وبصرك القريب من كل شيء يا من هو أقرب إلىّ من كل شيء، قد قـل حـيائى وعظـم افترائـى وبعـد منائى واقترب شقائى وأنت البصير بمنحتى وحيرتى وشهوتى وسوآتى تعلم ضلالتى وعمايتى وفاقتى وما قبح من صفاتى آمنت بك وبأسمائك الحسنى وصفاتك وبمحمد رسولك فمن ذا الذى يرحمنى غيرك ومن ذا الذى يسعدنى سواك فارحمنى وأرنـى سبيل الرشد واهدنى إليه سبيلاً وأرنى الغى وجنبى إياه سبيلاً واصحبنى منك الحق والنور والحكم والصل والبيان واحرسنى بنورك يا الله يا نور يا حق يا مبين .

اللهم إنـى أمسيت وأنا أريد الخير وأكره الشر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قـوة إلا بـالله فـاهدنى بنورك لنورك فيما يرد عنك وفيما يصدر منى إليك وفيما يجرى بينى وبين خلقك، وضيق على بقربك واحجبنى بحجب عزتك وعز حجبك، وكن أنت حجابى حتى لا يقع شيء منى إلا عليك وسخر لى أمر هذا الرزق، واعصمنى من الحرص والتعب فـى طلبه ومن شغل القلب وتعلق الهم به، ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكير والتدبير فى تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله، وما يعرض فى النفس من ذلك وتحلقه بقدرتك على علمك وإرادتك ومن ضروريات الحاجات إلى خلقك واجعله سبباً لإقامة العبودية ومشاهدة أحكام الربوبية، وهب لى حفنة من حفناتك ونوراً من أنوارك، وذكراً من أذكارك، وطاعة من طاعات أنبيائك، وصحبة لملائكتك، وتول أمرى بذاتك ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك، واجعلنى حسنة من حسناتك ورحمة بين عبادك تهدى بها من تشاء إلى صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .

اللهم اهدنـى لنورك وأعطنى من فضلك وامنعنى من كل عدو هو لك، ومن كل شيء يشغلنى عنك وهب لى لساناً لا يفتر عن ذكرك وقلباً يسمع بالحق منك يكرم بالنظر إليك وسراً ممتعاً بحقائق قربك وعقلاً خامداً بحلال عظمتك وزين ما ظهر وما بطن منى بأنواع طاعتك يا سميع يا عليم يا عزيز يا حكيم .

اللهم كما خلقتنى فاهدنى وكما أمتنى فاحينى وكما أطعمتهم فاطعمنى واسقنى ومرضـى لا يخفـى عليك فاشفنى، وقد أحاطت بى خطيئتى فاغفر لى وهب لى علماً يوافق علمك، وحكماً يصادف حكمك، واجعل لى لسان صدق بين عبادك، واجعلنى من ورثة

جنتك، ونجني من النار، وأدخلني الجنة حالاً ومالاً برحمتك، وأرني وجه محمد نبيك وارفع الحجاب فيما بيني وبينك واجعل مقامي عندك دائماً بين يديك وناظراً بك إليك، واسقط البين عني حتى لا يكون بين بيني وبينك. واكشف لى عن حقيقة الأمر كشفا لا طلب بعده لعبدك مع المزيد المضمون بكريم وعدك .

﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

يا الله يا عزيز يا حكيم إنك قد أيدت من شئت بما شئت كيف شئت على ما شئت فأيدنا بنصرك لخدمة أوليائك ووسع صدورنا لمعرفتك عند ملاقاة أعدائك وأجلب لنا من رضيت عنه حتى نخضع له ونذل كما جلبته لمحمد رسولك واصرف عنا كيد من سخطت عليه كما صرفته عن إبراهيم خليلك، وآتنا في الدنيا أجرنا بالعافية من أسباب النار، ومن ظلم كل جائر جبار، وسلامة قلوبنا من جميع الأغيار، وبغض لنا الدنيا وحبب لنا الآخرة واجعلنا فيها من الصالحين .

﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم عبدك قد أحاطت به أخطاؤه وأنت العظيم وندائي كأنه لا يسمع وأنت السميع وقد عجزت عن سياسة نفسي وأنت العليم، وأنَّى لى برحمتها وأنت البر الرحيم كيف لا يكون ذنبي عظيماً مع عظمتك أم كيف تجيب من لم يسألك وتترك من سألك أم كيف أسوس نفسي بالبر، وضعفي لا يغرب عنك أم كيف أرحمها بشيء وخزائن الرحمة بيدك .

إلهي عظمتك ملأت قلوب أوليائك فصغر لديهم كل شيء فاملأ قلبي بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء واسمع ندائي بخصائص اللطف فإنك السميع من كل شيء .

إلهي ستر عني مكاني منك متى عصيتك، وأنا في قبضتك واجترحت ما اجترحت فكيف بالاعتذار إليك .

إلهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية، ففي أيهما أخاف وفي أيهما أرجوا، إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لى خوفاً وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لى رجاء، فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك، أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك .

[ق . ج] ســر مـن ســرك وكلاهمـا دلان عـلى غـيرك، فالشر الجامع الدال عليك لا تدعنى لغيرك

﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

يـا الله يـا فـتاح يا غفار يا منعم يا هادى يا ناصر يا عزيز هب لى من نور أسمائك ما تحقق به حقائق ذاتك، وافتح لى واغفر وانعم على واهدنى وانصرنى وأعزنى يا معز، يا مذل لا تذلـنى بـتدبير مـالك ولا تشغلنى عنك بما لك فالكل كلك والأمر أمرك والسر سرك عدمى وجـودى ووجـودى عدمـى فـالحق حقـك والجعل جعلك ولا إله غيرك وأنت الحق المبين يا عـالم السـر وأخفـى يا ذا الكرم والوفا، علمك قد أحاط بعبدك وقد شقى فى طلبك فكيف لا يشـقى مـن طلـب غـيرك، تلطـف بـى حـتى علمـت أن طلـبى لك جهل وطلبى لغيرك كفر فأجـرنى من الجهل واعصمنى من الكفر يا قريب أنت القريب وأنا البعيد، قربك آنسنى من غيرك، ردنى للطلب لك فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى يا قوى يا عزيز .

﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

الـلهم لا تعذبـنا بإرادتنا وحب شهواتنا فنشتغل أو نحجب أو نفرح بوجود مرادنا أو نحـزن أو نسـخط أو نسـلم تسـليم النفاق عند الفقد وأنت اعلم بقلوبنا فارحمنا بالنعيم الأكبر والمـزيد الأفضـل والنور الأكمل وغيبنا وغيب عنا كل شيء، وأشهدنا إياك بالأشهاد وانصرنا فـى الحـياة الدنـيا ويـوم يقـوم الأشهاد يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد أنا نسـألك بـالقدرة العظمى والمشيئة العليا وبالآيات والأسماء كلها، وبهذا العظم منها أن تسخر لـنا هـذا الـبحر، وكـل بحر هو لك فى الأرض والسماء والملك والملكوت، كما سخرت البحر لموسـى، وسـخرت الـنار لإبراهـيم، وسـخرت الجـبال والحديـد لـداود، وسـخرت الـريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لنا كل شيء .

يـا مـن بـيده ملكـوت كل شيء وهو مجير ولا يجار عليه يا على يا عظيم يا حليم يا عليم [احون ـ قاف ـ حم ـ هاء] آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه وسلم .

حزب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم • الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة]

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ . [البقرة: ٢٥٥]

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ . [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦]

﴿ الم (١) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) ﴾ . [آل عمران: ٤ ـ ٦]

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ

النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧]

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) ﴾ . [الشعراء: ٧٨ - ٩١]

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٦) ﴾

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ . [الحشر: ٢٣ - ٢٤]

﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى]

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) ﴾ . [الانشراح]

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١]

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ . [التوبة: ١١٢]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ [المؤمنون: ١- ١١]

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ . [الأحزاب: ٣٥]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ [المعارج: ١٩ - ٣٥]

اللهم إنا نسألك صحبة الخوف ولبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر، ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار حتى لا يكون لنا مع الذنب أو العيب قرار واجتبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التى بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك

فـأتمهن ﴿ قَـالَ إِنِّـي جَـاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح واسلك بنا سبيل أئمة المتقين .

بسـم الله وبـالله ومـن الله وإلى الله وعـلى الله فليـتوكل المتوكلون ، حسبى الله أمنت بـالله ورضيت بالله وتوكلت على الله ولا قوة إلا بالله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رب اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات .

﴿ بِسْـمِ اللَّـهِ الـرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَـالِكِ يَـوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْـتَ عَلَـيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧) ﴾ قل الحمد لله وسلاماً على عباده الذين اصطفى

رب إنـى ظلمـت نفسـى ظـلماً كثيراً فاغفر لى وتب على لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

يـا الله يـا على يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يا مريد يا قدير يا حى يا قـيوم يـا رحمن يا رحيم يا من هو هو يا هو يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام .

الـلهم صـلنى باسمك العظيم الذى لا يضر معه شيء فى الأرض ولا فى السماء، وهب لى مـنه سرًا لا تضـر معـه الذنـوب شـيئاً، واجعـل لى مـنه وجهاً تقتضى به الحوائج للقلب والعقـل والـروح والسـر والـنفس والـبدن، ووجهـا تـرفع به الحوائج من القلب والعقل والسر والـروح والبدن والنفس، وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك، وأفعالى تحت أفعـالك، درج السـلامة وإسـقاط الملامـة وتنزل الكرامة وظهور الإمامة وكمل لى ما ابتليت به أئمـة الهـدى مـن كـلماتك، وأغنـنى حـتى تغنى بى، وأحبنى حتى تحى بى ما شئت ومن شـئت مـن عـبادك، واجعلـنى خـزانة الأربعـين ومن خلاصة المتقين، واغفر لى فإنه لا ينال عـهدك الظالمين .

[طس ـ حم ـ عسق] ﴿ مرج البحر يلتقيان بينـهما برزخ لا يبغيان ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الـرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)
مَـالِكِ يَـوْمِ الدِّين (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧) ﴾

﴿ قُـلْ هُـوَ اللَّـهُ أَحَـدٌ (١) اللَّـهُ الصَّـمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

[ثلاث]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل من دعاء الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ

ومن دعائه ﷺ:

يـا الله يـا فتاح يا عليم يا كريم افتح قلبى بنورك، وارحمنى بطاعتك، واحجبنى عن معصـيتك، وامـنن على بمعرفتك، واغننى بقدرتك عن قدرتى، وبعلمك عن علمى، وبإرادتك عـن إرادتـى، وبحياتك عن حياتى، وبصفاتك عن صفاتى، وبوجودك عن وجودى، وبدنوك عـن دنـوى، وبقـربك عـن قـربى، وبحـبك عـن حـبى، وبصدقك عن صدقى، وبحفظك عن حفظـى، وبـنظرك عـن نظـرى، وبتدبيرك عن تدبيرى، وباختيارك عن اختيارى، وبحولك وقدرتـك عـن حولى وقدرتى، وبجودك وكرمك وفضلك ورحمتك عن علمى وعملى، إنك على كل شىء قدير.

الـلهم إن الدنـيا حقـيرة، حقير ما فيها وإن الآخرة كريمة كريم ما فيها، وأنت الذى حقـرت الحقـير، وكرمـت الكريم، فكيف يكون كريماً من طلب غيرك؟ أم كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه غيرك؟.

فحققـنى بحقائق الزهد حتى استغنى بك عن طلب غيرك، وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلـب غيرك، إلهى كيف يصل إليك من طلبك؟ أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبنى برحمتك، ولا تطلبنى بنقمتك، يا عزيز يا منتقم، إنك على كل شىء قدير.

وقـال ﷺ: الـلهم اسـلبنى عقـلاً يحجبـنى عـنك وعـن فهـم آيـاتك وعـن فهـم كلام رسـولك، وهـب لى مـن العقـل الـذى خصصـت به أنبيائك ورسولك والصديقين من عبادك، وأهدنـى بـنورك هدايـة المخصصـين بمشيئتك، ووسع لى فى النور توسعة كاملة تخصنى بها برحمتك، فإن الهدى هداك، وإن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت ذو الفضل العظيم.

وقـال ﷺ: يـا عزيـز يا رحيم يا حكيم يا غنى يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظـيم، اجعلـنى عـندك دائمـاً، وبك قائماً، ومن غيرك سالماً، وفى حبك هائماً، وبعظمتك عالماً، وأسقط البين بينى وبينك حتى لا يكون شىء أقرب إلى منك، ولا تحجبنى بك عنك، إنك على كل شىء قدير.

وقـال ﷺ: يـا الله يـا حميد يا مجيد، يا الله يا كريم يا بر يا رحيم، يا الله يا قوى يـا مـتين، هب لى من رحمتك ما أحمدك به فأكون من المؤمنين، وارزقنى من لطائف العز ما أكـون بـه قويـاً متيـناً حاملاً محمولاً فى العالمين، وهب لى من كرمك ما أكون به براً نقياً من الصالحين، يا رحيم، يا لطيف، الطف بى لطفاً لا يدركه وهم الواهمين .

إلهـى وجدتـك رحـيماً حيث لا أرجوك، فكيف لا أجدك ناصراً وأنا أرجوك، من لى إذا قاطعتـنى؟ ومـن لى إذا لم ترحمـنى؟ فصلنى من حيث تعلم ولا اعلم، إنك على كل شىء قدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

تم بحمد الله

إشراف/ محمد بن على بن يوسف

الفهـــــــرس

رقم الصفحة	الموضـــــوع
٣	مقدمة المحقق
٥	مقدمة المؤلف
١٠	مقدمة الكتاب تشتمل على إقامة الدليل على أن سيدنا محمد ﷺ أفضل بنى آدم
٣٩	الفصل الأول: فى الكلام على الكرامات
٤٧	الباب الأول: فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشأن وشهادة من عاصره من العلماء أنه قطب الزمان الحامل فى وقته لواء أهل العرفان.
٦١	الباب الثانى: فى شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام والحائز قصب السبق بالتمام وإخباره هو عن نفسه بما من الله عليه من النعيم الجسام وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول لله تعالى لأفضل مرام .
٦٩	الباب الثالث: فى مجرباته ومنازلاته وما أتفق لأصحابه معه ومكاشفاته .
٧٧	الباب الرابع: فى علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته .
٩٥	الباب الخامس: فى آيات من كتاب الله تكلم على تبين معناها وأظهار فحواها .
١٠٧	الباب السادس: فيما فسره من الأحاديث النبوية وإبداء أسرار فيها على مذاهب أهل الخصوص .
١١٩	الباب السابع: فى تفسيره لما من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجمل الطرائق .
١٢٥	الباب الثامن: فى كلامه فى الحقائق والمقامات وكشفه فيها للأمور المعضلة
١٥١	الباب التاسع: فيما قاله من الشعر أو قيل فى حضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته .
١٦١	الباب العاشر: فى ذكر دعائه عقيب كلامه، وحزبه الذى رتبه للآخذين من علومه وأفهامه وشىء من دعاء أبى الحسن وحزبه .
١٦٣	حزب الشيخ أبى العباس ﷺ .
١٦٩	حزب الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ .
١٧٤	فصل من دعاء الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ .
١٧٦	الفهرس